

# المواردُ الرَّوِيَّةُ الهَنِيَّةُ في شرح الأبياتِ المنظومةِ في الوصيَّة


تأليف

الإمامِ الهُمامِ اللَّيثِ الضِّرغامِ

الحبيبِ العلَّامةِ أحمدَ بنِ زينِ بنِ علويٍّ الحبشيِّ

الحُسينيِّ الحضرميِّ الشَّافعيِّ

رحمهُ اللهُ تعالى




المواردُ الرويّة الهنيّة
في شرح
# الأبيات المنظومة في الوصية



* صور الغلاف :

الغلاف الأمامي : صورة قبة الحبيب أحمد بن زين الحبشي

الغلاف الخلفي : الأولى : صورة مسجد باعلوي بالغرفة ، أول مسجد أسسه المؤلف .

الثانية : صورة مسجد البهاء بالحوطة ، أسسه المؤلف ، وأقام فيه دروسه ومجالسه حتى وفاته .

سلسلة كتب الإمام أحمد بن زين الحبشي
(٤)

# المَوارِدُ الرَّوِيَّةِ الهَنِيَّة
## في شرح
# الأبيات المنظومة في الوصية

أو ما يعرف بـ

# شرح البائية

تأليف

الإمام الهُمَام اللَّيْث الضِّرغام

الحبيب العلَّامة أحمد بن زين بن علويّ الحبشيّ

الحُسينيّ الحضرميّ الشّافعيّ

رحمه الله تعالى

(١٠٦٩-١١٤٤هـ)



الناشر
مقام الإمام أحمد بن زين الحبشي
الحوطة ـ حضرموت ـ الجمهورية اليمنية

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م



طبع بعناية خادم المقام
السيد شيخ بن عبد الله بن سالم الحبشي
أمتع الله به

# أسماء اللجنة العلمية لكتاب

## «الموارد الروية الهنية»

### [illegible]ارضة النسخ الخ[illegible]

عبد اللطيف عبد اللطيف — صلاح الدين الحمصي

قاسم الحلبية

### [illegible]بضبطه والتعليق [illegible]

محمد مصطفى الخطيب — محمد غسان نصوح عزقول

### [illegible] من تنفيذ المراحل ال[illegible]

غالب أكريِّم — محمود نعيم المدني

### [illegible]تصحيح والمراجعة

محمد أحمد بركات — محمد بن شيخ بن عبد الله الحبشي

### [illegible] اللجنة والمشرف ال[illegible]

محمد غسان نصوح عزقول

# كلمة الناشر

الحمد لله القائل : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الراقي إلى حضرة الملك الوهاب ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب .

وبعد .

فإن المولى الكريم قد أنعم علينا بالعثور على أربع نسخ خطية من هذا الكتاب ، الذي طالما تشوقت العيون لرؤيته ، وانتظرت خروجه في رشيق حلته .

وهو كتاب شرح فيه مؤلفه العظيم أبيات القصيدة البائية التي نظمها شيخه الإمام الحداد في الوصية .

وكفى بها وصية ، فقد جمع فيه علوماً كثيرة وهو كفاية ، بل عليه المعتمد لسالك الطريقة على الحقيقة .

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

اللهم ؛ انفعنا بما نسمع ، وبما نقرأ ، واجعله حجةً لنا ، ولا تجعله حجةً علينا ، يا رب العالمين .

وها نحن اليوم أيها القارىء الكريم نقدمه بين يديك ، بعد أن كان منذ زمن طويل حبيس الخزائن والرفوف .

فجزى الله من نقب عنه حتى ظهر وبان ، ومن حث أو اعتنى أو قام بطباعته أعلىٰ فراديس الجنان ، بعد عمر طويل مليء بالسعادة وعافية الأديان والأبدان ، وأن يصلح لنا ولهم الشأن ، في السر والإعلان ، والحمد لله الكريم المنان .

* * *

**شكر خاص**

لطالب العلم السيد عبد الرحمـٰن بن طه بن عبد القادر الحبشي على جهوده المبذولة في خدمة كتب الإمام أحمد بن زين الحبشي ؛ هو ومن ساعده ومن تعاون معه .

# ترجمة العارف بالله

# أحمد بن زين الحبشي

## رضي الله عنه

**اسمه ونسبه :**

هو الحبيب العلامة المتواضع ، والإمام الجامع ، والبحر الواسع الداعي إلى الله ، العارف بالله : أبو علوي أحمد بن زين بن علوي بن أحمد[1] ابن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي[2] ابن علي بن أحمد بن محمد ( أسد الله ) ابن حسن الترابي بن علي ابن الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد ( صاحب مرباط ) ابن علي ( خالع قسم ) ابن علوي بن محمد بن علوي ( صاحب سُمَل ) ابن عبيد الله ( صاحب العرض ) ابن أحمد المهاجر ابن عيسى بن محمد بن علي العُريضي ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين السبط ابن الإمام علي ابن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ورضي الله عنهم أجمعين .

وأمه الشريفة الصالحة العفيفة : فاطمة بنت السيد العالم الفاضل علي بن عقيل باهارون جمل الليل باعلوي الحسيني المكي .

---

(١) صاحب الشعب المعروف بالأحمدين : أحمد المهاجر ، وأحمد الحبشي .

(٢) لُقِّب به لكثرة تردده وطول إقامته بأرض الحبشة .

## ميلاده ونشأته :

ولد رضي الله تعالىٰ عنه بمدينة الغرفة من مدن وادي حضرموت باليمن . في أوائل سنة ( ١٠٦٩هـ ) ، ونشأ بها وتربى بأبيه . . فحفظ القرآن العظيم ، وجد واجتهد من صغره ، وكان من حين صباه وقلبه معلق بربه ، ولم يلتفت إلى الدنيا وأهلها أصلاً ، ولم يظهر إليها ميلاً ، لا قولاً ولا فعلاً ، وكان والده يعظمه ويحترمه من صغره ؛ لما يرى عليه من لوائح أنوار الولاية ، وطلائع بشائر العناية ، والتخلق بالأخلاق المحمدية ، والتأدب بالآداب النبوية .

## طلبه للعلم :

منذ أوان الابتداء وهو متعلق بطلب العلم والتحصيل والتنسك والتبتل ، فكان يقول : ( من حين الصغر وأيام الصبا ونحن نتلهف علىٰ طلب العلم والخير ، ولا نجد المعين في بلدنا ولا من يشفي الغليل ، وكان معنا تطلع وتولع وتولُّه لطلب الزيادة من الخير وأفعال البر سيما طلب العلم ) .

فلم يأل في طلب المعالي جهداً ، ولم يدرك لمنتهاه حداً ، فجد في الطلب ، ولم يلتفت لقال الزمان وقيله ، شأنه الإعراض عن الأغراض ، حتى مضى لسبيله ، فقد رحل في طلبه إلى البلدان القريبة منه مشياً على أقدامه ، فإلى شبام يرحل كل اثنين وخميس ، وأيضاً إلى تريس وسيؤون .

أما تريم فقد رحل إليها عدة مرات . وفي ذلك يصف المترجَم رحلته بقوله : ( كنت أسير إلى تريم أمشي وليس معي إلا خادم ونحمل معنا تمراً لا غير ، ونأكل من ذلك التمر مدة إقامتنا بتريم عَشاءً وغداءً ، ولا نحمل دقيقاً ولا غيره ، إنما هو التمر ) اهـ .

**شيوخه وثناؤهم عليه :**

١ـ سيدنا الإمام ، قطب الإرشاد ، الحبيب : **عبد الله بن علوي بن محمد الحداد** ، وكان بينهما قرابة في النسب من جهة الأم ؛ وذلك أن والد المترجَم ـ زين ابن علوي بن أحمد الحبشي ـ ابن عم والدة سيدنا عبد الله الحداد ، الشريفة العفيفة سلمى بنت عيدروس بن أحمد الحبشي .

وقد قال الإمام الحداد : ( إن اليد في هذا الشأن ـ يعني طريق القوم ـ للسيد أحمد بن زين الحبشي منّا ومن جدّه الشيخ أحمد الحبشي [صاحب الشِعب] ، ومن والده السيد زين ) .

٢ـ العلامة : **عبد الله بن أحمد بلفقيه** .

تردد وانقطع إليه كثيراً قبل أخذه عن شيخه الإمام الحداد ، وكان من أجلِّ مشايخه ؛ فقد قرأ عليه كتباً لا تحصىٰ في علوم كثيرة ـ مثل : التفسير والحديث والفقه والتصوف والسيرة وعلم الكلام والعربية وسائر الفنون الشرعية والأدبية ـ في سنين عديدة ، ولبس منه لباس الطريق ، وتلقن ، واستجاز منه في جميع مقروآته . . فأجازه فيها ، وفي جميع ما يجوز له وعنه روايته ، وكان المترجَم سبباً في تصنيف الحبيب عبد الله بلفقيه بعض مؤلفاته ، وقد اغتبط به شيخه المذكور ، وأقبل عليه ، وأعجب به ، وفيه يقول : ( السيد أَحمد بن زين صرخ وهو في بيضته ) إشارة إلى ذكائه ونجابته وما ظهر عليه من الإشارات وعلوّ الهمة وقوة العزيمة وحدّة الإرادة ، ولم يزل في القراءة والتردد عليه حتى وفاة شيخه المذكور ، وسنُّ المترجَم إذ ذاك فوق الأربعين سنة .

وقد أخذ قبلهما عن :

٣ـ الشيخ الفقيه : **محمد بن عبد الله باجمّال** .

٤ـ الشيخ الفقيه : **أحمد بن عبد الله شراحيل** .

٥ـ الشيخ الفقيه المحقق : **عبد الرحيم بن محمد بن قاضي باكثير** .

٦ـ الشيخ : **محروس** ( من أهل سيوون ) ، أخذ عنه علم النحو .

٧ـ الحبيب العلامة : **عبد الله بن عمر بلفقيه** ، أخذ عنه علم التجويد .

٨ـ الحبيب العلامة : **محمد بن عبدالرحمـٰن العيدروس** .

٩ـ الفقيه العلامة : **محمد بن أحمد باجبير** .

١٠ـ الفقيه العلامة : **عبد الله بن أبي بكر الخطيب** .

١١ـ سيدنا الحبيب : **أحمد بن عمر الهندوان** ، انتفع به في طريق القوم نفعاً خاصاً ؛ فقد جالسه وتردد إليه كثيراً بعد خروجه من الهند عام ( ١١٠٠هـ ) وسنُّ المترجَم إذ ذاك نحو ثلاثين سنة ، وكان شيخه الهندوان يعظمه ويحترمه ، وقد لقيه في بعض السنين في زيارة نبي الله هود عليه السلام ، فرآه منبسطاً مبتهجاً ، فأعجبه ذلك . . فقال ما معناه : ( إن لله تعالىٰ ضنائن من خلقه ، يحييهم في عافية ، ويميتهم في عافية ، وأرجو أن تكون منهم ) .

١٢ـ والده الحبيب : **زين بن علوي** .

١٣ـ عمه الحبيب : **عيدروس بن علوي بن أحمد الحبشي** .

١٤ـ عم والده الحبيب : **حسن بن أحمد بن محمد الحبشي** .

١٥ـ ابن عم والده الحبيب : **محمد بن حسين بن أحمد الحبشي** .

وهؤلاء الأربعة قد أخذوا عن جده أحمد الحبشي .

١٦ـ ابن عم والده الحبيب : **عيسىٰ بن محمد بن أحمد الحبشي** .

١٧ـ ابن عم والده الحبيب : **أحمد بن هاشم بن أحمد الحبشي** .

١٨ـ **الحبيب حسين بن عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس** اغتبط بمشاهدته ، وابتهج برؤيته ، وقال فيه : ( كلُّ ما في السيد عبد الله الحداد ـ أو قال عنده ـ

فهو بكماله عند السيد أحمد بن زين الحبشي ) .

١٩ـ الحبيب : **شيخان ابن الإمام الحسين** ابن الشيخ أبي بكر بن سالم .

٢٠ـ الحبيب : **علي بن سالم** بن أحمد ابن الإمام الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم .

وممن أخذ عنهم المترجَم بالمكاتبة من علماء الحرمين الشريفين :

٢١ـ السيد العلامة العارف بالله : **محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي** ، قال المترجَم : ( كاتبت السيد المذكور إلى مكة كتابين ، وأجاب عليهما ، وحدثني في أحدهما بحديث الأولية عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمٰن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » كما حدثه به مشايخه منهم البابلي وغيره ) .

٢٢ـ الشيخ العالم المحدّث : **محمد بن محمد بن سليمان** .

٢٣ـ الفقيه العلامة : **حسن بن علي العجيمي الحنفي** ، كاتبه واستجازه في حديث الأولية المذكور بالخصوص . . فأجابه وأجازه فيه ، وفي رواية جميع الأحاديث المسلسلة بأئمتنا الحنفية وساداتنا الصوفية ، ورواية الكتب الستة الصحاح ، والسنن والمسانيد ، وجميع ما تجوز روايته عنه .

أما شيخه العارف بالله تعالىٰ سيدنا الإمام قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد . . فقد أقبل عليه إقبالاً كلياً ، وانطرح بين يديه انطراح الميت بين يدي الغاسل منذ أن كان عمره أربعاً وعشرين سنة . . فقرأ عليه من الكتب ما لا تحصى ولا تحد ولا تعد ؛ لكثرة تردده عليه ، وطول صحبته له وانقطاعه إليه ، وقد ذكرها تلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط في كتابه : « قرة العين وجلاء الرين في مناقب شيخه الحبيب أحمد بن زين » ، بما تنيف علىٰ سبعين مؤلفاً في مختلف العلوم والفنون ؛ من : المنقول ، والمعقول ، وعلوم الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة ،

وعلم القراءات ، والطب ، والحساب ، والهندسة ، والتواريخ ، والحوادث ، والآلات ، وأخبار القرون الماضية ، وعجائب المخلوقات ، وغير ذلك من المؤلفات التي يعسر حصرها ، وقد ألبسه شيخه الإمام الحداد الخرقة الفخرية الفقرية مراراً كثيرة ، وفي ذلك يقول : ( لبست منه القبع نحو ست مرار[١] ، وثلاثة قمصانٍ وعمائم وطواقٍ[٢] كثيرة ، وتلقنت منه الذكر : « لا إلٰه إلا الله » ، وصافحني ) .

قال المترجَم : ( قال شيخي الإمام الحداد : لقينا وأخذنا عن خلق كثير من أهل حضرموت ، واليمن ، والحرمين الشريفين ، يزيدون على المئة ؛ من بين عالم وعارف وأخ صالح لا يسمح الزمان اليوم بوجود واحد منهم ) .

وقد استجازه وأجازه في جميع مقروءاته وما تصح عنه روايته ، وكان شديد الانطواء في شيخه المذكور ، عظيم الاحترام له ، حتى إن الألسن لتعجز عن وصف ذلك ، سلَّم لشيخه كل قِيَادِهِ ، ويشهده ويأخذه حجة في كل شيء ، وكان شيخه يثني عليه كثيراً ، ويغمره بعطفه وعنايته ، ويستدعيه إذا أبطأ عليه عند أهله ، ويجِلُّه ويحترمه ، ويأمر الناس بالأخذ عنه ، ومن ثنائه عليه في شعره ـ ويكفيه فخراً أن هذا الثناء من الإمام الحداد ـ قوله :

أما الحبيب السيد البَر الذي ... أعلىٰ له الرب العظيم منارا
وأقامه داعٍ إليه بقوله ... وبفعله من غيرما إنكارا
فالله يبقيه ويرفع قدره ... وينيله من بره أوطارا
ويزيده علماً ومعرفةً به ... وسعادة لا تنتهي لِقُصارَىٰ

---

(١) وفي (ج) : (سبع مرار) .
(٢) في (ج) : (كوافٍ) جمع كوفية ، وطواقٍ : جمع طاقية ، وهي القلنسوة .

ومن ثناء الإمام الحداد عليه قوله : ( إن قراءة السيد أحمد بن زين علينا للتبرك فقط ؛ أي : وإلا فليس بمحتاج ، وإنما المؤمن لا يشبع من خير ) .

وقال : ( إنه جلس معنا السيد أحمد بن زين فازداد به مجلسنا كثيراً وزان ) .

وكتب إليه : ( من بلدة تريم إلى بلد الغرفة : القلب مغتبط بوجودكم في هذا الزمان على ذلك الحال ؛ من : الإقبال على الله تعالىٰ ، وعلى طاعته ، ودعوة العباد إليه ، وتدريس العلوم النافعة ، وما يجري ذلك المجرى من القربات المرغَّب فيها . التي هي طرق السماء وزاد العقبى ومتاع الآخرة ) .

وقد سئل الإمام الحداد عن حال سيدنا أحمد بن زين الحبشي فقال : ( هو من أهل المقام العاشر ) إشارة إلى مقام الصدِّيقية الكبرىٰ .

وقال لبعض السادة يوصيه : ( عليك بالسيد أحمد بن زين الحبشي ؛ فإنه عالم زاهد صوفي ) . . فأعظم بهذه المقالة من ذلك الإمام العظيم ، وتفهَّم ما فيها من الفخر الجسيم ، ومن معنى فخيم ؛ لأن مجمع المحاسن والفضائل من المقاصد والوسائل : العلم والزهد والتصوف ، فالعلم الأصل ، والزهد نتيجته ، والتصوف غايته ، فما من خصلة جميلة إلا وتجمعها هٰذه الخصال الثلاث ، فهو بحق قد جمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة .

وقال له أيضاً : ( نرجو أنك تفوق الإمام محمد بن إدريس الشافعي في العلم الظاهر . . فضلاً عن العلم الباطن ) أو قريباً من هذا اللفظ .

وقال : ( عُرِض علينا حال أو قال مقام سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وأنا ملآن فسُقْتُه للسيد أحمد بن زين الحبشي ) إشارة إلى مقام الكنزية العظمى .

وغير ذلك من الإشارات والبشارات ، ولم يزل ملازماً لشيخه الحداد

نحواً من أربعين سنة ، حتى توفي شيخه المذكور وهو يقرأ عليه كتاب « الموطأ » ، وعمر الحبيب أحمد بن زين إذ ذاك نحو ثلاث وستين سنة ، رضي الله عنهم أجمعين .

**علومه ومجاهداته :**

كان رضي الله تعالىٰ عنه مستغرق الأوقات في نيل العلوم الظاهرة والباطنة ، متبحراً فيها ؛ فقد وهبه الله تعالىٰ من الذكاء والفطنة والفهم والحفظ بما تحير فيه الألباب ، ويأتي لسامعه بالعجب العجاب ، كثيراً ما يقول إذا تكلم في شيء من العلوم : ( سمعت هذا أو رأيته في كتاب كذا منذ خمسين أو أربعين سنة ) أو نحو ذلك ؛ لما منح من قوة الحفظ وجودة الذهن ، وكان إذا تكلم . . لا يود سامعه أن يسكت ، وإذا نطق بالحقائق والمعارف . . فكأنه يغرف من بحر ، وإذا تسلق إلى الرقائق . . فكأنه يقطف من زهر ، عن ذوق وتحقيق لا إيمان وتصديق فقط ، ولكلامه صولة في قلوب السامعين ؛ فقد أعجز الفصحاء ، وأقعد البلغاء ، وأحياناً يتكلم بعبارة سهلة يفهمها الذكي والبليد ، والقريب والبعيد ، وكانت مجالسه ومدارسه معمورةً بالعلوم النافعة ، وأكثرها في علوم الطريقة وتصحيح مقامات اليقين ؛ كـ( التوبة ) و( الزهد ) و( الرجاء ) و( الخوف ) و( الصبر ) و( الشكر ) و( التوكل ) و( الإخلاص ) و( الصدق ) و( المحبة ) و( الرضا ) وما تعلق بها من علوم القلوب ، ورياضة النفس ، وذكر الأمراض الحاجبة لها عن مطالعة الغيوب ، والآفات التي تعرض لسالك الطريق إلى الله تعالىٰ ، ونفي العجب والدعوى ، ورؤية ما له من الأعمال ، ونسيان ما لله عز وجل من المنة ، واستناده إلى الأسباب ، وركونه إلى كسبه ، وتعريف طريق اللجاء والافتقار إلى الله جلّ وعلا ، والتواضع والانكسار ، والتبري من الحول والقوة ، وشهود التقصير في كل

حين وعلى كل حال مع رؤية النعمة من الله تعالىٰ عليه والشكر عليها والاستزادة منها .

وكان يرفع همة جليسه بأن يحمله على العزائم ، ويحثه على اكتساب الغنائم ، ويقول : ( الرخص شأن الضعفاء والعاجزين ) ، وقد غلب عليه آخر عمره ذكر العلوم الظاهرة أكثر من علوم الإشارة إلى حقائق التوحيد ، مع كثرة كلامه فيها قديماً ، ومن ذا الذي يستطيع مثله ؛ فقد بلغت مطالعته اليومية في عمر تخطى السبعين عاماً زهاء مائة ورقة عدا تدريسه ومسموعاته الكثيرة في شتى العلوم ، ولذا قال : ( بعد ما جاوزت السبعين من عمري لم تبق لي شهوة غير العلم ) ، ولقد نظر إلى نحو مائة كتاب حوله فقال : ( لو أن هذه الكتب تلفت كلها . . لاستخرجتها من صدري ) ، وقال في آخر جواب على سؤال ورد من الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي : ( ولو تكلمنا على هذه المسألة بما عندنا . . لأملينا مجلداً من حيث فقه الإمام الشافعي وخلاف أصحابه المتقدمين والمتأخرين ، بل وأصحاب الحنفي والمالكي ، ولـٰكن ليس ذلك من مذهب الصوفية ) .

والحديث معه في العلم يكسبه نشاطاً ويدَعه ينسى نفسه متنقلاً من فن إلى فن ، ومن علم إلى علم متلذذاً، حتى يطرق علوماً كثيرة لا تعد ولا تحصى .

قال تلميذه الحبيب محمد بن زين بن سميط : ( قرأت عليه في يوم واحد ، بل في مجلس واحد نحو مائة ورقة ، ولا ملّ ، ولا سئم ، وكان يستزيدني ، وقد يحصل معه القبض الكلي في بعض الأوقات ، فإذا ذاكر في العلم أو سئل عن شيء منه . . حصل له الانبساط التام ، والانشراح العام ، وتفجر عنده البحر ) .

بات عنده ليلة الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي الدوعني في إحدى زياراته له ، فكان السمر في المذاكرة العلمية من بعد صلاة العشاء

مستغرقين . . وإذا بطلوع الفجر يفاجئهما ، وقيل إنه أورد عليه في تلك الليلة نحو ثلاثين سؤالاً كلها في « الإحياء » .

ويقول الحبيب أحمد بن زين : ( عندنا بحمد الله من العلوم علوم مكنونة ، وخزائن مخزونة ، تظهر عند المذاكرة مع أهلها ، ولا نقول إن شاء الله شيئاً من العلم إلا ونحن نعمل به ، وكل ما قلناه منه علىٰ سبيل الوعظ . . إنما نقصد به أنفسنا أولاً . . إلخ ) .

كما أنه رضي الله تعالىٰ عنه كان مقبلاً علىٰ مولاه ، لا يمنعه عن ذلك اشتغاله بتحرير العلوم وبثها ونفع الطلاب ، كثير العبادة ، حريصاً علىٰ حفظ أنفاسه ، لا يخلو نفس منها في غير قربة إلى الله تعالىٰ ، مع كثرة آلامه وأمراضه ، محافظاً ومثابراً على القربات ؛ فمن عبادة إلى تلاوة قرآن أو ذكر إلى تأليف إلى تدريس إلى مجالس علم أو تصوف ، حريصاً على الاتباع والاقتداء بجده المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام ، القرآن أمامَه وإمامه ، كثير الذكر ، يتلو كلمة التوحيد في كل يوم سبعين ألفاً ، وإذا أعجبه شيء من الأذكار واستلذه . . كرره كثيراً ، وربما عقد منه مئاتٍ وآلافاً ، مداوماً على الصلاة في الجماعة ، يتحمل المشاق في رضا مولاه سبحانه وتعالىٰ ، استولت عليه محابّ الله ومحبته .

قال في بعض قصائده :

| | |
|---|---|
| مـــا منـــائـــي وبغيتـــي | غيـــر قـــربـــي مـــن الإلٰـــه |
| كـــي أفـــوز بنظـــرة | يـــوم أحظـــىٰ بملتقـــاه |
| عنـــه أرضـــىٰ حقيقـــةً | بعـــد مـــا صـــحّ لـــي رضـــاه |

**تلامذته والآخذون عنه :**

أما تلامذته والآخذون عنه : فهم كثير ، فبعد أن انتقل شيخه الإمام الحداد ، إلى جوار ربه الكريم الجواد . . تحمّل أعباء الخلافة من بعده ،

وقام بها أتم القيام ، مرشداً وداعياً إلىٰ الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأقبل عليه الناس ، وانتشر صيته في البلدان ، وانتفع به القاصي والدان ، وانتشرت دعوته في البلدان والوديان ، وانتفع الناس بوعظه وعلومه وكتبه ، وشُدَّت إليه الرحال ، وزاره وأخذ عنه وسلك علىٰ يديه الرجال ، ورجع إليه جماعة وتلامذة شيخه الحداد وأصحابه ، والتمسوا من بركاته ، وشمّوا طيب نفحاته ، واعترفوا له بالتقدم والإمامة ، والتصدر والزعامة ، والنجدة والشهامة ، ولبِس أكثرهم منه لباس الطريق ، واقتبسوا منه أسرار علوم التحقيق ، قال له شيخه الحداد : ( سوف ترىٰ أهل تريم يأتونك أرسالاً إلىٰ بلدك يزورونك ويستمدون منك ) ، فكان كما قال رضي الله عنهم أجمعين .

فممن أخذ عنه :

١ـ ولده علوي .

٢ـ وولده محمد .

٣ـ وولده أبو بكر .

٤ـ وولده حسن .

٥ـ وولده السلطان جعفر بن أحمد .

٦ـ وبنته الداعية إلى الله تعالىٰ ، الشريفة العفيفة : سلمى بنت أحمد .

٧ـ والحبيب محمد بن زين ابن سميط .

٨ـ وأخوه الحبيب عمر بن زين ابن سميط .

٩ـ والحبيب عمر بن عبد الرحمٰن البار .

١٠ـ والحبيب أحمد بن علي بن الحسين بن عمر العطاس .

١١ـ والحبيب علي بن حسن العطاس ، [قرأ عليه الفاتحة وعمره أربع عشرة سنة] .

١٢ـ وأخوه الحبيب أبو بكر بن حسن العطاس .

١٣ـ والحبيب شيخ بن عبد الله بن محمد بن حسين بن أحمد الحبشي .

١٤ـ والحبيب سقاف بن محمد السقاف .

١٥ـ والحبيب يوسف بن عابد الحسني [من أحفاد الحبيب يوسف الفاسي المغربي] .

١٦ـ والشيخ عمر بن عبد الله شراحيل .

١٧ـ والشيخ عمر بن عبد القادر العمودي .

١٨ـ والشيخ عبد الله بن عثمان العمودي .

١٩ـ والشيخ أحمد المغربي المكناسي .

وغيرهم . .

**الطب ومعرفته به :**

وربما قصده بعض الناس للعلاج والاستشفاء كما عُرف عنه معالجة الأدواء ، واشتهر في جهته بذلك ، وأنه إمام أهل زمانه فيه ، وقد يأمر بعضهم بالاغتسال في جابيته المشهورة بجابية الشفاء ، وقد قال له تلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط : ( لو أنكم فعلتم تصنيفاً في الأدوية المجرّبة حيث أنكم قد عرفتم الطبائع والعلل والأدوية ) ، فقال : ( ليس وصفنا الدواء للمرض من هذا القبيل ، إنما هو من حيث الهمة والنية الصادقة فقط ، ما دواؤنا إلا ذلك ، ولا نريد به إلا وجه الله تعالىٰ ، ولو كانت الدنيا بأيدينا . . لبذلناها لمن جاء إلينا لطلب التداوي ؛ ليسلَّم لنا الثواب في ذلك ، فضلاً عن أن نطلب منه الدنيا لذلك ) .

**رحلاته للدعوة إلى الله تعالىٰ وزيارة الصالحين ومآثرهم :**

لعلك تقف حائراً أيها القارىء الكريم مشفقاً على شيخوخته في اجتهاده المتواصل من غير انقطاع ، بحيث لا يجد متسعاً من وقته للراحة القليلة في سبيل نشر الدعوة المحمدية ، في مدن وقرى وأودية حضرموت المباركة ، ولو وقت القائلة وفي حر شمس الظهيرة ، فكان يأتي من قرى وادي ابن علي قرية الغُرَيب وغيرها من قراه ، ويجتمع فيها بأهلها آل أبي شراحيل وغيرهم للدعوة والإرشاد ، وكذا قرية يفل ـ بالياء المثناة من تحت والفاء ـ بعد أن بنى محبّه المنوّر محمد بن عبد الله باصهي الشبامي مسجده الذي بسحيلها بإشارته ، فصار جامعاً للبلد ، ويجتمع في قرية الرجيفة بتلميذه الشيخ عمر بن عبد الله شراحيل ، وبأهل تلك القرية للدعوة والمذاكرة في العلوم النافعة .

وكان كثير التفتيش عن الصالحين ومآثرهم ومقاعدهم ومعابدهم ، حتى في الجبال والأودية ، إذا بلغه عن أحد أدنى فضيلة . . قصده بالزيارة ؛ فقد زار حريضة ، واجتمع ببعض ذرية سيدنا الإمام عمر بن عبد الرحمٰن العطاس .

وزار دَوعن مرّتين ، واجتمع في أول زيارة له بالشيخ العارف بالله تعالىٰ علي بن عبد الله باراس في بيته بالخريبة ، وكذا الشيخ الصالح المنوّر محمد بامشموس [صاحب القرين] .

وزار قيدون ، وفيها ضريح الشيخ سعيد بن عيسى العمودي .

وزار الشيخ معروف بن عبد الله باجمّال ، المقبور بضرفون تحت بضة .

ووصل إلى قرية الرباط بأعلىٰ وادي دوعن ، وزار من بها من الصالحين .

وزار تربة الهجرين ، ودخل البلد ، ولقيه السيد صالح بن شعيب .

وزار حورة .

وعبر السّفِيل المعروف الذي يقطنه المشايخ آل أبي وزير .

وزار هينن مراراً ؛ لأن فيها قبر جده السيد الجليل علوي بن أحمد بن محمد الحبشي .

وكان كلما دخل بلداً أو قصد موضعاً . . يجتمع إليه خلائق من أهل ذلك المكان للدعوة والإرشاد ، والمذاكرة والاستمداد .

قصد مرةً مسجد الخوقة بمدينة شبام ، وكان تلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط يقرأ عليه ، فطلب أحد الحاضرين منه الدعاء بنزول المطر ، وكان الناس في ذلك الوقت مجدبين ، فقال نفعنا الله به : ( الناس لا يعرفون ، ولو عرفوا . . لتحققوا أن مجلسنا هذا خير لهم من كذا كذا سيل ، ثم قال : ولا يُلامون ، خصوصاً أهل هذه الجهة ؛ لضيق الحال وضنك المعيشة ، وقد قال لي سيدي عبد الله الحداد : أُدع الله لأهل حضرموت بالغيث ؛ فإنه لا يصلح دينهم إلا رخاء الأسعار ) .

كما كان ـ نفعنا الله به ـ كثير التردد إلىٰ مساجد تريم للصلاة والتعبد فيها ليلاً ونهاراً ، كثير الزيارة لمآثر آل أبي علوي وضرائحهم ومآثر وضرائح غيرهم من الصالحين ، خصوصاً تربتي تريم وشبام ، كان كثير التردد إليهما ، ويتتبع المزارات الشريفة ، والمآثر المنيفة ، والمشاهد والمعابد المأثورة أينما وجدت في بلده الغرفة أو سيؤون أو تريس أو حوطة سلطانة أو بور أو مدودة أو شِعب الحسيّسة ، وفيها قبرا سيدنا الإمام المهاجر أحمد بن عيسى ، وجدّه سيدنا الإمام أحمد بن محمد الحبشي وسُمل وفيها ضريح الإمام علوي بن عبيدِ الله ، وعَرض بور وفيها ضريح الإمام عبيد الله بن المهاجر ، وبيت جبير وفيها ضريح الإمام محمد بن علوي بن عبيد الله وابنه

علوي والد سيدنا الإمام علي خالع قسم ، وباجلحبان وفيها ضريح الشيخ عبد الرحمـٰن باجلحبان المشهور .

وغيرها من البلدان والوديان ؛ كوادي عيديد ودمّون .

**أسلوبه في الوعظ والإرشاد :**

كان أكثر دعواته وإنكاره المنكرات في الخاصّة إنما بالتعريض والتلويح ، والإشارة والتلميح ، لا بالمواجهة والتصريح ، وذلك أبلغ في الوعظ ، وأنجع لبلوغ المطلوب ؛ لأن النفوس إما أن تكون كريمة فلا تقاد إلا باللطف والرفق ، وإما أن تكون لئيمة وقد استكنّ فيها الكِبر والرئاسة فربما قابلت التصريح بالإباء والرد الصريح ، كما هو الغالب في طبع أهل الزمان ، غير أنه قد تحمله الغَيرة لله عزّ وجلّ في بعض الأوقات فلا يبالي عند ذلك .. فيذكّر ويزجر ، ويُعرِض ويهجر ، ويتنكر لمن يعرف لِمَا غلب عليه من تعظيم أمر الله تعالىٰ وهيبته في صدره ، وكان يذكّر العامّة صريحاً ولا يبالي ، ويشنّع فيها جداً ، ويوصي من يبلّغ أهلها ، كما كان شديد الحرص علىٰ ردّ الناس إلى الحق بأقصىٰ غايات الإمكان ، عظيم الشفقة عليهم في أديانهم ، ويبذل لهم في ذلك حاله وماله ، ولا يألو في إصلاحهم جهداً ، ولم يترك في هدايتهم وتقريبهم وترغيبهم في الإقبال على الله تعالىٰ بدّاً .

**زيارة نبي الله هود عليه السلام واهتمامه بها :**

كان كثيراً ما يرحل لزيارة نبي الله هود عليه السلام ، وكان حريصاً عليها ، لا تسمح نفسه بتركها ، ويقيم المولد الشريف في ذلك الشِعب النوير مع الجمع المبارك ، وربما أعطاه شيخه الإمام الحداد شيئاً من العود ليبخر به عند قراءة المولد ، ومرةً أعطاه شيخه الحبيب أحمد الهندوان في ذلك الشِعب شيئاً كثيراً من العود الطيب الفاخر الذي لا يكاد يوجد ، قال :

فصنعنا المولد وبخرنا بجميع ذلك البخور ، وأخبرت سيدي عبد الله الحداد بذلك . . فعجب أشد العجب ، واستحسن منّا علوّ الهمّة .

ومرّةً عزم على الزيارة مع جماعة من بلده ، ومرّوا علىٰ حاوي تريم وقَصْدُهم الزيارة مع الإمام الحداد ، فلما وصلوا إليه . . قال : إني هذه السنة لا أزور ؛ لأني رأيت في المنام كأن شخصاً مجّ في وجهي ماءً فأوَّلْتُ ذلك أنها تكون أمطار وغيوث كثيرة في وقت الزيارة ، فتأخرت همتي ، فقالوا له : ونحن إذن نترك الزيارة هذه السنة ؟! قال : لا تتركوا الزيارة ، اغتنموا قلّة العلائق ، وأنا لو كنت خفيف العلائق مثلكم . . لم أترك الزيارة لنبي الله هود عليه السلام ولو كان الماطر علىٰ رأسي ، سيروا علىٰ بركة الله ولا يصيبكم شر ، فكان كما قال ، ساروا ووقعت أمطار كثيرة وغيوث هائلة ، وقطعوا في مسيرهم نحواً من أربعة عشر سيلاً ، ورجعوا سالمين ولم تصبهم شِدّة ولا تعب ببركة الزيارة والإشارة .

وكان المترجَم نفعنا الله به يقول في آخر عمره : ( لمّا عجزنا عن زيارة نبي الله هود عليه السلام . . إذا شممنا رائحة الأراك تهيج بنا الأشواق لزيارته ، ونذكر بذلك زياراتنا السالفة وما جرى فيها ) .

وها هي إلى اليوم ـ ولله الحمد والمنّة ـ تعقد هـٰذه الزيارة المباركة العامّة الفخيمة مع الجموع العظيمة صباح اليوم الثامن من شهر شعبان من كل عام .

### أخلاقه الكريمة وأوصافه العظيمة :

كان رضي الله تعالىٰ عنه سخياً جواداً مفضالاً ، لا يبالي بما أُعطِي من الدنيا ولا لمن أعطىٰ ؛ لعدم الاحتفال بها ، لا يُفتح له بشيء منها . . إلا وأخرجه في الحال ، مواسياً للفقراء والمساكين ، محسناً إلى الغرباء والمنقطعين ، مواصلاً للأصحاب والأقربين ، حريصاً علىٰ كتمان ذلك ابتغاء وجه الله رب العالمين ، وإذا فعل الحضرات الذكرية وقراءة المولد

ونحو ذلك . . ينفق فيها شيئاً من البخور والقهوة ، وقد يفعل طعاماً ـ سيّما في أوائل أمره ـ بحيث يتعجب مَن حضر مِن جوده وقلة مبالاته بالدنيا ؛ لكثرته بالنسبة لضعف الجهة ، وكان يعامل العمّال والأجراء بالمعاملات الجميلة من مضاعفة الأجر خلاف ما يصنع الناس ، ويقول بما معناه : ( من استأجر في شيء لله كبناء مسجد أو نسخ كتاب أو نحو ذلك . . فلا ينبغي أن يعامل الأجراء بالاستقصاء ؛ لأن ذلك يدل علىٰ قصور النية أو عدم الإخلاص فيها ) ، وكثيراً ما يقول : ( من استعمل أجيراً في أي عمل كان ، وشارطه على دون ما يستحق وإن رضي ذلك المستأجَر . . **فإن ذلك من الظلم فَلْيُتَنَبَّه** ) ، وربما أعجبه شيء من ماله فجعله علىٰ بعض مساجده ؛ تقرباً إلى الله تعالىٰ .

وكان رضي الله تعالىٰ عنه شديد الورع ، عظيم الاحتياط في الدين ، حريصاً جداً على اتّباع جدّه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، يعامل الناس بالإيثار والفتوّة ، والكرم والمروءة ، ويكره المدح جداً إذا كان في مقابلة الصنيعة ، وأما إذا مُدِح ابتداءً . . فربما قبله من الله تعالى الذي أظهر الجميل ، ويرىٰ أن الله أنطق المثني بالثناء والمادح بالمدح ، ويقول مثل شيخه الحداد : ( إذا لم يكن وصفنا يكون مدحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو الجد والبركة الشاملة لأهل بيته المطهّر ) .

وكان يذم الظانّين من أهل الزمان أن طاعة الله عز وجل بفعل صور أعمال البِر والمثابرة علىٰ ذلك ظاهراً مع الغفلة عن حقيقة التقوىٰ باطناً ، ومع التخليط والتفريط في الورع ، ويقول : ( ليس ذلك من الدين في شيء ، وإنما ذلك كسب أهل الغرور والظن بأنفسهم الخير والكمال ، مع خلوّهم وإفلاسهم منه ) .

ومن ورعه رضي الله تعالىٰ عنه أنه يخرج زكاة زروعه وثماره التي تأتيه من أهل شراكته في النخيل والمزارع ضعفين أو ثلاثة أضعاف علىٰ قدر الواجب ، ويترك أحياناً دابته في حائط مسجده بالغرفة فجعل للمسجد بسبب

ذلك أجرة ؛ وله في الورع والزهد أمور غريبة ، ووقائع عجيبة ، يطول حصرها .

ولمّا زهد فيما رغب فيه الناس من الدنيا ، وهَدَم ما عمروه منها . . أتت له الدنيا راغمة ، فتجافىٰ عنها اختياراً ، ولم يأخذ إلا ما يواسي به الفقير ، ويصل به المنقطع ، ويعين علىٰ نوائب الحق .

وكان يقول : ( إن أهل الله لم يعرّجوا عليها ) ، فكان لا يدبّر للمستقبل ، ولا يدّخر شيئاً من مال ؛ ثقةً بالله تعالىٰ ، واعتماداً عليه ، واقتفاءً لجده المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، ويقول : ( إن تدبير المستقبل يؤلم قلبي ) .

قال تلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط : ( جالسناه سنين عديدة ، فما سمعته يذكر الدنيا ولا يعبأ بأربابها ، وينظر إلىٰ أبنائها بعين الاستصغار ، وإلى الزاهدين فيها وأهل القناعة بعين التعظيم والإكبار ) .

كما أنه كان عظيم الورع في الأقوال ، كما هو في الأعمال والأفعال ، شديد الاحتراز في النطق ، يزن أقواله كما يزن أفعاله علىٰ قانون الحق ، وسنن العدل ، وطريق الإنصاف ، لا تُسمع قط في مجالسه غيبة مسلم ولا نميمة ، ولا ما يدل علىٰ إساءة الظن والاستهانة به ؛ إذا سمع شيئاً من ذلك أو شمّ رائحةً فيما هنالك . . يزجر صاحبه وينهاه ، ولا يخاف عند ذلك في الحق لومة لائم ؛ غَيرةً لله تعالىٰ إذا انتهكت حرمة مسلم .

وكان عظيم الغَيرة ، شديد المقت لمن يذكر أحداً من المنسوبين إليه من الأولاد والقرابة والأصحاب بسوء ، زيادةً علىٰ ذكر الأجانب ، وفي ذلك معنًى جليل ، يعرفه أهل الفهم ، ويخفىٰ علىٰ أهل القصور .

كما كان ـ نفعنا الله تعالىٰ به ـ شديد التواضع يكره الظهور والشهرة ، ويميل إلى الخمول والوحدة ، ولا يعبأ بقيام المنزلة في قلوب الناس ، وكان

ظهوره للناس واجتماعه بهم إنما هو في سبيل الدعوة إلى الله جل وعلا .

حصل عليه في بعض السنين عارض مؤلم في كفه ، فمنع الناس عن المصافحة مدّةً لوجود الألم ، فتعبوا لذلك واستوحشوا ، فقال له تلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط : لو أنكم تركتموهم يقبّلون قدمكم بدل اليد ، فتعجّب من كلامه ، وقال له : ( قطعُها عندي أهون من تقبيلها ) ، قال ذلك تواضعاً لله عز وجل وكراهيةً للجاه .

وقد كان ليّن الجانب ، مخفوض الجناح ، حسن الخلق مع القريب والبعيد ، بلغ في ذلك مبلغاً عجيباً ، لا يعرفه إلا من شاهده وجالسه ، عظيم الإدّكار والإنكسار ، دائم الافتقار للعزيز الجبار ، معترفاً بالتقصير علىٰ دوام الأوقات ، مع شهود النعمة ورؤية المنة لله ، والشكر له علىٰ ما أعطىٰ ومنح من الفضل .

وكان يوصي أصحابه وأحباءه بالحلم والصفح ، واحتمال الأذىٰ والصبر ، وعدم المقابلة والدعاء علىٰ من ظلمهم ، وأن يكلوا أمرهم إلى الله الناصر المعين ، ويقول : ( اجعلوا بدَل الدعاء على الظالم الدعاء له ؛ ليسلم هو من الظلم ، وتسلم أنت من شرّه ) .

وكان نفعنا الله تعالىٰ به شديد الخوف ، عظيم الرجاء ، قد اعتدل خوفه ورجاؤه ، وقد يغلب عليه هٰذا مرّةً وهذا أخرىٰ ، وكان كلامه بحسب ما يعطيه الحال غالباً .

### سماعه للشعر وطربه له :

وقد يحصل معه الطرب إذا قرىء بين يديه في شيء من كلام أهل الإشارات أهل الذوق والشوق ، مثل ديوان شِعر الإمام أبي بكر بن عبد الله العيدروس العَدني ، أو الإمام ابن الفارض ، أو الإمام السودي ، أو الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة .

وقد قرأ المترجَم علىٰ شيخه الإمام الحداد « ديوان ابن الفارض » ، وتكلم علىٰ تائيته بكلام عزيز ، كما كان كثير الكلام علىٰ قصائد بامخرمة ، وقد يستشهد بها في خلال كلامه ، ويميل إلىٰ قصائد مخصوصة من « ديوانه » ويأمر الناس بحفظها وإنشادها في مجالسه ، قال تلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط : ( كنت أقرأ عليه في « ديوان الإمام السودي » ليلاً ونهاراً ، وقد تستغرق القراءة فيه أكثر الليل وهو لا يدري بالوقت ؛ لشدة ما يجد من الوجد وكثرة ما يرد عليه من العلوم والإشارات ، حتىٰ قرأته كله ، وقرأت عليه ديوان الإمام العَدني واستمرت القراءة من بعد الظهر إلىٰ بعد العصر ، وهو يتكلم بإشاراته ) .

**مساجده وآثاره الخالدة :**

كان رضي الله تعالىٰ عنه شديد الحب للخير ، شغوفاً بعمارة المساجد والمآثر والزوايا ، فقد بنى لله تعالىٰ سبعة عشر مسجداً في أماكن متعددة من وادي حضرموت المبارك ، وكان شيخه الإمام الحداد يقول له : ( أنت أبو المساجد ) ؛ لكثرة مساجده ، وفي ذلك يقول الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير ـ أحد الفقهاء العبادلة السبعة في حضرموت المتوفى بالحوطة سنة ( ١٢٦٢هـ ) في قصيدته ممتدحاً بها سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشي ، ومتوسلاً ، وهي من القصائد الثابتة في حضرته الشهرية الشهيرة ، ومطلعها :

يا شيخَنا يا أحمد ... يابن زين يا عاليَ المقصد
يا سلطان في العلم يا أوحد ... يا المرفوع كالعلم المفرَد

ثم قال :

كم مسجدْ لك في الجِههْ يُقصَد ... فيه الرب المعتلي يُعبَد

وقد أنفق المترجَم علىٰ مساجده أموالاً وصدقات كثيرة ، فأول مسجد بناه من أصله في حياة والده مسجد باعلوي بالغرفة عام ( ١١٠٣هـ ) ، وكان المعلّم باشاذي هو الذي عمره وعمر مسجد شيخه الإمام الحداد المعروف بالأوّابين بنويدرة تريم ، وكان المترجَم يسمي مسجده باعلوي أبا المساجد .

كما جدّد بالغرفة مسجد الروضة ، وكان مسجداً داثراً ينسب لآل أبي جمّال .

وفي خلع راشد ـ الحوطة ـ جدّد مسجد الرُّشد ، وكان مسجداً صغيراً لجده الإمام أحمد الحبشي ـ صاحب الشعب ـ فوسّعه جداً ، وأقام فيه الجمعات والجماعات ، وكثّر عليه الصدقات ، وهو المعروف الآن بمسجد الجامع .

أمّا مسجد البهاء الذي حول داره . . فقد بناه واستجده من أصله ، وكان موضع صلاته وحزبه ودروسه ، وأقام فيه حضرة الذكر الجهرية الأسبوعية إلىٰ أن توفي رحمه الله تعالىٰ ، وهي ولله الحمد والمنة تقام حتى يومنا هذا كل ليلة جمعة بعد صلاة العشاء .

وفي الجهة الجنوبية الغربية من الحوطة بنى مسجد النور بمنطقة بامعدان .

وفي مدينة شبام جدّد مسجد معروف الكائن خارج البلاد غرباً ، وكان مسجداً مدفوناً ، فوقه مثله من التراب ، منسوباً للشيخ معروف بن عبد الله باجمّال ، فعمره وبنى جدرانه ، وأحكم مبناه ، وذلك في عام ( ١١٢١هـ ) .

كما جدّد بها مسجد ابن أحمد الكائن بطرفها الغربي ، وكان مسجداً معطّلاً مهجوراً ، ينسب للشيخ محمد بن أحمد شراحيل . . فعمره ووسّعه ،

وزاد فيه الصف الأول ، وذلك عام ( ١١٣٠هـ ) .

وفي الوقت نفسه كان يعمر مسجد النور بمنطقة خمور ، الكائنة غرب شبام إلى الجهة الجنوبية ، وقد بناه من أصله .

كما بنى مسجداً بمنطقة جعيمة الكائنة أسفل الجبل شمال شبام .

ومسجداً بمنطقة نعام الكائنة غرب جعيمة .

ومسجداً بمنطقة العَرض الكائنة غرب نعام .

ومسجداً بمنطقة جوجة الكائنة غرب العَرض .

ومسجداً بمنطقة القارة ، وهي ما تعرف بقارة آل عبد العزيز ، ومشهور عندهم بمسجد أحمد .

ومسجداً بمنطقة الجَوادة من أعمال وادي سر .

ومسجداً في قرية الخرابة بأعلى وادي حضرموت .

ومسجداً في شعب شحوح الواقع بين بلدة تريس وسيؤون إلى الجهة الجنوبية .

ومسجداً ملاصقاً لمسجد شيخه الإمام الحداد من الجهة الشمالية ، الكائن خارج السدّة ـ البوّابة ـ الغربية لمدينة سيؤون .

ولا تزال تلك المساجد ولله الحمد والمنة معمورةً بالصلوات والجماعات .

ومن آثاره : الزاوية المعروفة ، المشهورة بمسجد ابن أحمد ، بمدينة شبام سالف الذكر ، وقد أحدثها وهي في ملكه ، وليست للمسجد ، ثم إنه وهبها وملّكها لتلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط .

كذلك من آثاره ومما يدل علىٰ حبه للصدقات الجارية عَمِلَ قِرْبَةَ ماء ـ مَسْقَى ـ ليشرب منها الناس في سوق شبام ، وأوقف عليها داراً يكون ريعها

للاهتمام والمحافظة على استمرار ذلك ، وقد قال له أهل شبام ما معناه : إنك تنافسنا حتى في سقي الماء ، فأجابهم : أرأيتم التاجر يعرض في متجره كل شيء حتى الحبال التي تربط بها الدواب وما ذلك إلا من أجل الربح الدنيوي ونحن نبحث عن الربح الأخروي ، رضي الله عنه وأرضاه .

ومن آثاره الخالدة : مدرس العلم الشريف الذي يعقد إِلىٰ يومنا هـٰذا صباح كل يوم إثنين وخميس في مسجد الجامع بحوطته المنيرة ، وحضرة الذكر الجهرية الأسبوعية التي تقام بمسجد البهاء كما أسلفنا ، وحضرة الذكر الجهرية الشهرية كان يقيمها في حياته في مسجد الروضة بالغرفة ، وبقي إبّان إقامته بخلع راشد يطلع إليه بكرة آخر جمعة من كل شهر ، ويحضرها جمع غفير ، ثم آخر وقته أبدل الجمعة آخر كل أحد من الشهر ، فمن هنا أخذ الإشارة أولاده نفعنا الله بهم في إقامة الراتب والحضرة المشهورة عند ضريحه الشريف آخر أحد من كل شهر ، وهي ولله الحمد والمنة تقام إِلىٰ يومنا هـٰذا قبل ظهر ذلك اليوم في قبته المشهورة .

## مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة وعظيمة ، في المنقول والمعقول ، دالّة علىٰ تبحره واتساعه في العلوم ؛ منها :

« السفينة الجامعة الكبرىٰ » ، تنيف علىٰ عشرين مجلداً[1] .

---

(١) يقول عنها المترجَم : ( وبعد : فهـٰذه سفينة العلوم والفوائد والموائد ، وسفينة النجاة من الشدائد ، وسفينة الهداية إلىٰ علوم الأنبياء والأولياء ، ولو لم يكن فيها إلا ما التقطناه وانتخبناه من « إحياء علوم الدين » وكتب شيخنا عبد الله الحداد ، و« الرسالة » و« العوارف » وسائر فنون العلم ؛ من : الحديث ، والتفسير ، والفقه ، وأصوله ، واللغة ، والعقائد النبوية ، وعلم الكلام في أصول الدين ، وأخلاق الأنبياء والأولياء المقربين ، وسيرهم ، وأخبارهم ، ومناقب الصحابة ، =

وله كتاب « شرح العينية » مطبوع ، وهو مرجع في فن التراجم ، سماه شيخه الحداد : « النفحات السرية والنفثات الأمرية » .

وله جمع كتاب « النفائس العلوية في فتاوى الصوفية » بإشارة شيخه الحداد مطبوع .

وله كتاب « شرح البائية » جمع فيه علوماً كثيرة ، وهو كفاية ، بل عليه المعتمد لسالك الطريقة على الحقيقة ، سماه شيخه الحداد : « الموارد الروية الهنية » هذا الذي بين يديك .

وله « شرح النونية » مطبوع ، في مقدار مجلد لطيف ، ولما بلغ إلىٰ قوله : ( فيا رب عاملنا بلطفك واكفنا ) إلى آخر البيتين الأخيرين . . أرسله إلىٰ شيخه الحداد فأكمله وسماه : « سبيل الرشد والهداية في وصية أهل البداية » .

وله شرح قصيدة ( لجيران لنا بالأبطحية ) ولما أكمله . . أرسله إلى شيخه المذكور فسماه : « الجذبات الشوقية إلى المقاعد الصدقية » ، وعنه يقول المترجم : ( أول ما فتح الله علي بالعبارة من حيث الإشارة بشرح هٰذه القصيدة ) .

---

= وعددهم ، ودرجاتهم ، وعلوم الطب ، والحكمة ، والفلك ، والنجوم ، والسماوات ، والأرضين ، وعلم الأسماء الحسنى ، والتخلي ، والتحلي ، والتجلي ، والكرامات وخوارق العادات ، وما يطهر من الذنوب والعيوب ، وما يكشف الله من علوم الغيوب بتقوى القلوب ، وما يفرج به الهموم والكروب ، وعلوم الهيئة ، والمواقيت ، والحرف ، والاسم ، والحد ، والرسم ، وموازين العلوم ، ومعيار الأعمار ، وتفسير المقامات والأحوال ، وتحقيق الشريعة والطريقة ، والتنبيه على الحقيقة ، والتمسك بالعروة المحمدية الوثيقة ، ومناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح ، وسيرهم ، وعلوم أسرارهم وآدابهم . . ) إلخ ما قاله . نسأل الله تعالى التوفيق لخدمتها ) .

وله شرح قصيدة ( الحمد لله الشهيد الحاضر ) المسمى : « الروض الناضر » .

وله رسالة على حديث : « طهور إناء أحدكم » المسماة : « الإشارة الصوفية إلى الأطوار السبعة الإنسانية » .

ورسالة لطيفة جداً سماها : « تبصرة الولي بطريق السادة آل أبي علوي » .

وهٰذه المؤلفات الأربعة الأخيرة جمعت في كتاب واحد في طريقها إلى الطبع إن شاء الله تعالىٰ .

وله كتاب « المسلك السوي » التقطه من كتاب « المشرع الروي في مناقب السادة آل أبي علوي » بإشارة شيخه الحداد ، وختمه بترجمة لشيخه المذكور ، أطال فيها . في طريقه إلى الطبع إن شاء الله تعالىٰ .

وله « الرسالة الجامعة »[1] مطبوع ، وهي نبذة مختصرة جداً ، جمعت

---

(١) اهتم بها كثير من العلماء بالشرح والنظم منها :
١ـ الأنوار اللامعة والتتمات الواسعة شرح الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة للشيخ العلامة عبد الله بن أحمد باسودان المتوفى (١٢٦٦هـ) تحت الطبع .
٢ـ بهجة الوسائل بشرح مسائل الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة للشيخ العلامة محمد نووي بن عمر بن علي بن عربي البنتني المتوفى (١٣١٤هـ) مطبوع .
٣ـ شرح العلامة الشيخ محمد سعيد بابصيل الحضرمي المكي المتوفى (١٣٣٠ هـ) مخطوط .
٤ـ الدرر اللامعة شرح الرسالة الجامعة للشيخ العلامة محمد بن محمد بن عيسىٰ فقيرة المتوفىٰ (١٣٣٩هـ) مطبوع .
٥ـ شرح العلامة الشيخ أحمد بن حسن دللي الزبيدي ( غير كامل ) .
٦ـ وحديثاً شرحها السيد الفقيه : عبد القادر الجيلاني بن سالم خرد شرحاً توسع فيه . . ( سيطبع إن شاء الله تعالى ) .
٧ـ نظمُ السيد العلامة عمر بن سقاف بن محمد بن عمر السقاف المتوفى ١٢١٦هـ .
٨ـ الأضواء اللامعة نظم الرسالة الجامعة للحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر المتوفىٰ (١٢٧٢هـ) . =

بين التوحيد والفقه والتصوف ، فيها كفاية وهداية للمبتدي .

وله حزب الأسبوع في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي كيفيات استحسنها ، مرتبة علىٰ أيام الأسبوع . طبعت حديثاً مع زيادات أخرى .

ونبذة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن قراءتها يوم الجمعة بعد قراءة سورة الكهف . طبعت أيضاً مع حزب الأسبوع .

وله أدعية مباركة مطبوعة ، تقرأ بعد قراءة دعاء صلاة التراويح والوتر في كل ليلة من شهر رمضان المبارك .

وخطب رمضانية . مخطوطة ، تقرأ بعد قراءة دعاء ختم القرآن في ليالي شهر رمضان .

وله الكلام منه المنثور والمنظوم ، جمع بعضه تلميذه الحبيب محمد بن زين ابن سميط في كتابه « قرة العين » .

وأحيلك أيها القارىء الكريم علىٰ بقية مؤلفاته خلف هـٰذا الكتاب .

**استيطانه بخلع راشد ووفاته بها :**

بعد أن أقام بالغرفة بلده وبلد أبيه وجدِّه أكثر عمره ، وبنىٰ بها بيته ومسجديه ، وعمر معانيها ومغانيها بالبركات والأسرار والأنوار ، من تدريس العلوم النافعة ، وإقامة الحضرة الذكرية ، ودعوة القريب والبعيد إلىٰ طريق الحميد المجيد ، ولما ابتدأ ظهوره بها . حصل عليه أذًى شديد من بعض أهلها ، لـٰكن شأنه الحلم والصبر ، والصفح واحتمال الأذىٰ ، فحصلت له الإشارة ، وطاب له النزوح والإقامة والتوطن بخلع راشد ، فانتقل إليها ،

---

= ٩ـ نظمُ العلامة السيد محمد بن أحمد بن علوي باعقيل السقاف القيدوني .

ووجد البغية المنشودة فيها ، وشاد بضاحيتها الغربية داره ومسجده المعروف والمشهور بمسجد البهاء ، وسكن هناك ، فسعدت به ، وصارت بلدةً محميةً عرفت بالحوطة ، فبرز فيها في مظهر عظيم ، وزعامة علمية ، ومشيخة صوفية ، لها تلاميذها ومريدوها ، وكثرة زائريها باستمرار ، من جميع النواحي والأقطار ، فكان بينهم كالأب الشفيق ، والروض المثمر الأنيق ، خلق سمح ، وشدة تواضع ، ولين جانب مع القريب والبعيد ، وحلم وصفح ، وحياء ومهابة ، وسع الناس بأخلاقه وعلمه ، وغمرهم بجوده ولطفه وعطفه ، مع الاعتراف بالتقصير ودوام الافتقار والانكسار ، بتلك المزايا عُرف وساد ، وعم نفعه الحاضر والباد ، وقضىٰ ما تبقىٰ من عمره في هٰذه البلاد علىٰ أوضح قدم نبوي في استقامة ونسك وعبادة .

واستمر علىٰ هٰذا الحال ، قائماً بحقوق ربه المتعال ، متخلقاً بأخلاق نبيه والكمّل من الرجال ، متعبداً لربه بالصلاة والصيام والتلاوة والذكر والتضرع والابتهال ، باذلاً عمره في تدريس العلوم ، والدعوة إلىٰ سبيل الحيّ القيّوم ، حتىٰ جاءه اليوم المحتوم ، فلبى دعوة ربه ولسانه رطب بذكره ، حتىٰ وافته المنية عن مرضٍ خفي ، ففاضت روحه الشريفة عصر يوم الجمعة ( ١٩ ) شعبان عام ( ١١٤٤هـ ) ، وأرّخ بعض الفضلاء تاريخ وفاته فجاء : ( القطب غاب = ١١٤٥ ) .

رحمه الله تعالىٰ رحمة الأبرار ، وجعل مستقره الفردوس الأعلىٰ في جنات تجري من تحتها الأنهار ، وقد ارتجت الأرض لهول فقده ، وارتاعت لموته القلوب وتصدّعت ، ولا نقول إلا ما يقوله الصابرون : ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) .

وغسله بعض أولاده وخدامه ، وتقدم في الصلاة عليه أخوه السيد الجليل حسين بن زين الحبشي في جمع كثير ، وجم غفير ، ثم حمل إلى القرية تربة أرض الحوطة المعروفة ، ودفن بها ، وبني علىٰ قبره الشريف قبة معظمة ،

واسعة محكمة ، تصدىٰ لبنائها ابنه السيد الجليل الفاضل الكامل السلطان جعفر الصادق بن أحمد بن زين الحبشي ، وهي مفتوحة الأبواب للزائرين إلىٰ يومنا هـٰذا وفي كل وقت وحين .

قال الحبيب العارف بالله تعالىٰ عمر بن زين ابن سميط في الحث علىٰ زيارة المترجَم : ( من عجز عن زيارة نبي الله هود عليه السلام . . فليزر تريم ، ومن عجز عن زيارة تريم . . فليزر الحبيب أحمد بن زين الحبشي ؛ فإن جميع ما معهم ـ أو قال ما عندهم ـ عند الحبيب أحمد بن زين ) .

رضي الله عنه وعنهم أجمعين ، ونفعنا ببركات الصالحين .

وقد رثاه كثير من الشعراء والأدباء ، لا يسعنا في هـٰذه العجالة ، ذكر شيء من ذلك خوف الإطالة .

وعنده من **الأولاد** : علوي ، ومحمد ، وأبو بكر ، وحسن ( أمهم الشيخة عالية[١] بنت راشد باشراحيل ) .

وسلمى[٢] وجعفر ( أمهما الشريفة شيخة بنت عمه عيدروس بن علوي بن أحمد الحبشي ) .

وقد مات كثير من أولاده في حياته ؛ منهم : عمر وعبد الله وعلي وغيرهم من البنات .

أما ابنتاه علوية ورقية[٣] . . فأمهما ( فاطمة بنت عمه عيدروس بن

---

(١) بعد وفاتها تزوج المترجَم بأختها عائشة بنت راشد باشراحيل .

(٢) اشتهرت بالولاية والكرامات وكانت داعية إلى الله تعالى ، ولها مقام مشهور بحاوي الحوطة بحضرموت لنشر الدعوة ، تزوجها الحبيب طه بن عمر بن علوي الحداد وذريتهما المباركة منتشرة بالحاوي وغيره ، وقبرها معروف بقبتها المستقلة بجوار قبة والدها تزار ويتبارك بها .

(٣) تزوجها الحبيب أحمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن سقاف بن محمد الهادي بن عبد الرحمـٰن بن الشيخ احمد شهاب الدين المتوفى بتريم سنة (١٢٠٧هـ) ولهما ذرية=

علوي ) سالف الذكر وقد تزوجها في حياة والده زين قبل أختها شيخة ، وماتت في حياته ، أما شيخة.. فماتت بعد وفاته بشهر ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقد خلفه في مقامه ولده الإمام الحَبر السلطان : جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، بعد أن اختاره إخوانه وجعلوا كل الأشياء تحت نظره ، وحسب إشارة والدهم الباطنة ، فقام بها أتم القيام ، وتحمّل أعباء الخلافة ، والدعوة ، والتبليغ ، ونشر العلم ، والدعوة إلى الهدىٰ ، والدلالة على الخير ، وإرشاد الضالّ ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإغاثة الملهوف ، وإعانة المحتاج ، ونصرة المظلوم ، والإنصاف من الظالم ، وإكرام الضيف ، والإصلاح بين الناس.. فسطعت المنصبة الحبشية في وقته ، وبرزت في مظهر عظيم ، ومفخر فخيم ، فظهرت طاساتها وراياتها في أيام أعيادها وأفراحها تعظيماً لشعائر الله في مواكب عظيمة مهيبة ، يتخللها الحداة بذكر الله والتحدث بنعمة الله ، وتحتوي على المواعظ التي تحث على التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترى ذلك جليّاً في عيدَي الفِطر والأضحى ، وإلىٰ يومنا هـٰذا ولله الحمد والمنة في الأول من شهر شوال والعاشر من شهر ذي الحجة ، أما في اليوم الثالث من شهر شوال والرابع عشر من شهر ذي الحجة. . فإن الناس يتوافدون إلى الحوطة من شتىٰ بلدان وادي حضرموت المبارك فيما يسمى بيوم العواد أو عواد القبة ؛ للاجتماع والنفع والانتفاع ، والذكر والتذكير ، والتزاور وتبادل التهنئة .

وقد برز هـٰذا الإمام كمرشد ديني ، وواعظ مؤثر ، وكزعيم مشرف على القبائل الكثيرية التي حوله ، وكصوفي ذائق ، وله شعر رائق ، يحب السماع

---

= مباركة . انظر كتاب «الفرائد الجوهرية» للحبيب عمر بن علوي الكاف (ص٢٧٨).

ويطرب له ، وإذا تكلم في التصوف . كان يذهل الألباب ، وقد تحدث عن ( الفرق والجمع ) بما لم يتحدث به الغزالي والسهروردي ، كما كان زاهداً ناسكاً ، متواضعاً جميل الشمائل ، كثير الأذكار والأوراد وتلاوة القرآن ، واستمر علىٰ هـٰذا المنوال ، متخلقاً بأخلاق الرجال ، وخليفة لأهل الكمال ، حتى شدّت إليه الرحال ، من كل منحدر وعال ، وما زال علىٰ ذلك الحال حتى استخاره الله تعالىٰ لجواره ، فتوفي يوم الثلاثاء ( ٢٨ ) رمضان سنة ( ١١٨٩هـ ) ودفن بجوار والده داخل القبة في الجهة الشرقية .

وقد خلفه من بعده ابنه الفقيه العلامة الإمام : أحمد بن جعفر ، المتوفىٰ في ( ٢٣ ) جمادى الآخرة سنة ( ١٢٢٠هـ ) ، ودفن داخل القبة بجوار والده في الجهة الجنوبية .

ثم خلفه ابنه الفقيه العلامة الإمام : محمد بن أحمد ، المتوفىٰ بالحوطة سنة ( ١٢٥٤هـ ) .

ثم خلفه من بعده أولاده[1] ، ثم أحفاده ، وهـٰكذا دواليك إلىٰ يومنا

---

(١) بعد البحث والمراجعة اتضح لنا الذين تدرجوا في المنصبة الحبشية ، وهم :
الحبيب : أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة سنة (١٢٨١ هـ) .
ثم الحبيب : صالح بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة سنة (١٣٠٣هـ) .
ثم الحبيب : عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة في محرم سنة (١٣١٤ هـ) .
ثم الحبيب : صالح بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة في رجب سنة (١٣١٨هـ) .
ثم الحبيب : سالم بن طه بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة سنة (١٣٣٤هـ) . =

هـٰذا ، سالكين على المسلك السوي ، والنهج العلوي .

ربِّ فانفعنا ببركتهم ، واهدنا الحسنى بحرمتهم ، وأمتنا في طريقتهم ، ومعافاة من الفتن ، وبارك اللهم في ذرّية هـٰذا الإمام ، واهدهم سبل السلام ، واعمر بهم هـٰذا المقام ، وكذلك جميع مقامات أسلافنا العلويين اعمرها يا الله بأهلها وسائر مقامات الصالحين ، وانصر الإسلام والمسلمين ، وأيدهم بتأييد من عندك ، وانصرهم علىٰ أعدائهم يا رب العالمين ، وأدم راية الدين القويم منشورةً علىٰ مرّ الأيام والشهور والسنين ، واغفر اللهم لنا ولوالدينا وأولادنا وأهلنا وقراباتنا ومشايخنا وأحبابنا ومن له حق علينا ومن أحسن إلينا ومن أوصانا أو استوصانا بالدعاء وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات

---

= ثم الحبيب : عبد الرحمـٰن بن حسن بن شيخ بن عبد الله بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة سنة (١٣٣٦هـ) .

ثم الحبيب : عمر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة ، فاتحة رجب سنة (١٣٦١هـ) .

ثم الحبيب : علي بن عبد الرحمـٰن بن أحمد بن عمر بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بالحوطة في جمادى الآخرة سنة (١٣٨٣هـ) .

ثم الحبيب : عبد الرحمـٰن بن حسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفىٰ بالحوطة سنة (١٣٩٧هـ) .

ثم سيدي وشيخي الحبيب : عيدروس بن عبد القادر بن هاشم بن أحمد بن جعفر بن هاشم بن علي بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، المتوفى بأبوظبي في دولة الإمارت العربية في ٤ ذي الحجة سنة (١٤٠٩هـ) .

وحالياً سيدي الوالد : شيخ بن عبد الله بن سالم بن طه بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، حفظه الله وأمتع بحياته ورزقنا حسن الأدب معه ووفقنا للقيام ببره وأعانه على حمل الأمانة وتحمل أعبائها ، إنه سميع مجيب . وكتبه : محمد بن شيخ .

برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جمع الترجمة وكتبها نقلاً عن كتاب

« قرة العين » للحبيب محمد بن زين ابن سميط وغيره بتصرف وزيادة

محمد بن شيخ بن عبد الله الحبشي

حرر فاتحة شهر ربيع الأنوار ( ١٤٢٣هـ )

* * *

# وصف النسخ الخطية

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب النفيس على نسخ خطية أربع :

**الأولى** : تتكون من مئة وثلاث وخمسين ورقة ، عدد سطورها عشرون سطراً ، يتراوح عدد كلمات السطر ما بين سبع إلى تسع كلمات ، خطها واضح وجميل . ورمزنا لها بـ( أ ) .

**الثانية** : تتكون من مئتين وأربع ورقات ، عدد سطورها ستة عشر سطراً ، يتروواح عدد كلمات السطر ما بين عشرة إلى اثنتي عشرة كلمة ، خطها واضح لا بأس به . ورمزنا لها بـ( ب ) .

**الثالثة** : تتكون من مئة وثلاثين ورقة ، عدد سطورها ثمانية عشر سطراً ، يتراوح عدد كلمات السطر ما بين سبع إلى عشرة كلمات ، خطها نسخي جميل . ورمزنا لها بـ( ج ) .

**الرابعة** : تتكون من مئة وتسع وستين ورقة ، عدد سطورها ثمانية عشر سطراً ، وعدد كلمات السطر ما بين ثمانية إلى اثنتي عشرة كلمة ، خطها واضح وجميل . ورمزنا لها بـ( هـ ) .

هذا . . وقد أثبتنا في آخر الكتاب خواتيم هذه المخطوطات وتاريخ نسخها واسم ناسخها . فلينظر هناك .

* * *

# عملنا في الكتاب

١ ـ قمنا بنسخ نسخة ( أ ) ، ومقابلة النسخ الأخرى عليها ، وإثبات الفروق التي تُظْهِر اختلافاً في المعنى .

ولم نُعنَ بالفروق المتشابهة التي لا تغير معنىً ولا تخل بمتن ؛ كيلا يثقل الكتاب بالهوامش .

٢ ـ عزونا الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٣ ـ عزونا معظم الأحاديث النبوية إلىٰ مظانِّها في دواوين السنة المطهَّرة .

٤ ـ وثَّقنا معظم النصوص التي ذكرها المؤلف في كتابه هذا بردها إلىٰ مظانِّها ما أمكننا ذلك .

٥ ـ جعلنا الأبيات المشروحة في أول الصفحة .

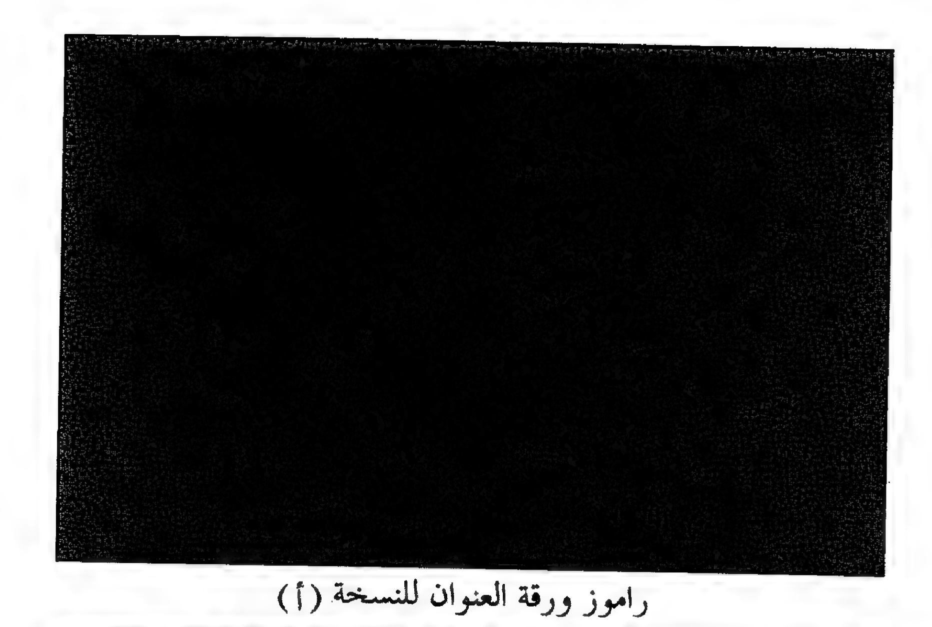
وأخيراً : هذا جهد المقل ، فإن أصبنا فمن فضل الله تعالى ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ، والله من وراء القصد .

والحمد لله رب العالمين

* * *

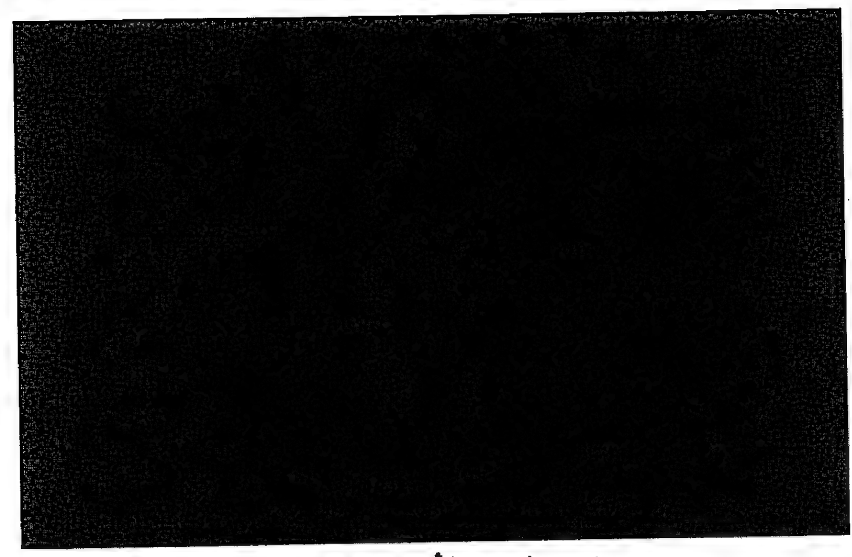
# صور المخطوطات المستعان بها



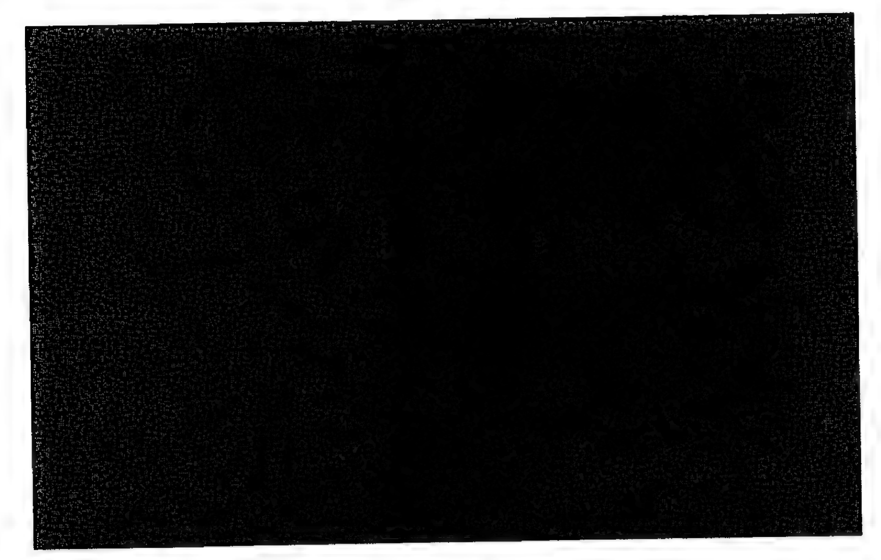


راموز ورقة العنوان للنسخة (أ)

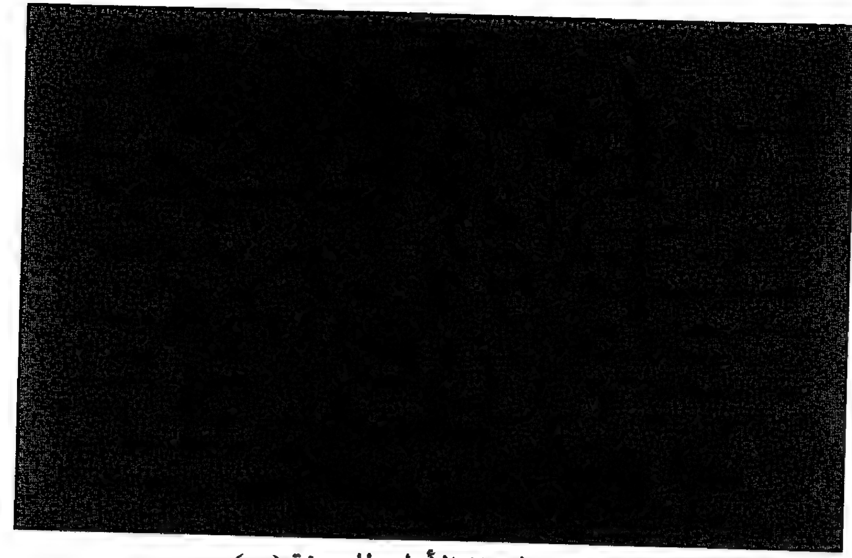
راموز ورقة العنوان للنسخة (ب)



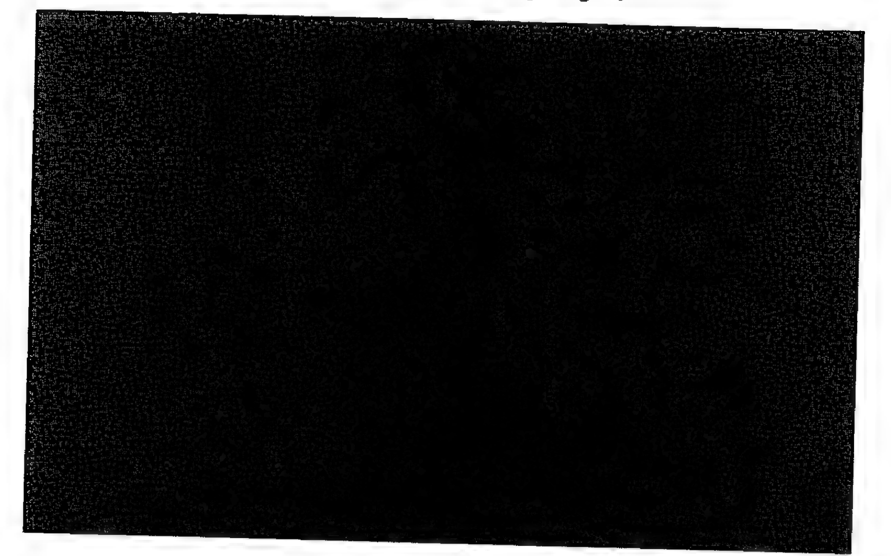
راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)



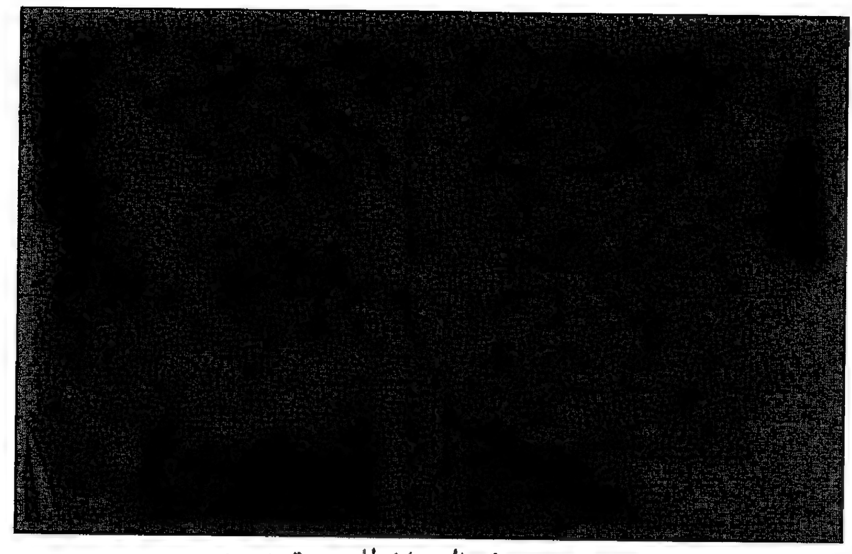
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)



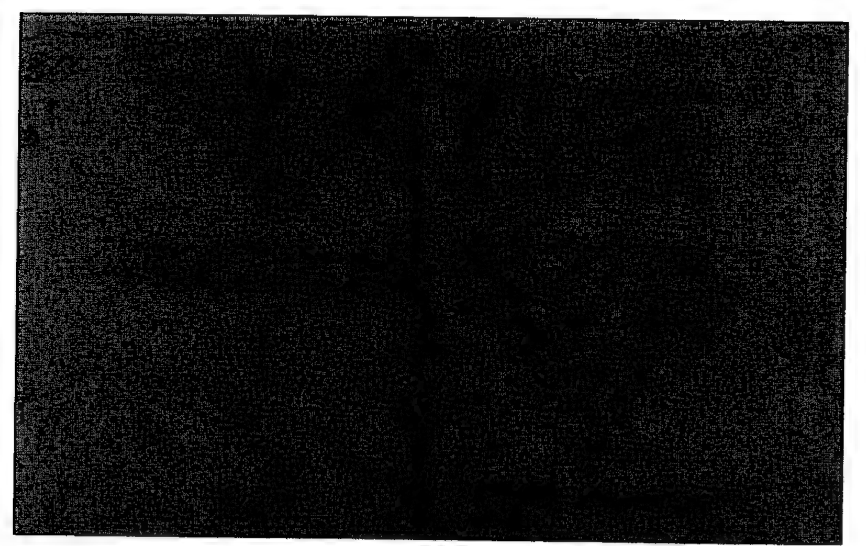
راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)



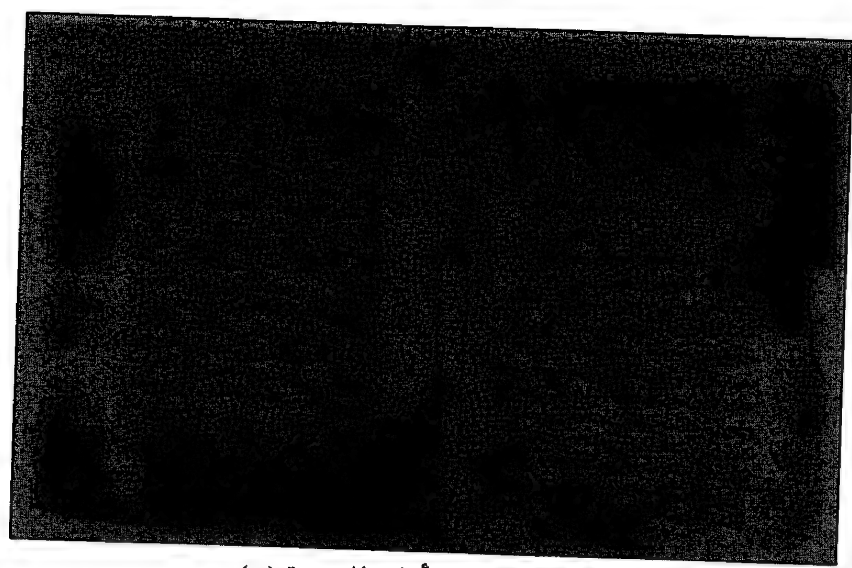
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)



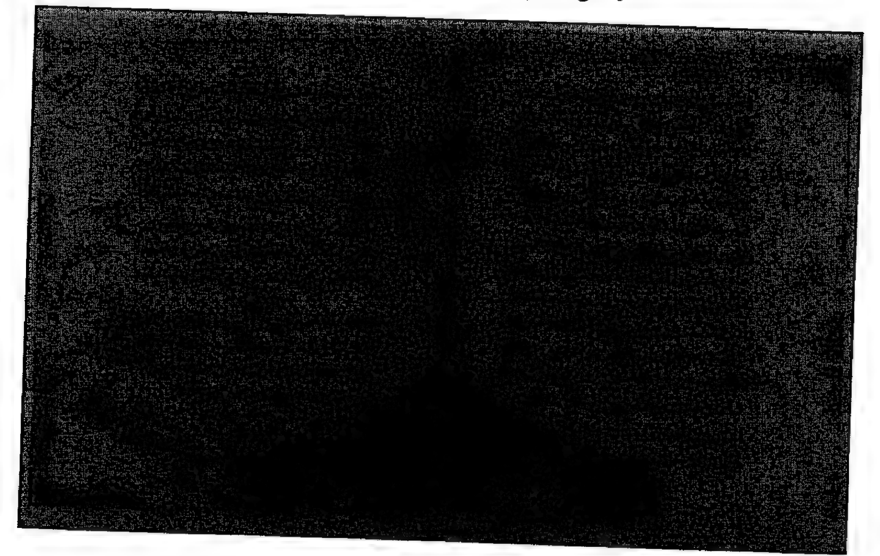
راموز ورقة العنوان للنسخة ( ج )



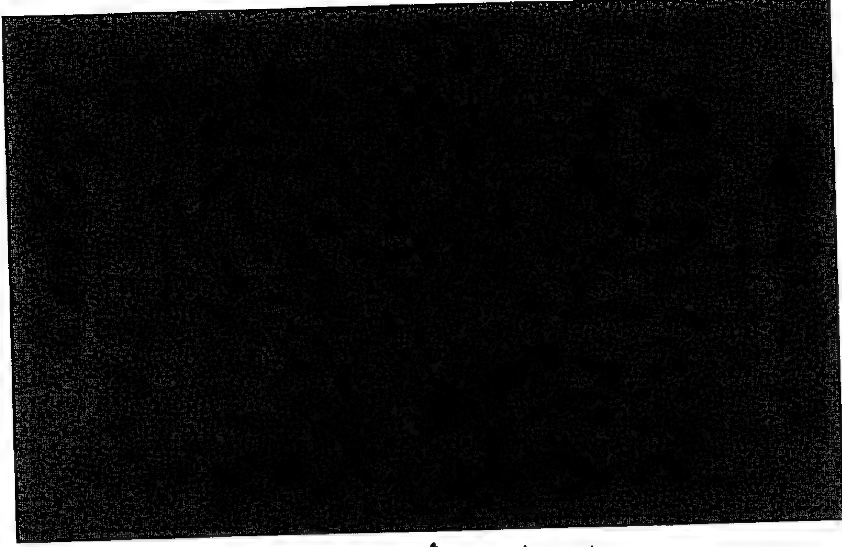
راموز ورقة العنوان للنسخة ( هـ )



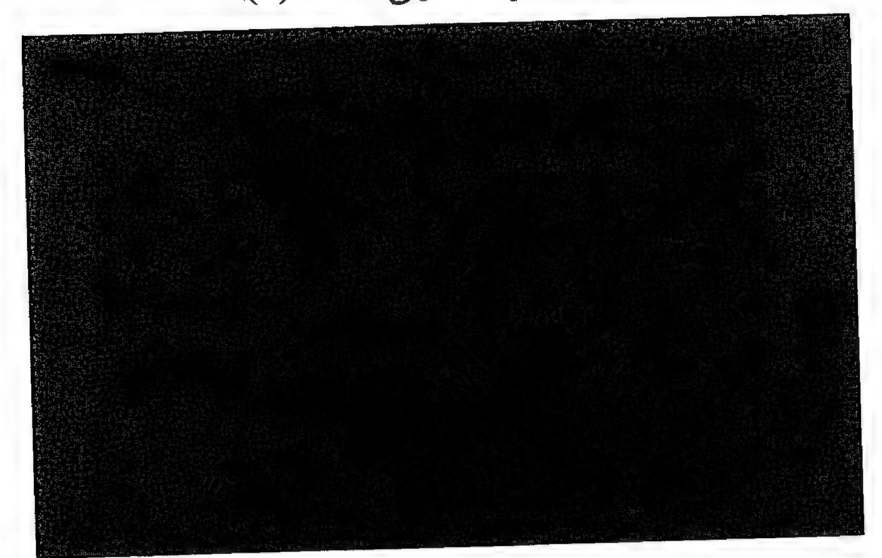
راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ج)



راموز الورقة الأولى للنسخة (هـ)



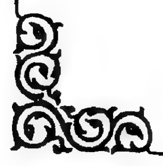
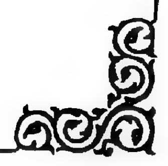
راموز الورقة الأخيرة للنسخة (هـ)

# القصيدة البائية

للحَبيب عبدِ الله بن عَلَوِيّ بن محمّدٍ الحَدّاد العَلَوِيّ

الحُسَينيّ - الحَضْرَميّ - التَّرِيْميّ

(١٠٤٤ - ١١٣٢هـ)



قالَ الإمام عبد الله بن علوي الحداد رضيَ ٱللهُ عنهُ :

١ـ وَصِيَّتِي لَكَ يَا ذَا ٱلْفَضْلِ وَٱلأَدَبِ ... إنْ شِئْتَ أَنْ تَسْكُنَ ٱلسَّامِي مِنَ ٱلرُّتَبِ

٢ـ وَتُدْرِكَ ٱلسَّبْقَ وَٱلْغَايَاتِ تَبْلُغُهَا ... مُهَنَّأً وَتَنَالَ ٱلْقَصْدَ وَٱلأَرَبِ

٣ـ تَقْوَى ٱلإِلَـٰهِ ٱلَّذِي تُرْجَىٰ مَرَاحِمُهُ ... ٱلْوَاحِدِ ٱلأَحَدِ ٱلْكَشَّافِ لِلْكُرَبِ

٤ـ إِلْزَمْ فَرَائِضَهُ وَٱتْرُكْ مَحَارِمَهُ ... وَٱقْطَعْ لَيَالِيكَ وَٱلأَيَّامَ فِيْ ٱلْقُرَبِ

٥ـ وَأَشْعِرِ ٱلْقَلْبَ خَوْفاً لاَ يُفَارِقُهُ ... مِنْ رَبِّهِ مَعَهُ مِثْلٌ مِنَ ٱلرَّغَبِ

٦ـ وَزَيِّنِ ٱلْقَلْبَ بِٱلإِخْلاَصِ مُجْتَهِداً ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلرِّيَا يُلْقِيْكَ فِي ٱلْعَطَبِ

٧ـ وَنَقِّ جَيْبَكَ مِنْ كُلِّ ٱلْعُيُوبِ وَلاَ ... تَدْخُلْ مَدَاخِلَ أَهْلِ ٱلْفِسْقِ وَٱلرِّيَبِ

٨ـ وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ طَعْنٍ عَلَىٰ أَحَدٍ ... مِنَ ٱلْعِبَادِ وَمِنْ نَقْلٍ وَمِنْ كَذِبِ

٩ـ وَكُنْ وَقُوراً خَشُوعاً غَيْرَ مُنْهَمِكٍ ... فِي ٱللَّهْوِ وَٱلضِّحْكِ وَٱلأَفْرَاحِ وَٱللَّعِبِ

١٠ـ وَنَزِّهِ ٱلصَّدْرَ مِنْ غِشٍّ وَمِنْ حَسَدٍ ... وَجَانِبِ ٱلْكِبْرَ يَا مِسْكِينُ وَٱلْعُجُبِ

١١ـ وَٱرْضَ ٱلتَّوَاضُعَ خُلْقاً إِنَّهُ خُلُقُ ٱلْـ ... أَخْيَارِ فَٱقْتَدْ بِهِمْ تَنْجُوْ مِنَ ٱلْوَصَبِ

١٢ـ وَٱحْذَرْ وَإِيَّاكَ مِنْ قَوْلِ ٱلْجَهُوْلِ أَنَا ... وَأَنْتَ دُوْنِيَ فِيْ فَضْلٍ وَفِيْ حَسَبِ

١٣ـ فَقَدْ تَأَخَّرَ أَقْوَامٌ وَمَا قَصَدُوْا ... نَيْلَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱسْتَغْنَوْا بِكَانَ أَبِي

١٤ـ وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱسْتَشْعِرْ عَدَاوَتَهَا ... وَٱرْفُضْ هَوَاهَا وَمَا تَخْتَارُهُ تُصِبِ

١٥ـ وَإِنْ دَعَتْـكَ إِلَـىٰ حَـظٍّ بِشَهْـوَتِهَـا فَٱشْرَحْ لَهَا غِبَّ مَا فِيْهِ مِنَ ٱلتَّعَبِ

١٦ـ وَٱزْهَدْ بِقَلْبِكَ فِيْ ٱلدَّارِ ٱلَّتِيْ فَتَنَتْ طَـوَائِفـاً فَـرَأَوْهَـا غَـايَـةَ ٱلطَّلَـبِ

١٧ـ تَنَـافَسُـوْهَـا وَأَعْطَـوْهَـا قَـوَالِبَهُـمْ مَـعَ ٱلْقُلُـوْبِ فَيَـا للهِ مِـنْ عَجَـبِ

١٨ـ وَهْيَ ٱلَّتِيْ صَغُرَتْ قَدْراً وَمَا وَزَنَتْ عِنْدَ ٱلإِلَـٰهِ جَنَاحاً فَٱلْحَرِيْصُ غَبِي

١٩ـ وَخُذْ بَلاَغَكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَٱسْعَ بِهِ سَعْيَ ٱلْمُجِـدِّ إِلَـىٰ مَـوْلاَكَ وَٱحْتَسِـبِ

٢٠ـ وَٱعْلَـمْ بِـأَنَّ ٱلَّـذِيْ يَبْتَـاعُ عَـاجِلَـهُ بِـآجِـلٍ مِـنْ نَعِيـمٍ دَائِـمٍ يَخِـبِ

٢١ـ وَإِنْ وَجَدْتَ فَوَاسِ ٱلْمُعْوِزِينَ تَفِضْ عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ٱلأَرْزَاقُ فَٱسْتَجِبِ

٢٢ـ وَإِنْ بُلِيـتَ بِفَقْـرٍ فَـٱرْضَ مُكْتَفِيـاً بِـٱللهِ رَبِّـكَ وَٱرْجُ ٱلْفَضْـلَ وَٱرْتَقِـبِ

٢٣ـ وَإِنْ تَجَرَّدْتَ فَٱعْمَلْ بِٱلْيَقِيْنِ وَبِٱلْـ ـعِلْـمِ إِذَا كُنْـتَ مَـوْقُـوْفـاً مَـعَ ٱلسَّبَـبِ

٢٤ـ وَٱتْلُ ٱلْقُرَانَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَجِلٍ عَلَـى ٱلـدَّوَامِ وَلاَ تَـذْهَـلْ وَلاَ تَغِـبِ

٢٥ـ فَـإِنَّ فِيْـهِ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْعِلْـمَ فِيْـهِ مَعـاً وَٱلنُّوْرَ وَٱلْفَتْحَ أَعْنِيْ ٱلْكَشْفَ لِلْحُجُبِ

٢٦ـ وَٱذْكُـرْ إِلَـٰهَـكَ ذِكْـراً لاَ تُفَـارِقُـهُ فَإِنَّمَا ٱلذِّكْرُ كَٱلسُّلْطَانِ فِيْ ٱلْقُرَبِ

٢٧ـ وَقُـمْ إِذَا هَجَـعَ ٱلنُّـوَّامُ مُجْتَهِـداً وَكُـلْ قَـوَامـاً وَلاَ تَغْفُـلْ عَـنِ ٱلأَدَبِ

٢٨ـ وَٱلْـوَالِـدَانِ لَهُـمْ حَـقٌّ يَقُـوْمُ بِـهِ مَـنْ يَتَّـقِ ٱللهَ وَٱلْمُـدْلُـوْنَ بِـٱلنَّسَـبِ

٢٩ ـ وَٱلْجَارَ وَٱلصَّحْبَ لاَ تَنْسَ حُقُوْقَهُمُ وَٱخْتَـرْ مُصَـاحَبَـةَ ٱلأَخْيَـارِ وَٱنْتَخِـبِ

٣٠ـ وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِٱلْخُلْقِ ٱلْكَرِيْمِ وَلاَ تَعْتِـبْ عَلَـىٰ أَحَـدٍ مِنْهُـمْ وَلاَ تَعِـبِ

٣١ـ وَأَنْصِفْ وَلاَ تَنْتَصِفْ مِنْهُمْ وَنَاصِحْهُمُ وَقُـمْ عَلَيْهِـمْ بِحَـقِّ ٱللهِ وَٱنْتَـدِبِ

٣٢ـ وَٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱلأَشْرَارِ وَٱلْحُمَقَا وَٱلْحَاسِدِيْنَ وَمَنْ يَلْوِيْ عَلَىٰ ٱلشَّغَبِ

٣٣ـ وَحَالِفِ ٱلصَّبْرَ وَٱعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَهُ مُرٌّ وَآخِرَهُ كَٱلشَّهْدِ وَٱلضَّرَبِ

٣٤ـ يَا رَبِّ إِنَّكَ مَقْصُوْدِيْ وَمُعْتَمَدِيْ وَمُرْتَجَايَ لِدُنْيَايَ وَمُنْقَلَبِي

٣٥ـ فَٱغْفِرْ وَسَامِحْ عُبَيْداً مَا لَهُ عَمَلٌ بِٱلصَّالِحَاتِ وَقَدْ أَوْعَىٰ مِنَ ٱلْحُوَبِ

٣٦ـ لَٰكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ وَقَدْ أَتَاكَ مُعْتَرِفاً يَخْشَىٰ مِنَ ٱلْغَضَبِ

٣٧ـ فَإِنْ عَفَوْتَ فَفَضْلٌ مِنْكَ يَا صَمَدُ فَجُدْ عَلَيَّ إِلَٰهِيْ وَأَزِلْ رَهَبِي

٣٨ـ ثُمَّ ٱلصَّلاةُ عَلَىٰ ٱلْهَادِيْ وَعِتْرَتِهِ ( مُحَمَّدٍ ) مَا هَمَىٰ وَدْقٌ مِنَ ٱلسُّحُبِ

٣٩ـ وَمَا تَرَنَّمَتِ ٱلْوَرْقَا عَلَىٰ فَنَنٍ وَمَا تَمَايَلَتِ ٱلأَغْصَانُ فِيْ ٱلْكُتُبِ

* * *



# المَوَارِدُ الرَّوِيَّةُ الهَنِيَّةُ
# في شَرْحِ
# الأبياتِ المنظومةِ في الوصيَّةِ

أو ما يعرف بـ

## شرح البائية


تأليف

الإِمامِ الهُمَامِ اللَّيْثِ الضِّرْغامِ

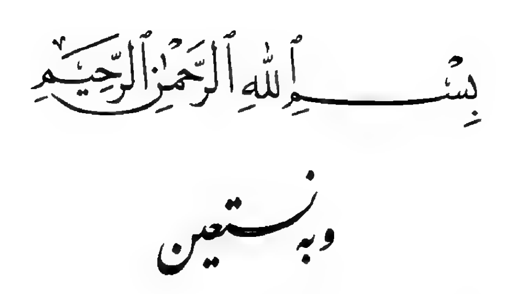
الحبيبِ العلَّامةِ أحمدَ بنِ زينِ بنِ علويٍّ الحبشيِّ

الحُسَينيِّ الحضرميِّ الشَّافعيِّ

رحمهُ اللهُ تعالى





الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافىء مزيده ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك .

ربنا آتنا من لدنك رحمة ، وهيىء لنا من أمرنا رشداً ، وآتنا من لدنك علماً ، رب زدني علماً ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديته ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ؛ إنك أنت العليم الحكيم .

وأشهد أن لا إلـه إلا أنت وحدك لا شريك لك .

وأشهد أن محمداً النبي الأمي عبدك ورسولك ، وخليلك وحبيبك ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، فصلِّ اللهم عليه وعلىٰ آله صلاة دائمة بدوامك ، باقية ببقائك ، وسلم تسليماً .

**أما بعد :**

فحمداً كثيراً لرب عظيم كريم ، تفضل وجاد علىٰ خلقه بتجديد دينه ، المرتضىٰ لديه بأقوال وأفعال وأحوال عبده المتصف بكمال عبادته ، المزيَّن بصافي صَفْو عبوديته ، المتحقق بسر نور عبوديته ، السيد الولي العارف بالله ، إمام أهل الله ، والشيخ الكبير في طريق الله ، قطب رحاء الدين ، وعين أعيان الصديقين ، وغوث الخليقة أجمعين : عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبد الله ـ عرف بالحداد ـ باعلوي الحسيني ، نفع الله به ، وضاعف له مزيد الترقي في أعلىٰ أعلىٰ رُتبه ، وأجزل جزيلاً وافيَ شربه

منه ومَشْرَبه ، وأدام لنا وسائر المسلمين الانتفاع به والتأدب بأدبهِ[1] ، مع شمول العافية الحقيقية للكل ، وبلوغ كلٍ لأَرَبِه .

وله رضي الله عنه في دعوة الخلق إلى الله تعالى العناية التامة ، والهمة العالية بالحال والفعال والقال .

ولقد صدق فيه ما ورد عن جده صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالىٰ يبعث لهـٰذه الأمة من يجدد لها أمر دينها علىٰ رأس كل مئة »[2] الحديث .

والحديث الآخر : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » .

والحديث الآخر : « في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ، ينفون عن هـٰذا الدين تحريف الغالين » .

والحديث الآخر : « يحمل هـٰذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين »اهـ[3]

وله تصانيف في علوم الشريعة والطريقة ، وله في ذلك من النثر والنظم .

ومن أنفع منظوماته في الوصية وأجمعها وأحسنها . . القصيدة البائية ، التي مطلعها :

وصيتي لك يا ذا الفضل والأدب . . . . . . . .

---

(١) في ( ب ) وهامش ( ج ) : ( لنتأدب بأدبه ) .
(٢) أخرجه بنحوه أبو داود في « سننه » ( ٤٢٩١ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٥٦٧ ) .
(٣) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٥/ ٥٣٧ ) ، وابن عبد البر في « التمهيد » ( ١/ ٥٩ ) .

وكانت تعجبه في الوصايا ، ويميل إليها أكثر .

وكان السيد الفاضل العارف بالله تعالىٰ محمد بن عقيل مديحج يستعجب بها ، حتىٰ قد يستعيدها إذا أنشدت بين يديه ، ويقول : ( أمتع الله بهـٰذا السيد العارف ) ، أو نحو ذلك .

ولما كان كذلك . . رأيت أن أضع عليها تعليقاً كالشرح المنبه علىٰ شيء من ظاهر معانيها ؛ إذ لا يعرف حقائق كلام أولياء الله تعالىٰ إلا هم ، وإنما كلامي عليها بما وصل إلي من كلام العلماء بحسب فهمي لكلامهم .

ثم رأيت أني تعرضت لأمر عظيم ، وخطر غير هين ؛ من أجل أنهم يقولون ويفعلون ، ونحن نقول ولا نفعل ، ولأنهم لم يتكلموا أو يشيروا أو يصنفوا حتىٰ قاموا بشروط العلم وعملوا به ، وقطعوا العلائق ، وأماتوا النفوس ، ونحن خالون عن هـٰذه الأحوال والأعمال ، وكيف ينبغي للراغب في الدنيا أن يتكلم في حقائق الزهد فيها ونحو ذلك من مقامات الأولياء وأحوال الصالحين الأصفياء . . دون تحققه بشيء منها ؟! بل مع الخلو منها ، كما قيل [من الطويل] :

وما أقبح الإنسان يحكي طريقة ... ولـم يَـكُ فيهـا سـالكـاً مستقيمهـا
وأنـىٰ لمثلـي وصفهـا غيـر أنـه ... إذا عز نبت الأرض يُرعىٰ هشيمها

ولـٰكن عند ذكر الصالحين ومقاماتهم وأحوالهم . . تنزل الرحمة ، ومن العمل بالعلم . . نشره ، وتذكير النفس ، ووعظها به .

والنظر والفكر في كلام الله ورسوله [صلى الله عليه وسلم] وأوليائه من أفضل العبادات ، وأزلف القربات .

فاستخرت الله تعالىٰ ، وانشرح صدري لذلك .

ولما أخذت في ذلك . . أرسلت شيئاً منه لشيخنا وسيدنا الناظم ،

فاستحسنه وناسب عنده ، وأجازني بإتمامه .

وقد ذكرت فيه نحواً من مئتي آية ، ونحواً من خمس مئة حديث أو قطعة من حديث ، ونحواً من مئتين وخمسين أثراً أو قطعة من أثر من كلام الصحابة والسلف سوى المتأخرين .

وعمدتي غالباً في الكلام في هـٰذا الشرح علىٰ تصانيف شيخنا الناظم ، وحجة الإسلام ، ومع كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذري من حيث نقل الحديث ، ومع كتاب « القاموس » للمجد اللغوي من حيث اللغة ، وإن لم أعزه إليها . . فاستمدادي فيه منها غالباً : إما باللفظ ، وإما بالمعنىٰ علىٰ حسب فهمي ، وليس لي إلا الجمع والتأليف بحسب المناسبة ، وما عزوته إلىٰ غيرها . . فظاهر للناظر .

ومن الكتب التي نقلت منها سوىٰ كتب شيخنا والإمام الغزالي : « الرسالة » للقشيري ، و« العوارف » للسُّهْرَوَرْدي ، و« اللمع » للسراج ، وبعض كتب القاشاني ، و« مفتاح الفلاح » في الذكر لابن عطاء ، و« شرح ابن عباد » علىٰ « الحِكَم » ، و« الأذكار » النووية ، ومن كتب زروق ، وكتب الأستاذ القشيري غير « الرسالة » ، وكتب السيد السمهودي ، وغير ذلك من الكتب معزواً ؛ لأنه الواجب واللازم ، وبغير عزو لعسر وغيره ؛ **لأن الخيانة في العلم بإضافة كلام غيره إليه ونحو ذلك . . أعظم من الخيانة في أمور الدنيا** .

والله المسؤول بفضله أن يعفو عنا فيما تعمدنا أو أخطأنا ، وأن يعم به النفع ويخص ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، ومقرباً إلىٰ جواره في جنات النعيم ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وأفوض أمري إلى الله ؛ إن الله بصير بالعباد .

وسميت هـٰذا الشرح بتسمية سيدنا وشيخنا الناظم له ، وأمره بها :

ولنذكر اتصالنا بسيدنا وشيخنا السيد العارف بالله تعالىٰ مولانا الحبيب : عبد الله بن علوي الحداد صاحب المنظومة ، فأقول :

قد لبست منه الخرقة الفخرية الفقرية مراراً كثيرة ، لبست منه القبع نحو سبع مرات ، وثلاثة قمصان ، وعمائم وكوافٍ كثيرة .

وتلقنت منه الذكر : ( لا إلٰه إلا الله ) ، وصافحني ، وقرأت عليه الكثير ، وسمعت عليه الكثير ، وأذن لي في التدريس وفي إلباس الخرقة وفي التحكيم له ، وقال : لقد لقينا وأخذنا عن خلق كثير من أهل تريم وسائر حضرموت واليمن وأهل الحرمين الشريفين ، يزيدون على المئة .

**ومنهم** : السيد العارف ، المحقق الشيخ : عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس رضي الله عنه أخذنا عنه طريقته والمصافحة والإلباس وتلقين الذكر .

**ومنهم** : السيد الصوفي المُلامتي عقيل بن عبد الرحمـٰن بن عقيل السقاف ، أخذنا عنه ، ولبسنا منه الخرقة .

**ومنهم** : السيد المشهور ، العارف المذكور : محمد بن علوي نزيل مكة المشرفة ، لبسنا وأخذنا عنه بالمكاتبة ، وأجازنا بالإلباس ، وهو أخذ عن الشيخ السيد عبد الله بن علي صاحب الوهط وأخذ صاحب الوهط ، عن الشيخين الجليلين : السيد شيخ بن عبد الله العيدروس صاحب العقد النبوي ، والسيد عمر بن عبد الله العيدروس ، المدفون بعدن .

فأما السيد شيخ . . فلبس عن والده عبد الله بن شيخ ، والسيد عبد الله بن شيخ أخذ عن عمه الشيخ القطب أبي بكر ابن الأستاذ عبد الله بن أبي بكر العيدروس .

وأما السيد عمر العيدروس . . فأخذ عن والده عبد الله ، ووالده أخذ عن

والده علوي ، وأخذ علوي عن أخيه الشيخ أبي بكر صاحب عدن .

وأما السيد عمر بن عبد الرحمـٰن العطاس . . فأخذ عن الشيخ السيد الحسين ٱبن الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي ، وأخذ الشيخ حسين عن والده القطب أبي بكر بن سالم ، وأخذ الشيخ أبو بكر عن الشيخ السيد عمر باشيبان ، وأخذ الشيخ السيد عمر باشيبان ، عن الشيخ السيد القدوة عبد الرحمـٰن ٱبن الشيخ الإمام الجامع علي بن أبي بكر ، وأخذ الشيخ عبد الرحمـٰن عن والده الشيخ علي بن أبي بكر المذكور .

وأما السيد الصوفي . . عقيل بن عبد الرحمـٰن المتقدم ذكره . . فأخذ عن والده السيد العارف بالله عبد الرحمـٰن بن عقيل ، والسيد عبد الرحمـٰن أخذ عن السيد أوحد زمانه : أحمد بن علوي باجحدب ، وأخذ السيد أحمد باجحدب عن السيد عمر باشيبان المتقدم ذكره ، وهو أخذ عن الشيخ عبد الرحمـٰن ٱبن الشيخ علي ، وأخذ السيد عبد الرحمـٰن عن والده الشيخ علي بن أبي بكر وعن عمه الشيخ عبد الله أبي بكر العيدروس ، وكذلك الشيخ أبو بكر العدني أخذ عن والده الشيخ عبد الله وعن عمه الشيخ علي ، والشيخ عبد الله بن أبي بكر وأخوه الشيخ علي أخذا عن والدهما السكران أبي بكر وعمهما المحضار عمر ابنَي الشيخ الأستاذ عبد الرحمـٰن السقاف .

وهما أخذا عن والدهما القطب الشيخ عبد الرحمـٰن ، كما لبسها من والده السيد الرباني محمد بن علي صاحب الدويلة ، كما لبسها من والده ومن عمه الشيخين الكبيرين علي وعبد الله ابني الشيخ علوي ، كما لبساها من والدهما الشيخ الكبير علوي ، كما لبسها من والده الشيخ القطب الغوث الفقيه المقدم محمد بن علي علوي ، كما لبسها من الشيخ الكبير القطب أبي مدين شعيب بواسطة الشيخ عبد الله الصالح والشيخ عبد الرحمـٰن المقعد المغربيين ، كما لبسها الشيخ أبو مدين من الشيخ أبي يَعَزَّى المغربي ، كما لبسها من الشيخ علي بن حرزهم ، كما لبسها من الشيخ أبي بكر ابن العربي

المالكي ، كما لبسها من حجة الإسلام الغزالي ، كما لبسها من الشيخ إمام الحرمين ، كما لبسها من والده الشيخ أبي محمد الجويني ، كما لبسها من أبي طالب المكي ، كما لبسها من الشيخ أبي بكر الشبلي ، كما لبسها من سيد الطائفة الجنيد ، كما لبسها من خاله الشيخ السري السقطي ، كما لبسها من الشيخ معروف الكرخي ، كما لبسها من الشيخ داوود الطائي ، كما لبسها من الشيخ حبيب العجمي ، كما لبسها من الشيخ الجليل الحسن البصري ، كما لبسها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما لبسها من سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبيبنا ومن عليه بعد الله اعتمادنا : أبي القاسم محمد رسول رب العالمين ، وإمام المتقين ، وخير الخلائق أجمعين ، كما لبسها عليه أفضل الصلاة والسلام من جبريل الأمين ، كما لبسها جبريل من الله العلي الأعلىٰ ، الواحد الأحد الصمد ، تبارك وتعالىٰ .

وقد انتهىٰ هـٰذا الإسناد كما ابتدأ إلىٰ من لا نهاية له ولا ابتداء ، سبحانه وتعالىٰ .

ولو فصلنا الأسانيد وفرعناها[1] عن مشايخ الخرقة . . لزاد علىٰ مجلد .

**وأما سند تلقين الذكر** : فأخذه شيخنا عن السيد عمر العطاس ، عن الشيخ السيد العارف عمر باركوة السمرقندي بأسانيده إلىٰ مشايخه .

**وأما سند المصافحة** : فأخذها شيخنا عن سيدنا السيد عمر العطاس أيضاً ، من طريق السادة آل شهاب الدين أباً عن أبٍ إلى الشيخ علي بن أبي بكر ، وسنده فيها مذكور في كتابه « البرقة » .

والله تعالىٰ يهدينا بالهدىٰ ، ويحققنا بالتقوىٰ ، ويحفظنا من اتباع الهوىٰ ، وشؤم الدعوىٰ ، وجميع الأسوا ، ووالدينا وأولادنا ، ومشايخنا

---

(١) في ( ج ) : ( وفرعنا الأسامي ) .

وقراباتنا ، وأحبابنا ومحبينا ، وجميع المسلمين ؛ إنه أرحم الراحمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

وهذا أوان الابتداء في المقصود :

* * *

قوله نفع الله به :

| | |
|---|---|
| [١] وَصِيَّتِي لَكَ يَا ذَا ٱلْفَضْلِ وَٱلأَدَبِ | إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْكُنَ ٱلسَّامِي مِنَ ٱلرُّتَبِ |
| [٢] وَتُدْرِكَ ٱلسَّبْقَ وَٱلْغَايَاتِ تَبْلُغُهَا | مُهَنَّـــأً وَتَنَـــالَ ٱلْقَصْـــدَ وَٱلأَرَبِ |
| [٣] تَقْوَى ٱلإِلَـٰهِ ٱلَّذِي تُرْجَىٰ مَرَاحِمُهُ | اَلْـوَاحِـدِ ٱلأَحَـدِ ٱلْكَشَّـافِ لِلْكُـرَبِ |

الوصية بالتقوىٰ أحق شيء بالتقديم ؛ إذ هي وصية الله رب العالمين للأولين والآخِرين ، والوسيلة الموصلة إلىٰ جميع الخيرات في الدنيا وفي يوم الدين ، والأساس الثابت المكين للمؤمنين ، والكنز العزيز العظيم للصادقين .

وقول سيدنا الناظم : ( **وصيتي لك** ) أي : عهدي لك أو إليك .

يقال : أوصاه ووصَّاه توصية ؛ أي : عهد إليه ، والاسم الوَصاة والوِصاية والوصية ، وهي الموصىٰ به أيضاً ، وهو مبتدأ خبره قوله : ( تقوى الإلـٰه ) .

وقوله : ( **يا ذا الفضل والأدب** ) مخاطبة منه لأهل الظَّرْف والفطنة والزيادة في المعرفة .

فـ( الفضل ) : هو الزيادة ، وضده النقص ، فهو نوع كمال يزيد المتصف به علىٰ غيره .

يقال : رجل مفضال ؛ أي : كثير الفضل . والفواضل : هي الأيادي الجسيمة ، والفضيلة : واحدة الفضائل ، وهي الدرجة الرفيعة ، والصفة الحميدة .

و( الأدب ) : هو الظَّرْف ، وما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة ، وما يحصل من العلوم المكتسبة .

فالأدب : واحد الآداب ، والآداب عبارة عن حميد الخلال في التصرف بالوجوه المكتسبة .

يقال : أَدُبَ أَدَباً فهو أديب ، وأدَّبه ؛ أي : علَّمه .

والأدب عند الصوفية له موقع عظيم .

قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم : ٦] .

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يعني أدبوهم وعلموهم .

وفي الحديث : « ما نحل والدٌ ولداً من نُحْلٍ أفضل من أدب حسن »[١] .

وفي حديث آخر : « أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم »[٢] .

قال الشيخ أبو نصر السراج في كتابه « اللمع » : ( الناس في الأدب علىٰ ثلاث طبقات : أهل الدنيا ، وأهل الدين ، وأهل الخصوص فيه .

ـ فأما أهل الدنيا فإن أكثر آدابهم في الفصاحة ، والبلاغة ، وحفظ العلوم وأسمار الملوك وأشعار العرب ، ومعرفة الصنائع .

ـ وأما أهل الدين : فإن أكثر آدابهم في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح ، وطهارة الأسرار ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، وتجريد الطاعات ، والمسارعة للخيرات .

ـ وأما أدب أهل الخصوصية من أهل الدين : فإن أكثر آدابهم في طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعقود بعد العهود ، وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادي والطوارق ، واستواء السر مع الإعلان ، وحسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات

---

(١) أخرجه الترمذي ( ١٩٥٢ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٢٩٢ ) .
(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ( ١/ ٣٨٩ ) .

الحضور والقربة والدنو والوصلة )اهـ[1]

وقال بعضهم : ( من لا أدب له .. فلا شريعة له ، ولا إيمان ، ولا توحيد )[2] .

وقيل للحسن البصري رحمه الله : قد أكثر الناس من تعلم الآداب ، فما أنفعُها عاجلاً وأوصلُها آجلاً ؟ قال : ( التفقه في الدين ، والزهد في الدنيا ، والمعرفة بما لله عليك ) اهـ باختصار[3] .

وروي عن محمد بن سيرين أنه سئل : أي الآداب أقرب إلى الله تعالىٰ ، وأزلف للعبد عنده ؟ قال : ( معرفة ربوبيته ، والعمل بطاعته ، والحمدُ لله على السراء والضراء )[4] .

وعن ابن المبارك : ( نحن إلىٰ قليل من الأدب أحوج منّا[5] إلىٰ كثير من العلم )[6] .

و( الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف )[7] .

ويقال : ( أفضل الآداب التوبة ، ومنع النفوس عن الشهوات )[8] .

وسئل بعضهم عن أدب النفس ؟ فقال : ( أن تعرِّفها الخير فتحثها عليه ، وتعرِّفها الشر فتزجرها عنه )[9] .

---

(١) « اللمع » ( ١٩٥ ـ ١٩٦ ) .
(٢) « اللمع » ( ١٩٦ ) .
(٣) « اللمع » ( ١٩٤ ) .
(٤) « اللمع » ( ١٩٤ ) ، وفيه : ( الحمد لله على السراء ، والصبر على الضراء ) .
(٥) كذا في « اللمع » ( ١٩٥ ) ، وفي النسخ : ( أحوج منه ) .
(٦) « اللمع » ( ١٩٥ ) .
(٧) « اللمع » ( ١٩٥ ) .
(٨) « اللمع » ( ١٩٥ ) .
(٩) « اللمع » ( ١٩٥ ) .

ويقال : ( إن الأدب كمال الأشياء لا يصفو إلا للأنبياء والصديقين )[1] .

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالىٰ : ( إذا خرج المريد عن الأدب . . فإنه يرجع من حيث جاء )اهـ[2]

واعلم : أن الدين كله آداب ؛ فلكل عمل أدب ، ولكل حال أدب ، ولكل مقام أدب ، ولكل وقت أدب ؛ كآداب الوضوء والصلاة والصوم والزكاة والحج والعلم والقراءة والذكر ، وآداب الكسب والتجريد ، وآداب الفقر والغنىٰ .

وأشار إلىٰ شيء من ذلك سيدنا الناظم بقوله : ( وإن تجردت فاعمل باليقين ) إلىٰ آخر البيت .

وبقوله : ( وَكُنْ قَوَاماً ولا تغفل عن الأدب ) .

وسنذكر شيئاً مما جاء في الأدب عند ذكر ذلك .

قوله نفع الله به : ( **إن شئت أن تسكن السامي من الرتب** ) أي : تستقر في العالي من منازل المؤمنين ، وتتصف بصفات الواصلين إلى الله تعالىٰ من الأولياء العارفين .

ويقال : سكن سكوناً ؛ أي : استقر .

و( السمو ) : هو العلو والارتفاع .

و( الرتب ) ـ جمع رتبة ـ وهي : المنزلة والدرجة الرفيعة .

و( **السبق** ) : التقدم . يقال : له سابقة في الأمر . . إذا سبق غيره إليه .

و( **الغايات** ) ـ جمع غاية ـ وغاية الأمر : منتهاه .

---

(١) « اللمع » ( ١٩٥ ) .
(٢) « الرسالة القشيرية » ( ٢٢٢ ) .

و( البلوغ ) إلى الشيء : الوصول إليه والانتهاء إلىٰ غاية المقصود منه ، لـٰكن مع ضرب من التمكن والقوة .

والمراد : الوصول إلى الله تعالىٰ ، ومعنى الوصول إلى الله تعالىٰ ـ كما قال شيخنا الناظم ـ : الوصول من العلم به سبحانه وتعالىٰ إلىٰ حد ينتهي إليه علم العلماء به تعالىٰ .

وأعلى الواصلين إلى الله تعالى : القطب ، وهو عبارة عن أفضل رجل من أهل الإيمان في كل زمان .. فهو أسبق أهل وقته من خصوص الخصوص ، وأعلى السابقين المقربين ، ويلي المقربين في المرتبة أهل الخصوص من الأبرار المقتصدين .

قال الله تعالىٰ : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة : ١٠ـ١١] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَمِزَاجُهُ﴾ ـ أي : شراب الأبرار ـ ﴿مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين : ٢٧ـ٢٨] .

ومعنى السابقة : العناية الأزلية .

قوله : ( مهنأً ) الهنيء ما أتىٰ بلا مشقة ، والهنيء ـ أيضاً ـ : السائغ .

ويقال ـ أيضاً ـ : [هَاءَ][1] بنفسه إلى المعالي .. إذا رفعها .

و( القصد ) المراد : المقصود .

و( الأرب ) : الحاجة .

و( التقوىٰ ) : اسم من اتقيت الشيء ؛ أي : حَذِرْته .

---

(١) في النسخ : ( هنأ ) ، ولعله تصحيف . والمثبت من « القاموس » و« التاج » .

يقال : اتقيت الشيء ، وتَقَيْتُه ، وأتَّقيه تُقىً وتقيةً وتِقاءً : حذرته ، ورجل تقيٌّ مِنْ أتقياءَ .

فالتقوىٰ : جَعلُ النفس في وقاية الشرع وما يحفظها من الأسواء في الدارين .

وقوله عز وجل : ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر : ٥٦] .

أي : أهل أن يتقىٰ عقابه ؛ أي : يُحذَر .

قال في « منثور الخطاب » : ( التقوى التحرز من المخاوف ، والتشمير في الوظائف ) .

التقوىٰ : تنزيه الوقت عن موجبات المقت .

التقوىٰ : حفظ الأمر وترك الوزر .

والتقوىٰ : الاحتماء من مساقط البلوىٰ .

وقال شيخنا الناظم : ( التقوىٰ عبارة عن امتثال أوامر الله تعالىٰ ، واجتناب محارمه ظاهراً وباطناً ، مع استشعار التعظيم لله تعالىٰ والهيبة والخشية والرهبة ) اهـ[1]

والتقوىٰ أصل أصول أهل الطريق التي بنوا عليها أمرهم ، وهي ـ كما قال بعضهم ـ : ( أربعة : إقامة الفرائض ، واجتناب المحارم ، واتباع السنة ، ولزوم الأدب ) اهـ

وقال غيره من الصوفية : ( وأصول الأصول ثلاثة :

**الأول** : أن يجعل الشرع حاكماً علىٰ عقله وهواه .

**والثاني** : رؤية النفس في غاية الذل والحقارة ، بحيث لا يرىٰ لها استحقاقاً لشيء من الأشياء ، **وهـٰذان الأصلان علميان** .

---

(١) « النصائح الدينية والوصايا الإيمانية » ( ٣٠ ) .

**والثالث** : عملي ، وهو العمل والمجاهدة. . . ثم يَحظىٰ بالمشاهدة فضلاً من الله تعالىٰ ) اهـ

و( **الإلـٰه** ) : هو مستحق العبادة ، المتصف بكل كمال ، المنزَّه عن كل نقص ، ذلك [هو] الله رب العالمين ، لا رب سواه ، ولا معبود إلا إياه ، الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤاً أحد ، سبحانه وتعالىٰ عما يصفون ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، القديم الأزلي ، الدائم الأبدي ، المقدس عن الزمان والمكان وعن مشابهة الأكوان ، خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار ، الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو بكل شيء عليم ، وعلىٰ كل شيء قدير ، الخالق لكل شيء ، والرازق لكل شيء ، والمدبر لكل شيء ، والمتصرف في كل شيء ، كيف يشاء .

وقول الناظم نفع الله به : ( **الذي ترجىٰ مراحمه** ) .

فـ( الذي ) : اسم موصول صيغ ليتوصل به إلىٰ وصف المعارف ، وهو اسم مبهم .

و( ترجىٰ ) أي : يُطمَع ويُؤمَل فيها ، والرجاء : الأمل ، وهو ضد اليأس ؛ كالرجوِ .

وسيأتي ذكر حقيقة الرجاء في اصطلاح الصوفية عند قول الناظم : ( وأَشعرِ القلبَ خوفاً ) .

و( المرحمة ) ـ وكذا الرحمة ـ هي : المغفرة والتعطف . والرحمـٰن الرحيم : اسمان من أسماء الله تعالىٰ ، مشتقان من الرحمة ، والرحمـٰن أخص من الرحيم. . فلا يسمىٰ به غير الله تعالىٰ ، ورحمة الله هي إفاضة الخير على المحتاجين ، وإرادته لهم عناية بهم وفضلاً ، من غير اعتراء رقة ؛ إذ لا تعتريه الحوادث ، سبحانه وتعالىٰ وتقدس .

قال بعضهم : ( **الرحمة الامتنانية في مصطلح الصوفية هي** : المفيضة

للنعم السابقة على العمل ، وهي التي وسعت كل شيء ، **والرحمة الوجوبية** هي : الرحمة الموعودة للمتقين والمحسنين في قوله تعالىٰ : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] .

وهي داخلة في الامتنانية ؛ لأن الوعد على العمل محض المنة ) .

و( **الواحد** ) : من أسمائه تعالىٰ ، وهو : الذي يستحيل تقدير الانقسام في ذاته ، ويستحيل وجود النظير له تعالىٰ جل وعلا وتقدس ؛ إذ لا وحدة على الإطلاق إلا له ، ليس له شبيه بوجه من الوجوه .

و( **الأحد** ) : بمعنىً قريب منه .

قال بعضهم : ( والأحد لا يوصف به إلا الله تعالىٰ ؛ لخلوص هـٰذا الاسم له تعالىٰ )[1] .

والتوحد : التفرد . والمتوحد : المتفرد . والمتوحد : ذو الوحدانية .
والتوحيد : الإيمان بالله تعالىٰ وحده .

ويقال : وَحُدَ ـ بضم الحاء وكسرها ـ يَحِدُ وحدة ووَحادة ووُحودة ووُحوداً ووَحْداً ؛ أي : بقي مفرداً ؛ كتوحَّد . ويقال : وحَّده ؛ أي : جعله مفرداً .

**واعلم أن التوحيد هو الإيمان كله .**

قال شيخنا الناظم في كتابه « إتحاف السائل بجواب المسائل » : ( علمُ التوحيد : هو البحر الزاخر ، الذي لا يُبلَغ له ساحل ، ولا يُدرَك له قعر ، وقد سبح النُّظَّار من المتكلمين في باحته ، وغاص العارفون المحققون في لجته . . فأدركوا من نفائسه ما يجل قدره ، ثم أجمعوا بعد

---

(١) « القاموس المحيط » مادة ( أحد ) .

إفناء الطاقة على الاعتراف بالعجز عن الغاية ؛ لتوقف الإحاطة بالتوحيد على الإحاطة بذات الموحَّد وصفاته ، تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً .

وقد أجمع المحققون علىٰ أن الإحاطة بذات الله تعالىٰ وصفاته غير ممكنة ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وشذ من قال بما يوهم حصولها ، وذلك لأن المحيط بالشيء من طريق العلم أو غيره مستول عليه وقاهر له ، والحق سبحانه وتعالىٰ هو القاهر الذي لا يقهر .

ثم علم التوحيد علىٰ قسمين :

**ظاهر** : وهو الذي يُعلَم بالدليل ، ويجب اعتقاد ما لا يصح الإيمان بدونه منه .

**وباطن** : وهو ما لا يُدرَك بدون الكشف والعِيان ، وهو ميراث التقوىٰ ، وهو سر بين العبد وبين ربه ، وتوجد منه تلويحات في كتب المحققين ؛ كـ« الإحياء » و« القوت » .

وأما من أورد من الصوفية في كتبه أطرافاً منه ؛ كالحاتمي والكيلاني : فليحمل ذلك منهم :

ـ على الغلبة ، والمغلوب : معذور .

ـ أو على الإذن ، والمأذون له : مأمور يجب عليه الامتثال ، وسر الإذن في ذلك لا يجوز ذكره إلا مشافهة )اهـ[1] كلام شيخنا الناظم ، مع تصرف في شيء منه .

وسئل الشيخ البوشنجي عن التوحيد ؟ فقال : ( غير مشبه الذات ، ولا منفي الصفات )[2] .

---

(١) « إتحاف السائل بجواب المسائل » ( ١٨ـ٢١ ) .

(٢) « الرسالة القشيرية » ( ٢٣٣ ) .

وقال الجنيد رحمه الله : ( أشرف كلمة في التوحيد ما قاله الصديق أبو بكر رضي الله عنه : سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلىٰ معرفته إلا بالعجز عن معرفته )[1] ؛ يعني : عن كمال معرفته .

وقال الجنيد ـ وقد سئل عن التوحيد ـ : ( إفراد الموحَّد بتحقيق وحدانيته ، بكمال أحديته ، أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، إلـٰهاً واحداً ، وصمداً فرداً ، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه ، بلا تشبيه ولا تكييف ، ولا تصوير ولا تمثيل ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير )[2] .

وقول سيدنا الناظم نفع الله به وزاده من فضله : ( **الكشاف للكُرَب** ) ـ بضم الكاف وفتح الراء ، جمع كربة ـ وهي : الحزن والغم .

و( الكشف ) : هو الرفع والإزالة والإذهاب ، وكاشف الكُرَب ـ وكشافها ـ : مزيلها ومذهبها ومفرجها ورافعها . والغموم والكروب ـ متقاربة موادها في اللغة ـ : ما يحزن القلب ويغمه ويلازمه ويأخذ بالنفس بسبب ما يتوقع من الأسواء والحالات المكروهة .

فأما فضائل التقوىٰ . . فلا تعد ولا تحصىٰ ، ولا يحاط بها ولا تستقصىٰ .

كيف و : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة : ٤] .

و : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧] .

و : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

و : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى

---

(١) « الرسالة القشيرية » ( ٢٣٣ ) .

(٢) « الرسالة القشيرية » ( ٢٣٢ ) .

ٱلْآخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس : ٦٣ـ٦٤] .

و : ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية : ١٩] .

و : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

و : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

و : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل : ١٢٨] .

و : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق : ٢ـ٣] .

و : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق : ٤] .

و : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق : ٥] .

و : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء : ٩٠] .

و : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم : ٣٤] .

و : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر : ٥٤ـ٥٥] .

و : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزمر : ٦١] .

و : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم : ٧٢] .

و : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى التقوىٰ في أكثر من تسعين موضعاً من كتابه العزيز .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي ( ١٩٨٧ ) ، وفي النسخ : ( حيث كنت ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا فضل لأبيض علىٰ أسود ، ولا لعربي علىٰ أعجمي . . إلا بتقوى الله ؛ أنتم من آدم ، وآدم من تراب »[2] .

وقيل : يا رسول الله ؛ من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم . . . »[3] الحديث .

وما جاء في التقوىٰ كثير جداً ، وقد أشرت إلىٰ شيء من ذلك فيما علقته علىٰ بعض منظومات شيخنا الناظم في الوصيَّة ، وهي قوله [في « ديوانه » ٥٠٣] :

عليك بتقوى الله في السر والعلن

وسمَّى الشرحَ شيخُنا : « سبيل الرشد والهداية إلىٰ شرح الأبيات المنظومة في وصية أهل البداية » .

قال العلماء رحمهم الله : ( منازل التقوىٰ ثلاث : تقوىٰ عن الشرك ، وتقوىٰ عن البدعة ، وتقوىٰ عن المعاصي الفرعية ) .

والتقوى البالغة الجامعة : هي اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين .

وحقيقة ذلك : أن لا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

قال سيدنا الناظم نفع الله به ـ في بعض وصاياه ـ : ( اتقاء المعاصي والمحرمات فرض لازم ، واتقاء الأمور المشتبِهات ورع حاجز ، واتقاء فضول المباحات زهد بالغ .

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥ ) .
(٢) أخرجه بنحوه أحمد ( ٥/ ٤١١ ) .
(٣) أخرجه البخاري ( ٣١٧٥ ) ، ومسلم ( ٢٣٧٨ ) .

وهٰذا الثالث إن كان مقروناً بالراحة والرغبة ، وإلا بأن كان بترك المباحات مع كراهية ومجاهدة . . فهو متزهد لا زاهد ، وكل من اتقىٰ شيئاً حياء من الخلق ، أو خوفاً منهم ، أو طمعاً فيهم . . فليس من التقوىٰ في شيء .

فشرط التقوىٰ أن يكون لأجل مرضاة الله تعالىٰ ، والرغبة في ثوابه ، والرهبة من عقابه .

ومَن أَحكمَ مقام التقوىٰ . . صَلُحَ وتأهل لعلم الوراثة ، وهو العلم اللدني الذي يقذفه الله تعالىٰ في قلوب أوليائه ، لا تحويه الطروس[1] ، ولا تقيده الدروس ، قد حرَّمه الله تعالىٰ علىٰ أهل النفوس ، المشغولة بالمطعوم والمنكوح والملبوس .

وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢ ] ) .

اهـ مع تصرف يسير ، وهو الغاية في البيان .

ثم إنه مضىٰ عن سيدنا الناظم نفعنا الله به أن : ( التقوىٰ عبارة عن امتثال أوامر الله تعالىٰ ، واجتناب محارمه ظاهراً وباطناً ، مع استشعار التعظيم لله تعالىٰ ، والخشية والرهبة والهيبة ) .

* * *

---

(١) الطروس ـ جمع طِرس ـ وهو : الكتاب .

فأخذ رضي الله عنه يفصل ما أجمله ويتمه ويكمله بقوله :

[٤] إِلْزَمْ فَرَائِضَهُ وَٱتْرُكْ مَحَارِمَهُ وَٱقْطَعْ لَيَالِيكَ وَٱلْأَيَّامَ فِي ٱلْقُرَبِ

وذلك من عادات العارفين بالله ، الراسخين في العلم ، يتكلمون على الشيء أولاً إجمالاً ، ثم يفصلونه تفصيلاً .

قوله نفع الله به : ( **إلزم فرائضه** ) أي : اعتنقها ، وقم بها ، وواظب عليها ، ولا تفارقها .

يقال : التزمه : إذا اعتنقه ، وإذا تكفل به . وألزمت نفسي الأمر : جعلتها لازمة له . ويقال : المِلزم لخشبتين تشد أوساطهما بحديدة .

و( الفرائض ) : ما أوجبه الله تعالىٰ على العبد .

و( المحارم ) : ما حرمه الله تعالىٰ وحظره .

والواجب : ما يثاب علىٰ فعله ، ويعاقب علىٰ تركه من حيث وصفه بالوجوب .

والمُحَرَّم : ما يثاب علىٰ تركه امتثالاً ، ويعاقب علىٰ فعله من حيث وصفه بالتحريم .

و( ترك الشيء ) : رفضه وإهماله

و( الليالي ) : جمع ليل علىٰ غير قياس ، والليل : واحد بمعنىٰ جمع ، واحدته ليلة .

و( الأيام ) ـ جمع يوم ـ وهو : من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس ، والليل من غروب الشمس إلىٰ طلوع الفجر ، وقيل : إلىٰ طلوع الشمس .

و( القُرَب ) ـ بضم القاف وفتح الراء ، جمع قُرْبة ـ وهو : ما يَتقَرَّب به العبد إلى الله تعالىٰ ؛ أي : يطلب به القرب عنده تعالىٰ ، من : النوافل والطاعات المندوبة المقرِّبة إلى الله .

والقرب من الرب : يفهم علىٰ معان :

فقرب العبد من ربه تعالىٰ يكون أولاً بإيمانه وتصديقه ، وبالقرب من طاعته .

ثم : قربه بإحسانه وتحقيقه والاتصاف بعبادته .

وبُعد العبد عن ربه هو التدنُّس بمخالفته ، والتجافي عن طاعته .

وأول البُعد ـ والعياذ بالله تعالىٰ منه ـ : البعد عن التوفيق .

وأما قرب الحق تعالىٰ . . فبالعلم والقدرة عام للخلق ، وباللطف والنصرة خاص للمؤمنين ، ثم القرب بخصائص التأنيس مختص بالأولياء .

ومن رأىٰ أنه قريب . . فهو محجوب عن القرب .

وأما القرب بالذات . . فتعالى الله عنه ؛ فإنه سبحانه مقدس عن الحدود والأقطار ، والنهاية والمقدار .

وللقرب في وصف الله تعالىٰ ثلاثة معان :

ـ قربٌ مُحالٌ في نعته ، وهو تداني الذوات .

ـ وقربٌ واجب في نعته تعالىٰ ، وهو القرب بالعلم والرؤية .

ـ وقربٌ جائز في وصفه سبحانه ، وهو قرب الفعل باللطف ، يخص [به] من يشاء من عباده .

ذكر ذلك الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالىٰ بمعناه[1] .

ومثل هـٰذا البيت قوله في ( تائيته ) [في « ديوانه » ١١٧ من الطويل] :

وحافظ على المفروض من كل طاعة ... وأكثـر مـن النفـل المفيـد لقـربـة

بِكُنْـتُ لـه سمعـاً إلـىٰ آخـر النبـا ... عن الله في نص الرسول المثبَّت

(١) « الرسالة القشيرية » ( ٧٠ـ٧١ ) .

وجانِب هديت النهي من كل جانب        وما تشتهيه النفس من كل لـذَّة

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالىٰ : « إن الله تعالىٰ قال : ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبَّه ، فإذا أحببتُه . . كنت سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورجلَه التي يمشي بها ، ولئن سألني . . لأعطينه ، ولئن استعاذني . . لأعيذنه . . . »[1] إلخ الحديث .

قال شيخنا الناظم : ( وهٰذه هي خلعة الولاية والمحبة ، بل خلعة الخلافة ، صار العبد إلىٰ ذلك بأداء ما افترضه الله عليه والإكثار من النوافل ابتغاء الزلفىٰ لديه ، فالسباقَ السباقَ إن كانت لك همة في الوصول إلىٰ مراتب الكمال ، ورغبة في بلوغ درجات الرجال ) .

واعلم أن الفرض هو الأصل ، والنفل تابع له .

فإياك أن تشتغل بالنفل عن الفرض ؛ فتأثم وتُحْرَم .

والذي يؤدي الفرائض ، ويجتنب المحرمات ، ولا يتنفل . . أحسنُ حالاً ممن يتعاطى النوافل ويقع في إهمال بعض الفرائض ؛ كمن يشتغل بنفل العلم عن فرضه ، أو بنوافل العبادة عن القيام بمؤنة من عليه مؤنته . وقس علىٰ ذلك .

واعمل وانظر لنفسك ، وقوِّ إيمانك ويقينك ، وتدبر ما قال ربك تبارك وتعالىٰ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري ( ٦١٣٧ ) .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

وقال جل وعلا : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : ١٣ـ١٤] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( وجدت العبادة في أربعة أشياء :

**أولها** : أداء فرائض الله عز وجل .

**والثاني** : اجتناب محارم الله تعالىٰ .

**والثالث** : الأمر بالمعروف ؛ ابتغاء ثواب الله .

**والرابع** : النهي عن المنكر ؛ اتقاء غضب الله تعالىٰ )[١] .

وجاء عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : ( وجدت الخير مجموعاً في أربعة أشياء :

١ـ التحبب إلى الله تعالىٰ بالنوافل .

٢ـ والصبر علىٰ أحكام الله .

٣ـ والرضا بتقدير الله .

٤ـ والحياء من الله )[٢] .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أذنب العبد ذنباً . . كان نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب . . صفا قلبه ، وإن عاد . . زاد ذلك حتىٰ يسود القلب ،

---

(١) « اللمع » ( ١٧٥ ) .
(٢) « اللمع » ( ١٧٨ ) .

وذلك قوله تعالىٰ ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ »[1] .

وجاء في بعض الأحاديث أن : « القلب مثل الكف المفتوحة ، كلما أذنب العبد ذنباً . . انقبضت أصبع . . . حتىٰ تنقبض الأصابع كلها ، فيسد على القلب ، فذلك هو القفل » اهـ

قال الله تعالىٰ : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] .

وفي حديث عمر رضي الله عنه : ( الطابع متعلق بقائمة العرش ، فإذا انتُهِكت الحرمات ، واستُحِلَّت المحارم . . أرسل الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها ) .

وقال الحسن رحمه الله تعالىٰ : ( إن بين الله تعالىٰ وبين العبد حداً في المعاصي معلوماً ، فإذا بلغه . . طبع الله علىٰ قلبه ، فلم يوفقه بعدها لخير ) .

وقال بعض السلف : ( ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانُه من الأرض أن يَخسِف به ، واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفاً ) الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن العبد ليُحرَم الرزقَ بالذنب يصيبه »[2] .

واعلم أن أوجب الفرائض وأفضلها : العلم ، وأكبر كبائر المحرمات : الجهل ، وأشد الجهل : الجهل بالله تعالىٰ ، وهو الكفر .

قال الشيخ أبو نصر عبد الله بن علي السراج في « اللمع » : ( سئل أبو الحسين النوري رحمه الله عن أول فرض افترضه الله تعالىٰ علىٰ عباده

---

(١) الآية من سورة المطففين ( ١٤ ) ، والحديث : أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٤٥ ) .

(٢) أخرجه ابن حبان ( ٨٧٢ ) .

ما هو ؟ فقال : المعرفة ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، قال ابن عباس : إلا ليعرفون )[١] .

قال شيخنا : ومعنى العارف في اصطلاح الصوفية : شخص آمن بالله علىٰ بصيرة ، وعلم ما افترض الله تعالىٰ عليه من طاعته ، وما حرم عليه من معصيته ، فامتثل واجتنب ، ثم أخذ يكثر النوافل المقربة إلى الله تعالىٰ ؛ ابتغاء الزلفىٰ لديه ، حتىٰ أشرقت عليه أنوار السعادة ، وصار الغيب في حقه كالشهادة ، وهداه الحق وجعل له فرقاناً ، وعلمه من لدنه علماً .

ولا تُعرَف الفرائض والقُرَب والمحارم . . إلا بالعلم ، فمن عرف العلم . . عرف ما أوجبه الله تعالىٰ عليه ، وما حرمه عليه ، وعرف ما يتقرب به إلى الله تعالىٰ .

فلا بد من العلم ، ولا غنىٰ عنه .

**وعلى العلم مدار السعادة في الدنيا والآخرة .**

ومَن عَبَدَ الله تعالىٰ بغير علم . . كان ضرره في عبادته أكثر من نفعه ، فلا بد لكل مسلم ومسلمة من معرفة العلم ، ولا رخصة لهم في تركه .

والمراد به العلم الذي لا يصلح الإيمان والإسلام بدون معرفته .

وجملته : العلم بالله ورسوله واليوم الآخر ، والعلم بما أوجب الله تعالىٰ فعله ، وبما أوجب تركه .

فعلم الإيمان : هو علم العقائد وأصول الدين ، ويؤخذ من عقيدة شيخنا الآتي ذكرها .

وعلم الإسلام : هو علم الفقه ، والواجب منه ـ كما قال شيخنا ـ

---

(١) « اللمع » ( ٦٣ ) .

ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الآتي قريباً إن شاء الله تعالىٰ .

ومن العلم الواجب علينا : العلم بالأخلاق الباطنة من المهلكات والمنجيات ، وأسرار الأعمال وآفاتها ، وهي ما أشار إليها شيخنا الناظم هنا من : الخوف والرغبة والإخلاص والرياء والغش والحسد والكبر والعُجْب. . . إلىٰ آخر ما في المنظومة .

قال السراج : ( وجملة علم الدين يرجع إلىٰ آية من كتاب الله تعالىٰ ، أو خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو حكمة مستنبطة خطرت علىٰ قلب ولي من أولياء الله تعالىٰ .

وجميع العلوم منبعثة من هٰذه الثلاثة الأصول )اهـ[1]

فالأصول الثلاثة : الإسلام والإيمان والإحسان .

وفضائل العلم وأهله أكثر من أن تحصىٰ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] .

وقال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ١٨] فقرنهم مع الملائكة .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] ؛ أي : لا يستوون ، لافي الدنيا ولا في الآخرة .

---

(١) « اللمع » ( ١٥٠ ) .

وعنـه صلـى الله عليـه وسلـم : « تعلمـوا العلـم ؛ فـإن تعلمـه لله خشية ،وطلبه عبادة ،ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ؛ لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة ، تقتص آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار ، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة ، والتفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء » رواه ابن عبد البر النمري[1] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل تعلم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله عز وجل ، فيتعلمهن ويعلمهن . . إلا دخل الجنة »[2] .

وروي عن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما قالا : ( لَبَابٌ يتعلمه الرجل أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً ) ، وقالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة . . مات وهو شهيد »[3] .

---

(١) كذا ذكره العلامة المنذري في « الترغيب والترهيب » ( ١/ ١٢١ ) .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ( ٢/ ١٥٩ ) .
(٣) ذكره العلامة المنذري في « الترغيب والترهيب » ( ١/ ١٢٥ ) ، وعزاه للبزار =

وفضل العلم لايحصر ولا يعد ، ولكن فضيلة العلم لمن عمل به ، وإلا . . فهو وبال على صاحبه .

فعنه صلى الله عليه وسلم : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً في الدنيا . . لم يجد عرف الجنة يوم القيامة »[1] يعني ريحها .

وفي حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه : عنه عليه الصلاة والسلام : « كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به »[2] .

ومِن أوجبِ فرائض الله تعالىٰ . . مباني الإسلام الخمس :

شهادة أن لا إلـٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

فالشهادتان لا يعرف معاني حقائقهما إلا من أحرز معتقده بحفظ عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة ، ومعرفة معانيها ، وجزم قلبه بها ، واعتقاده إياها .

ومن أحسن عقائد أهل السنة : عقيدة الإمام حجة الإسلام الغزالي .

وقد تضمن ما يجب اعتقاده منها عقيدة سيدنا وشيخنا الناظم التي ختم بها كتابه « النصائح » ، وكذلك عقيدته التي ذكرها أثناء الرائية من كلامه المنظوم ، وهي قوله [في « ديوانه » ٢٦٩ـ٢٧٠ من الطويل] :

| | |
|---|---|
| نـوحـده سبحـانـه وهْـو واحـد | تقـدس عـن مِثْـلٍ لـه ومُنـاظِـرِ |
| وليـس لـه فـي ذاتـه وصفـاتـه | شريك تعالى الله عن قول كافر |
| وجـل عـن التشبيـه والكيـف ربُّنـا | وعن كل ما يجري بوهم وخاطر |

---

= والطبراني في « الأوسط » .

(١) أخرجه أبو داود ( ٣٦٦٤ ) ، وابن ماجه ( ٢٥٢ ) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٢٢/ ٥٥ ) .

[وعـن جهـةٍ تحـويـهِ أو زمـنٍ بـهِ ... يُحَـدُّ تعـالـىٰ عـن بُـدُوٍّ وآخِـرِ]
عليـــم وحـــي قـــادر متكلـــم ... مـريـد سميـع مبصـر بـالمصـادر
أحاط بتحت التحت والفوق عِلمُه ... ويعلم ما نبدي وما في الضمائر
ومِـن عـدمٍ أنشـا العـوالِـمَ كلهـا ... بقـدرتـه فـأَعْظِـم بقـدرة قـادر
ولا كـائـن قـد كـان أو هـوَ كـائـن ... سـوىٰ بمـراد الله مـن غيـر حـاصـر
ويسمـع حـس النمـل عنـد دبيبـه ... ويبصر ما تحت البحار الزواخر
وأن كــلام الله وصــف لــذاتــه ... وليـس بمخلـوق خـلافـاً لصـاغـر
وأفعــالــه فضــل وعــدل وحكمــة ... وليـــس بظــلاَّم وليـــس بجــائــر
يثيب على الطاعات فضلاً ومنة ... وتعـذيبُـه قسـطٌ لعـاص وفـاجـر[1]

وهٰذه قطعة منها ـ أعني : قصيدته الرائية ـ وجملتها نحو مئة وثمانين بيتاً .

ثـم ختمهـا بتمـام العقيـدة ، وهـو قـولـه رضـي الله عنـه [في « ديـوانـه » ٢٧٠ـ٢٧١] :

وأشهـــــد أن الله لا ربَّ غيـــــرُه ... إلــٰهُ البـرايـا عـالـم بـالسـرائـر
مليـكٌ جميـعُ العـالميـن عبيـده ... وفـي قهـره مـن كـابـر وأصـاغـر
وُقُـوف علـىٰ أبـوابـه يـرتجـونـه ... ويخشــونــه عــن ذلــة وتصــاغــر
وأشهـــد أن الله أرســـل أحمـــداً ... إلى الخلق طراً بالهدىٰ والبشائر
فبلَّـــغ أمـــر الله تبليـــغَ صـــادق ... أميـن شفيـق واسـع الصـدر صـابـر
وجاهد في الرحمـٰن حق جهاده ... وشمــر حتــىٰ رد كــل مكــابــر
وأشهـد أن المـوت حـق وكـل مـا ... أتىٰ بعده من بعث مَن في المقابر
وحشـــر وميـــزان ونـــار وجنـــة ... وجسر وحوض طيب الماء عاطر
لسيـدنـا الهـادي الشفيـع محمـد ... حميـد المسـاعـي كلهـا والمـآثـر

---

(١) القسط : العدل .

عليـه صـلاة تشمـل الآل بعـده          مع الصحب من رب رحيم وغافر

وهٰذا آخر القصيدة وهو عشرة أبيات ، وبينها وبين الأبيات التي قبلها ثلاثة عشر بيتاً ، ذكر فيها جملة من أفعال الله تعالىٰ ؛ للاعتبار بها والنظر فيها ، وختم القصيدة بهٰذه الأبيات العشرة .

ولعمري : إنها عقيدة جامعة شاملة لعقائد أهل الحق .

وأما ثاني مباني الإسلام : فهو الصلاة ، وهي عماد الدين ، وأجلُّ مباني الإسلام بعد الشهادتين .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة كفر تاركها[1] ، وأنه لا دين له[2] ، وأنه برئت منه ذمة الله تعالىٰ[3] ، وأنه مع

---

(١) وذلك في الحديث الذي أخرجه أحمد (٥/٣٤٦) والترمذي (٢٦٢١) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها . . فقد كفر » .

(٢) أخرج البيهقي في « الشعب » ( ١/ ٧٢ ) : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ( من لم يصلِّ . . فلا دين له ) .

(٣) أخرج الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٤٤ ) ، من وصية أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل : قال له : يا رسول الله ؛ إني أريد الرجوع إلى أهلي . . فأوصني بوصية أحفظها .

فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تشركن بالله شيئاً وإن قُطِّعتَ وحُرِّقت بالنار .

ولا تعصين والديك ، وإن أمراك أن تخلي من أهلك ودنياك . . فتخل .

ولا تترك صلاة متعمداً ؛ فمن تركها متعمداً . . برئت منه ذمة الله عز وجل وذمة رسوله .

ولا تشربن الخمر ؛ فإنها رأس كل خطيئة .

ولا تزداد في تخوم ؛ فإنك تأتي يوم القيامة وعلىٰ عنقك مقدار سبع أرضين .

ولا تفرن يوم الزحف ؛ فإنه من فر يوم الزحف . . فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير .

وأنفق على أهلك من طولك ، ولا ترفع عصاك عنهم ، وأخِفْهم في الله » .

فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف[1] ، وأنه يلقى الله تعالىٰ وهو عليه غضبان .

وتكفير تارك الصلاة وارتداده عن دين الإسلام ـ ولو فرضاً واحداً ـ ذهب إليه جماعات من الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وروي عن حماد بن زيد ، عن أيوب قال : ( ترك الصلاة كفر لا يُختَلَف فيه )[2] .

وقال محمد بن نصر المروزي : سمعت إسحاق يقول : ( صح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتىٰ يذهب وقتها كافر )[3] .

وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم .

فيجب العلم بوجوب الصلوات الخمس ، وكيفية فعلها ، وشرائطها ، ومواقيتها ، والطهارة عن الحدث الأصغر والأكبر لها ، وما في معنىٰ ذلك من العلم بالمبطلات والمفسدات .

وكذا العلم بوجوب الزكاة ، والقدر الواجب منها ، والوقت الذي تجب فيه .

وبوجوب صوم شهر رمضان ، وشرائط الصوم ، ومبطلاته .

والعلم بوجوب الحج على المستطيع ، وشروط الاستطاعة ، وأركان

---

(١) أخرج أحمد ( ٢/ ١٦٩ ) : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « من حافظ عليها . . كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها . . لم يكن له نور ، ولا برهان ، ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون ، وفرعون ، وهامان ، وأبي بن خلف » .

(٢) انظر « تعظيم قدر الصلاة » ( ٢/ ٩٢٥ ) .

(٣) « التمهيد » لابن عبد البر ( ٤/ ٢٢٥ـ٢٢٦ ) .

الحج ، وواجباته ، ومفسداته ، ومحرماته .

ثم العلم بجميع الواجبات العينية ، والعلم بتحريم المحرمات التي يتهدف للوقوع فيها .

وعن زياد بن الحضرمي رضي الله عنه قال قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع فرضهن الله في الإسلام ، فمن أتىٰ بثلاث.. لم تغن عنه شيئاً حتىٰ يأتي بهن جميعاً : الصلاة ، والزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت »[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال حماد بن زيد ولا أعلمه إلا قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ـ قال : ( عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن أسس الإسلام ، فمن ترك واحدة منهن.. فهو كافر حلال الدم : شهادة أن لا إلـٰه إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان ) . رواه أبو يعلىٰ [٢٣٦/٤] .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من جاء بهن مع الإيمان.. دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس ؛ علىٰ وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وصام رمضان ، وحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً ، وأعطى الزكاة طيبة بها

---

(١) أخرجه أحمد ( ٤/ ٢٠٠ ) .

نفسه ». . الحديث ، رواه الطبراني [طص٢/٥٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لمن حوله من أمته : « اكفلوا لي بست . . أكفل لكم بالجنة » قلت : ما هي يا رسول الله ؟ قال : « الصلاة ، والزكاة ، والأمانة ، والفرج ، والبطن ، واللسان » . رواه الطبراني [طس ٥/١٥٤] .

وعن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الإسلام ثمانية أسهم ، الإسلام سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، وحج البيت سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، والجهاد في سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له » . رواه البزار [٧/ ٣٣٠] وأبو يعلىٰ [١/ ٤٠٠] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما[1] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال جبريل ـ عليه السلام ـ إياه عن الإسلام فقال : « أن تشهد أن لا إلـٰه إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت وتعتمر ، وتغتسل من الجنابة ، وأن تتم الوضوء ، وتصوم رمضان ». . الحديث ، رواه ابن خزيمة في « صحيحه » [١/٣] هـٰكذا وهو في « الصحيحين » وغيرهما نحوه بغير هـٰذا السياق .

ومباني الإسلام تشتمل علىٰ فرائض كثيرة ، وسائر فرائض الله تعالىٰ لا تكاد تعد كثرة في كتب كثيرة ؛ إذ ذلك شرح للتكليفات من أولها إلىٰ آخرها .

وقد مر تعريفها من حيث وصفها بالوجوب ؛ أي : من حيث الوصف الذي تشترك فيه الواجبات والمحرمات ، وسيأتي في هـٰذه المنظومة

---

(١) الحديث عن سيدنا عمر لا عن ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وشرحها ذكر شي كثير من فرائض الله ، ومحارمه ، وما يقرِّب إليه من النوافل والطاعات إن شاء الله تعالىٰ .

**ومن المحارم** ، بل من كبائرها : الكِبْر ، والفخر ، والجبرية ، والحسد ، والحقد ، والبغي ، والخداع ، والأمر بالفساد .

**ومن أكبر الكبائر** : الزنا ، واللواط ، والسرقة ، وأكل مال اليتيم .

**ومن أكبر الكبائر** : قتل المسلم بغير حق ، وضربه ، وشتمه ، وأخذ ماله بغير حق .

**ومنها** : إضمار السوء ، والنفاق ، واليمين الفاجرة .

**ومنها** ، بل من أفحشها : القنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، والإصرار علىٰ معصية الله ، وشهادة الزور ، وقذف المحصن ، والسحر .

**ومن أفحشها** : شرب الخمر ، وكل مسكر من كل شراب وإن لم يكن خمراً .

**ومنها** : أكل الربا ، وعمل الربا ، والرضىٰ بالربا ، والشهادة فيه ، والفرار من الزحف .

**ومنها** : عقوق الوالدين ، وقطع الرحم ، وسباب المسلم ، والاستطالة في عرضه .

**ومنها** : ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتجسس ، وسوء الظن ، والغيبة ، وسماعها ، والرضىٰ بها ، وترك النهي عنها ، والكذب ، ومصادقة الفجار ، وإكرام الظلمة ، وترك تعليم الأهل والولد ما يحتاجون إليه من أمر دينهم .

وغير ذلك مما لا يكاد يحصر ولا يعد .

وأما نوافل الطاعات المقربات إلى الله تعالىٰ . . فمنها ما هو داخل في مباني الإسلام الخمس ، ومنها ما هو خارج عنها ، وذلك كثير جداً .

قال حجة الإسلام الغزالي في كتاب ( ترتيب الأوراد ) : ( واعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالىٰ ، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد وهو محبٌّ لله تعالىٰ وعارفٌ به سبحانه ، وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا بدوام ذكر الله ، والمواظبة عليه ، والمعرفة بالله لا تحصل إلا بدوام الفكر ، وأن الذكر والفكر لا يتيسر إلا بوداع الدنيا وشهواتها ، والاجتزاء منها بالقليل ـ وهو قدر البلغة ـ ولا يتم ذلك إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار والعبادات والقربات .

فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب . . فليستغرق أوقاته في الطاعات .

ومن أراد أن ترجح كفة حسناته علىٰ سيئاته . . فليستوعب في الطاعات أكثر أوقاته ) اهـ بتصرف يسير[1] .

ومن أراد قطع لياليه وأيامه في طاعة الله وما يقرب إليه . . فليعمل بما في كتاب ( ترتيب الأوراد ) من « الإحياء » ، وكذا ما في « بداية الهداية » .

فالعمل بذلك هو الطريق إلى الله تعالىٰ ، كما قاله حجة الإسلام مصنفها ، رحمه الله تعالىٰ وجزاه خيراً ، ونفعنا بما في كتبه .

وقال ـ أيضاً ـ : ( الأصوب لأكثر الخلق توزيع أنواع الطاعات المختلفة على الأوقات ، والتنقل من نوع إلىٰ نوع ، يعني أنه أفضل من استغراق الأوقات بنوع واحد .

قال : لأن الملال هو الغالب . والمقصود من الأوراد : تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالىٰ ، فما يراه المريد أشد تأثيراً في قلبه . . فليواظب عليه ، فإذا أحس بملالة . . فلينتقل إلىٰ غيره .

فإن كان من أهل العبادة فليستغرق أكثر أوقاته في الصلاة أو في قراءة

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ١/ ٣٣٠ ) .

القرآن أو في التسبيحات وسائر الأذكار ؛ فقد كان في الصحابة رضي الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة ، ومنهم من ورده ثلاثون ألفاً ، ومنهم ثلاث مئة ركعة ، وأقل ما نقل من أورادهم مئة ركعة ، ومنهم من يختم القرآن في اليوم مرة ، ومنهم من يختم مرتين ، ومنهم ثلاثاً ، ومنهم أربعاً وأكثر ، ومنهم من يقضي اليوم والليلة في التفكر في آية واحدة .

وكان كرز بن وبرة رضي الله عنه يطوف بالبيت في كل يوم سبعين أسبوعاً[1] ، ويقرأ ختمة ، وفي ليلته مثل ذلك ، ومع كل أسبوع يصلي ركعتين .

وأما أهل العلم : فإن أمكنهم استغراق الأوقات في العلم . . فهو أفضل الطاعات بعد المكتوبات ورواتبها ؛ لأنه يتأمل فيه ما قال الله تعالىٰ وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه منفعة للخلق وهداية إلىٰ طريق الآخرة .

وإنما نعني بالعلم المقدم على العبادة : الذي يرغِّب الناس في الآخرة ، ويزهِّدهم في الدنيا ، مع الإخلاص .

وكذلك حضور مجلس العلم النافع أفضل من الاشتغال بالأوراد في سائر الأوقات .

ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه : أن حضور مجلس الذكر أفضل من صلاة ألف ركعة ، وشهود ألف جنازة ، وعيادة ألف مريض .

وقال عمر رضي الله عنه : إن الرجل ليخرج من بيته وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ، فإذا سمع العالم . . خاف واسترجع من ذنوبه ، وانصرف

---

(١) طاف بالبيت أسبوعاً ؛ أي : سبع مرات .

إلىٰ منزله وليس عليه ذنب ، فلا تفارقوا مجالس العلماء .

وإن كان المريد محتاجاً إلى الكسب لعياله . . فليس له أن يضيعهم ، ولٰكن ينبغي أن يأخذ حظاً من العبادة والعلم ، ولا ينسىٰ ذكر الله تعالىٰ في حال كسبه إن كان في حرفة أو في سوق ، والكسب علىٰ نية الأهل والعيال : عبادة إذا اتقى الله ولم يخن ولم يغش .

وليعلم المريد أن أحب الأعمال إلى الله تعالىٰ . . أدومها وإن قل ، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم )[1] .

* * *

(١) « إحياء علوم الدين » ( ١/٣٤٨ـ٣٥١ ) ، بتصرف يسير . وحديث : « أحب الأعمال . . . » أخرجه مسلم ( ٧٨٣ ) .

ثم إن لزوم الفرائض وترك المحارم وقطع الليالي والأيام فيما يقرب إلى الله تعالىٰ . . لا يتم ولا يتيسر إلا مع استشعار الخوف من الله تعالىٰ ، وقوة الرجاء فيما عنده مما وعد به ، وحسن الظن فيه تعالىٰ ، فلذلك قال سيدنا الناظم رضي الله عنه :

| [٥] وَأَشْعِرِ ٱلْقَلْبَ خَوْفاً لاَ يُفَارِقُهُ | مِـنْ رَبِّـهِ مَعَـهُ مِثْـلٌ مِـنَ ٱلـرَّغَـبِ |
| --- | --- |

وذلك داخل أيضاً في حد التقوى الكاملة ؛ إذ هي الائتمار والانتهاء للشريعة مع استشعار التعظيم لله تعالىٰ والهيبة والخشية والرهبة .

فأما قول الناظم : و( **أشعر القلب** ) . . فالإشعار : الإعلام ، يقال : شعُر بالأمر ـ بضم العين وفتحها ـ أي : علم به وفطن له وعقله .

ومعنىٰ ( ليت شعري ) : ليتني شعرت .

و( **القلب** ) : هو محل العلم من الإنسان .

وهو ـ كما قال الإمام حجة الإسلام ـ : ( لطيفة روحانية ، ومعنىً باطن يُدرَك بالبصيرة ولا يدرك بالبصر ؛ لأنه من عالم الملكوت ، وهو مَلِك جميع البدن ، وهو الأصل والبدن تابع له ، وعليه التكليف ، ومعه الخطاب والعتاب ، والسعادة والشقاوة ، وهو المطالَب والمعاقَب ، وليس هو قطعة اللحم الموضوع في الجانب الأيسر من الصدر ؛ لأنها توجد للبهائم والميت ، ولأنها تدرك بحاسة البصر ، ومن عالم الملك والشهادة ، بل هـٰذا مركب القلب وخادمه ، ويعبر به عنه ؛ تقريباً للأفهام .

والقلب الحقيقي معنىً شريف قائم بهـٰذا القلب اللحمي الموجود لكل أحد . . فليس موجوداً محققاً لكل أحد )[١] .

قال تعالىٰ ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

---

(١) الكلام بنحوه في « إحياء علوم الدين » ( ٣/٣ ) .

فالقلب جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة ، صفته معرفة الله تعالىٰ ومشاهدة حضرته ، وهو مخلوق من خلق الله تعالىٰ ، مُحْدَث .

وقوله : ( **خوفاً** ) الخوف : ضد الأمن ، وحقيقته : تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال . قاله حجة الإسلام[1] .

وقال في « منثور الخطاب » للقشيري : ( الخوف : توقع البلاء عند ذكر الخطأ .

الخوف : انزعاج السريرة لما عمل من الجريرة .

الخوف : أن يخاف القلب مما عمل من الذنب .

الخوف : أن يترقب العقوبة ، ويجتنب عيوبه ) اهـ .

وشبه الخوف الإشفاق ، ومعناه : دوام الحذر رحمة بالنفس ، وكذا يشبهه الحزن ، ومعناه : توجع في القلب لفائت ، أو تأسف علىٰ ممتنع .

ويقال : ( الحزن انكسار الفؤاد لفوات المراد ) .

فالفارق بينه وبين الخوف أن الحزن علىٰ ما فات ، والخوف مما هو آت .

و( **مِثْل** ) أي : شِبْه .

و( **الرَّغَب** ) والرغبة : غلبة الظن ، وقوة العزم بكون الشيء ووقوعه ، وكثرة الحرص والطمع في الشيء ، والميل إليه ، والضراعة والمسألة له .

قال بعضهم : ( الرغبة اللسانية هي التضرع ، والرغبة القلبية لَجَاءُ القلب إلى الله تعالىٰ في الحصول للشيء ، مع التوقع الغالب له ) اهـ بمعناه .

والرغب والرجاء متقاربان .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٥٥ ) .

وحقيقة الرجاء : ارتياح القلب بسبب انتظار ما هو محبوب ، ويعبر عنه بسرور الفؤاد لحسن الميعاد ، أو ترويح القلب لضمان الغيب .

وقوله : ( من ربه ) الضمير عائد إلى القلب .

و( الرب ) هو : السيد المصلح ، والمربي ، والخالق ، والمعبود ، وليس إلا الله العزيز الرحيم .

ويشبه الخوف والرجاء : القبض والبسط .

قال بعض الصوفية : ( البسط في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس ، وهو وارد تقتضيه إشارة إلىٰ قبول ولطف ، ورحمة وأنس ، ويقابله القبض ؛ كالخوف في مقابلة الرجاء في مقام النفس ) .

وأكثر ما يقع الخوف عقيب البسط بسوء أدب يصدر من السالك حال البسط .

واعلم أن الرجاء والرغبة ليسا ضداً للخوف ، بل هما موافقان له ، بل ضد لليأس من رحمة الله تعالىٰ .

والخوف : ضد الأمن من مكر الله تعالىٰ واليأس والقنوط من رحمة الله .

والأمن من مكر الله من أكبر كبائر القلب بعد الشرك ، نعوذ بالله من ذلك .

والأمن من مكر الله عبارة عن تمحض الرجاء ، وذهاب الخوف من الله بالكلية ، حتىٰ لا يجوِّز أن الله تعالىٰ يعذبه .

والقنوط عبارة عن تمحض الخوف ، وذهاب الرجاء بالكلية ، حتىٰ لا يجوِّز أن الله تعالىٰ يرحمه ويتجاوز عنه .

قاله شيخنا الناظم في كتابه « النصائح »[1] .

وقال حجة الإسلام : ( الخوف باعث وسائق بطريق الرهبة ، والرجاء باعث وقائد بطريق الرغبة ، وهما متلازمان ، ولذلك قال تعالىٰ : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

وقال سبحانه ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة : ١٦] .

وورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وعكسه ) .[2]

فمن آثار الرجاء والرغبة وعلاماته الدالة عليه : التلذذ بدوام الإقبال على الله ، والتنعم بمناجاته ، والتلطف في التملق له ، وطول المجاهدة في مرضاته تعالىٰ ، وفيما يقرب إليه تعالىٰ .

فمن لم تظهر فيه هٰذه العلامات . . فهو متمن مغرور ، ليس من أهل الرجاء ؛ لأن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين ، لا المغرورين المتمنين .

وقد قال جل وعلا في وصف أهل التمني والغرور : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف : ١٦٩] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الأحمق من أتبع نفسه هواها ، وتمنىٰ على الله الأماني »[3] .

فعُلِم أن اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ، ولم يبق إلا ما ليس تحت اختياره وهو فضل الله بصرف المفسدات والقواطع .

---

(١) « النصائح الدينية » ( ٣٩٠ـ٣٩١ ) .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٦٣ ) . ومن ورود الرجاء بمعنى الخوف في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ؛ أي : لا تخافون .

(٣) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/١٢٥ ) .

قال يحيىٰ بن معاذ رحمه الله : ( من أعظم الاغترار عندي . . التمادي في الذنوب علىٰ رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله تعالىٰ من غير طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار )اهـ[1]

وقال بعض العلماء : ( من خاف شيئاً . . هرب منه ، ومن خاف الله . . هرب إليه )[2] .

وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال : أن يمنع النفس عن المحظورات ، ويسمىٰ : ورعاً .

فإن حمله علىٰ ترك ما لا بأس به ؛ مخافة ما به بأس . . فهو الصدق في التقوىٰ .

فإن انضم إلىٰ ذلك التجرد لخدمة المولىٰ ، فصار لا يبني ما لا يسكنه ، ولا يجمع ما لا يأكله ، ولا يلتفت إلىٰ دنيا يعلم أنها تفارقه ، ولا يصرف إلىٰ غير الله نَفَساً من أنفاسه . . فهو الصِّدِّيق[3] .

فأما الخوف المفرط الذي يخرج إلى القنوط أو إلى الدهشة وزوال العقل . . فليس بمحمود .

ففائدة الخوف : الحذر ، والورع ، والتقوىٰ ، والعبادة ، والطاعة .

فإن لم يؤثر في العمل . . فوجوده كعدمه ـ كالرجاء ـ فإنه إذا لم يؤثر في العمل . . فوجوده كعدمه[4] .

وقد قال يحيىٰ بن معاذ : ( من عَبَدَ الله بمحض الخوف . . غرق في بحر الأفكار ، ومن عبده بمحض الرجاء . . تاه في مفازات الاغترار ، ومن عبده

---

(١) انظر « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٤٢ ـ ١٤٤ ) .
(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٥٦ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٥٦ ) .
(٤) « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٥٧ ـ ١٥٨ ) .

بالخوف والرجاء . استقام علىٰ محجة الادكار ) اهـ بتصرف[1] .

وأعلىٰ رتب الخوف : الخوف من الله نفسه لصفاته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة .

ولذلك يبقىٰ هٰذا الخوف ، وإن كان المتصف به في طاعة الله من الصديقين ؛ إذ هو ثمرة المعرفة بالله تعالىٰ[2] .

**ومن الخائفين** : من يغلب علىٰ قلبه خوف الموت قبل التوبة .

**ومنهم** : خوف نقض التوبة .

**ومنهم** : خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالىٰ .

**ومنهم** : خوف زوال رقة القلب ورجوع القساوة .

**ومنهم** : خوف الميل عن الاستقامة .

**ومنهم** : خوف استيلاء العادة ، واتباع الشهوات المألوفة .

**ومنهم** : خوف أن يكله الله تعالىٰ إلىٰ حسناته .

**ومنهم** : خوف البطر بكثرة نعم الله تعالىٰ عليه .

**ومنهم** : خوف الاشتغال بغير الله تعالىٰ .

**ومنهم** : خوف الاستدراج بتواتر النعم .

**ومنهم** : خوف انكشاف غوائل طاعاته .

**ومنهم** : خوف تبعات الناس عنده ؛ من الغِيبة والخيانة والغش وإضمار السوء .

**ومنهم** : خوف ما لا يدري أنه يحدث عليه في بقية عمره .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٦٦ ) .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٥٩ ) .

ومنهم : خوف تعجيل العقوبة في الدنيا .

ومنهم : خوف الاغترار بزخارف الدنيا .

ومنهم : خوف اطلاع الله تعالىٰ علىٰ سريرته حين غفلته عنه .

ومنهم : خوف سوء الخاتمة ، وهـٰذا الأخير هو الأغلب على المتقين .

ومنهم : خوف سابقة الأزل ، وهـٰذا أعلى الأقسام وأدلها علىٰ كمال المعرفة بالله تعالىٰ[(١)] .

وجميع هـٰذه المخاوف لا بد أن يصحبها الرجاء في الله تعالىٰ ؛ إذ هو ملازم للخوف لا ينفك عنه ، وهما مقتضى الإيمان بالله تعالىٰ .

وغلبة الخوف أولىٰ من غلبة الرجاء للمؤمن المخلط الذي يخشىٰ علىٰ نفسه ترك الطاعات وركوب المنهيات . كما قاله في « النصائح »[(٢)] .

قال : ( فأما المؤمن المستقيم علىٰ طاعة الله تعالىٰ . . فالأفضل له أن يكون بين الخوف والرجاء ؛ حتىٰ يكون كجناحي الطائر وكفتي الميزان .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه . . لاعتدلا »[(٣)]

قال : وأما إذا نزل الموت بالإنسان . . فالأليق به غلبة الرجاء وحسن الظن بالله تعالىٰ ، كيفما كان حاله ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالىٰ » )اهـ[(٤)]

ولأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل ، وقد انقضىٰ وقت

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٥٨ ) .

(٢) « النصائح الدينية » ( ٣٨٩ـ٣٩٠ ) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٢/ ١٢ ) عن مطرف قال : ( لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان . . ماكان بينهما خيط شعرة ) .

(٤) « النصائح الدينية » ( ٣٨٨ـ٣٩٠ ) ، والحديث أخرجه مسلم ( ٢٨٧٧ ) .

العمل ، وحينئذ فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ، ثم لا يطيق أسباب الخوف .

وأما روح الرجاء . . فإنه يقوي قلبه ، ويحبِّب إليه ربه .

ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا وهو يحب ربه ؛ ليكون محباً للقاء الله تعالىٰ ؛ فإن من أحب لقاء الله . . أحب الله لقاءه .

والرجاء تقارنه المحبة .

ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة . . قال لابنه : يا بني ؛ حدثني بالرخص ، واذكر لي الرجاء ؛ حتىٰ ألقى الله تعالىٰ حسن الظن به .

وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة ، واشتد جزعه . . جمع العلماء حوله يرجُّونه .

وكذلك قال أحمد ابن حنبل عند الموت لابنه : يا بني ؛ اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن[1] .

قال حجة الإسلام : ( ثم اعلم أن العمل على الرجاء ؛ أي : مع غلبة الرجاء . . أعلىٰ منه مع غلبة الخوف لمن لم يغتر ويأمن من مكر الله ؛ لأن المحبة تَغلِب بالرجاء ـ كما سبق آنفاً ـ وأقرب العباد إلى الله تعالىٰ : أحبهم له .

قال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء »[2] .

وفي الخبر : « إن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ داوود عليه السلام : أَحِبَّني ،

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/١٦٦ـ١٦٧ ) .

(٢) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٦٣٣ ) ، وهو في « الصحيحين » دون : « فليظن بي ما شاء » . البخاري ( ٦٩٧٠ ) ، ومسلم ( ٢٦٧٥ ) .

وأَحِبَّ من يُحِبُّني ، وحببني إلىٰ خلقي ، فقال : يا رب ؛ كيف أحببك إلىٰ خلقك ؟ ! فقال : اذكرني بالحسن الجميل » .

وفي الخبر : « أن رجلاً من بني إسرائيل كان يقنِّط الناس ويشدد عليهم ، قال : فيقول الله عز وجل له يوم القيامة : اليوم أُوئِسُك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها[1] » اهـ

وقد سبق قريباً أن القنوط من الكبائر ، فمن حمل الناس على القنوط . . فقد حملهم علىٰ كبيرة من كبائر الذنوب .

أما من يخوف الناس من غير تقنيط لهم . . فليس كذلك ؛ إذ الخوف من مقامات العارفين بالله تعالىٰ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ، وينادي : يا حنان ، يا منان ، فيقول الله تعالىٰ لجبريل عليه السلام : اذهب فأتني بعبدي ، قال : فيجيىء به ، فيوقفه علىٰ ربه ، فيقول الله عز وجل له : كيف وجدت مكانك ؟ ، فيقول : شر مكان ، فيقول : ردوه إلىٰ مكانه ، قال : فيمشي ويلتفت إلىٰ ورائه ، فيقول الله عز وجل : إلىٰ أي شيء تلتفت ؟ فيقول : تالله لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها ، فيقول الله تعالىٰ : اذهبوا به إلى الجنة »اهـ[2]

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : ( إن المؤمن لا تسكن روعته حتىٰ يخلِّف جسر جهنم وراءه )[3] .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٤٥ ) ، والحديث أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٢/ ٢١ ) .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٤٦ ) ، والحديث أخرجه بنحوه أحمد ( ٣/ ٢٣٠ ) .

(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٨ ) .

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ : ( يخرج الله من النار رجلاً بعد ألف عام ، وياليتني ذلك الرجل ) ، وروي : أنه ما ضحك أربعين سنة[1] .

وكان طاووس رحمه الله يفرش فراشه ، ثم يضطجع ، فيتقلىٰ كما تتقلى الحبة في المقلىٰ ، ثم يثب ، فيدرجه[2] ، ويستقبل القبلة حتى الصباح ، ويقول : طيَّر ذِكْرُ جهنم نومَ العابدين[3] .

وقال ميمون بن مهران : لما نزلت هـٰذه الآية : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٤٣] . . صاح سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ووضع يده علىٰ رأسه ، ثم خرج هارباً ثلاثة أيام لا يُقدَر عليه[4] .

وكان عطاء السلمي لم يَسألِ الله تعالى الجنة ، إنما كان يَسأَلُ العفو .

ويقال : إنه ما رفع رأسه إلى السماء ، ولا ضحك أربعين سنة ، وأنه رفع رأسه إلى السماء يوماً . . ففزع ، فسقط ، فانفتق في بطنه فتق ، وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ .

وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام . . قال : هـٰذا من أجلي يصيبهم ، لو مات عطاء . . استراح الناس[5] .

وقال السري : ( إني لأنظر كل يوم إلىٰ وجهي ؛ مخافة أن يكون قد اسودَّ ) .

وخرج ابن المبارك يوماً علىٰ أصحابه ، فقال : ( اجترأت البارحة على الله تعالىٰ ! ! سألته الجنة ) .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٨ ) .

(٢) يدرجه : يطويه .

(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٨ ) .

(٤) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٦ ) .

(٥) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٥ـ ١٨٦ ) .

وروي عن أبي ميسرة أنه كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه . . قال : ( يا ليت أمي لم تلدني ، فقالت له أُمه : يا ميسرة ؛ إن الله تعالىٰ قد أحسن إليك ، هداك للإسلام ، قال : أجل ، ولـٰكن قد بيَّن الله لنا أنَّا واردون النار ، ولم يبيِّن لنا أنَّا صادرون عنها )[1] .

وروي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر : ( ليتني مثلك يا طائر ولم أُخلق بشراً )[2] .

وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ يوماً تبنة من الأرض وقال : ( يا ليتني كنت هـٰذه التبنة ، يا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً ، يا ليتني كنت نسياً منسياً ، يا ليتني لم تلدني أُمي . وكان في وجهه خطان أسودان من الدموع )[3] .

* * *

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٥ ) .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٣ ) .

(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ١٨٣ـ ١٨٤ ) .

وقول الناظم رضي الله عنه ونفع به آمين :

[٦] وَزَيِّنِ ٱلْقَلْبَ بِٱلإِخْلاَصِ مُجْتَهِداً وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلرِّيَا يُلْقِيكَ فِي ٱلْعَطَبِ

فـ( **الزينة** ) : ما يتزين به ، والزين : ضد الشين ، والتزيين : التحسين ، والحُسن : البهاء .

و( **الإخلاص** ) : من أحسن زينة للقلب ، وأجمل حلية له ؛ إذ هو الإيمان كله ؛ لما في الحديث : قيل يا رسول الله ؛ ما الإيمان ؟ قال : « الإخلاص »[1] .

والخالص من الشيء : هو الصافي ، فكل ما يشوبه غيره إذا صفا عن شوبه . . سمي خالصاً .

ويسمى الفعل المصفَّى الخالص : إخلاصاً .

فالإخلاص تصفية العمل من الخلل ، ويعبر عنه بصون الأعمال عن شهود الأشكال .

ويقال فيه : الإخلاص : العمل لطلب الخلاص .

الإخلاص : فقدُ رؤية الأشخاص .

والإخلاص يضاده الإشراك ، وهما يتواردان على القلب .

فأمر الناظم نفع الله به بتحلية القلب بالإخلاص غاية الطاقة ، وهو معنىٰ قوله : ( **مجتهداً** ) ؛ إذ الاجتهاد بذل الوسع ؛ أعني : بذل المجهود في تحصيل المقصود .

و( الجهد ) ـ بضم الجيم وفتحها ـ هو : الطاقة .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٥/ ٣٤٢ ) .

ويقال : اجهد جهدك ؛ أي : ابلغ غايتك . وجَهَد ـ بفتح الهاء واجتهد ـ : جدَّ ، بمعنىً واحد .

وقوله تعالىٰ : ﴿ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ [المائدة : ٥٣] ؛ أي : بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها .

وقوله ( **واعلم** ) : كلمة تنبيه على الإصغاء لما يلقىٰ إلى المخاطب .

( **والرياء** ) : مشتق من الرؤية ؛ لأنه يري الناس أعماله ، ويأتي ذكره قريباً .

و( **العطب** ) : الهلاك ، يقال ـ بكسر الطاء [عَطِب] ـ : هلك ، ويقال للداهية : عَوطَب ، وكذا لجة البحر .

فمن لم يكن مخلصاً[1] . . فهو مشرك ، إلا أن للشرك درجات .

فالإخلاص بالتوحيد يضاده التشريك في الإلـٰهية ، وهو الشرك الجلي ، الذي هو الكفر ، وثَمَّ شرك خفي وأخفىٰ ، ولا يخلص منه إلا الصديقون ، وهم المستجمعون لجميع مراتب الصدق ، وأحوال الصديقين على الوجه الأتم ، من غير تزلزل ولا تلوين .

فالصديق عبارة عن المؤمن الكامل في جميع أحواله .

والصدق حال شريف ، يعبرون به عن اجتماع الباطن والظاهر علىٰ تحصيل الأمر المطلوب من طريقه علىٰ أكمل وجوهه .

والصادق : من قامت به هـٰذه الحالة .

وآخر مراتب الصادقين . . أول مراتب الصِّدِّيقين ، وآخر مراتب الصِّدِّيقين . . أول مراتب النبيين ، وليس بين النبوة والصِّدِّيقيَّة مرتبة على

---

(١) في بعض النسخ : ( فمن ليس مخلصاً . . ) .

الأصح . قاله شيخنا في « النفائس العلوية »[1] بمعناه .

والإخلاص روح الأعمال كلها ، بل هو الدين كله .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ . . الآية [البينة : ٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزمر : ٣] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ ﴾ . . الآية [النساء : ١٤٦] .

وقال سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله تعالىٰ وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة . . فارقها والله عنه راض »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه : « أخلص دينك . . يكفك العمل القليل »[3] .

وقيل : يا رسول الله ؛ ما الإيمان ؟ قال : « الإخلاص »[4]

وعنه عليه الصلاة والسلام : « طوبىٰ للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدىٰ ، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء »[5] .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « يا أيها الناس ؛ أخلصوا أعمالكم لله

---

(١) « النفائس العلوية » ( ١٤٣ـ١٤٥ ) .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٣٦٢ ) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٣٤١ ) .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٢/ ٤٤٨ ) .

تعـالـىٰ ؛ فـإن الله تعـالـىٰ لا يقبـل مـن الأعمـال إلا مـا خلـص لـه . . . » الحديث[1] .

وعن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالىٰ : الإخلاص سر من أسراري ، أستودعه قلب من أحببت من عبادي »[2] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( من خلصت نيته . . كفاه الله تعالىٰ ما بينه وبين الناس )[3] .

وقال أبو سليمان رحمه الله تعالىٰ : ( طوبىٰ لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالىٰ )[4] .

وقال محمد بن سعيد المروزي : ( الأمر كله يرجع إلىٰ أصلين : فعل منه بعبده ، وفعل من عبده له ، فترضىٰ بما فعل الله بك ، وتخلص فيما تعمل لله تعالىٰ ، فإذاً أنت سعدت بهـٰذين ، وفزت في الدارين )[5] .

وقال الجنيد رحمه الله تعالىٰ : ( إن لله عباداً عقلوا ، فلما عقلوا . . علموا ، فلما علموا . . عملوا ، فلما عملوا . . أخلصوا ، فاستدعاهم الإخلاص إلىٰ أبواب البر جميعها )[6] .

وقيل لسهل بن عبد الله رضي الله عنه : أي شيء أشد على النفس ؟ قال : ( الإخلاص ؛ لأنه ليس لها فيه نصيب )[7] .

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » ( ٨/ ١٤٠ ) .
(٢) أخرجه بنحوه الديلمي في « الفردوس » ( ٣/ ١٨٧ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٣٧٨ ) .
(٤) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٣٧٨ ) .
(٥) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٣٧٩ ) .
(٦) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٣٧٩ ) .
(٧) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٣٨١ ) .

وقال يوسف بن الحسين : ( أعز شيء في الدنيا الإخلاص ) اهـ

قال شيخنا وسيدنا في كلامه المنثور : ( أدل دليل علىٰ إخلاص الرجل عدم المبالاة بإسخاط الخلق في جانب الحق ) اهـ[1]

وقال في « النصائح » : ( معنى الإخلاص أن يكون قصد الإنسان في جميع طاعاته وأعماله مجرد التقرب إلى الله تعالىٰ ، وإرادة قربه ورضاه ، دون غرض آخر من مراءاة للناس ، أو طلب محمدة منهم ، أو طمع فيهم .

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالىٰ : نظر الأكياس في تفسير الإخلاص . . فلم يجدوا غير هٰذا : أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله تعالىٰ ، لا يمازجه شيء ، لا نفس ، ولا هوىً ، ولا دنيا . اهـ

فالذي يعمل لله تعالىٰ ولمراءاة الناس هو المرائي ، وعمله غير مقبول ، والذي يعمل لمراءاة الناس فقط ولولا الناس لم يعمل أصلاً . . أمره خطر هائل ، ورياؤه رياء المنافقين ، نعوذ بالله من ذلك ) اهـ كلامه[2] .

فمن أراد أن ينال حقيقة الإخلاص . . فليقطع طمعه من الدنيا ، ويكسر حظوظ نفسه بالمجاهدة والرياضة ، ويتجرد للآخرة . . ينله ويَحظَ به ، فهٰذا دواء الإخلاص .

وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : ( عمى البصيرة في ثلاثة :

١ـ إرسال الجوارح في معاصي الله تعالىٰ .

٢ـ والتصنع بطاعة الله تعالىٰ .

٣ـ والطمع في خلق الله .

---

(١) « الحكم » ( ١٣ ) .

(٢) « النصائح الدينية » ( ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ) .

فمن كان فيه أحد هٰذه الثلاثة . . فهو أعمى البصيرة ) اهـ

وقال سيدنا وشيخنا الناظم نفع الله به آمين : ( من تحقق بمقام الزهد في الدنيا . . حَظِي بحقيقة الإخلاص ، بل ينال به جميع مقامات الدين ، وتبقىٰ عليه بقايا تتم وتكمل له بتصحيح مقام التوكل والتحقق به ) .

وأما الرياء : فهو عبارة عن طلب المنزلة والتعظيم عند الناس بعمل الآخرة .

ويقال في التعبير عنه ـ أيضاً ـ : الرياء : ملاحظة الأشكال في الأعمال .

الرياء : الاستبشار برؤية الأغيار .

الرياء : سهولة الطاعة بمشهد الجماعة .

وقال أبو الحسن الشاذلي : ( الرياء : توجه القلب بالعمل إلىٰ غير الله تعالىٰ ، من حيث لم يأذن الله تعالىٰ ) .

أَمَر الناظم نفع الله به بتزيين القلب بالإخلاص ، وتحليته به ، وأشار إلىٰ تخلية القلب عن الرياء .

ومعنى التخلي ـ بالمعجمة ـ : طهارة النفس عن كل شاغل عن الله تعالىٰ من الأكوان .

ومعنى التحلي ـ بالمهملة ـ : الاتصاف بالأخلاق المحبوبة في الدين ، المقربة إلى الله ، وتزيين النفس بالفضائل .

ومعنى التجلي ـ بالجيم ـ : سطوع أنوار المعرفة على القلب .

والأولان يعبر عنهما بالسلوك والسير ، والثاني بالوصول .

وتقدم معنى الوصول والواصل عند قول الناظم : ( والغايات تبلغها . . . إلىٰ آخره ) .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى : ٢٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون : ٤ـ٦] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تزين بعمل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها . . لُعِن في السماوات والأرض »[١] .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « من طلب الدنيا بعمل الآخرة . . طُمِس وجهه ، ومحق ذكره ، وأثبت اسمه في النار »[٢] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ، وأساء حيث يخلو . . فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالىٰ »[٣] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ؛ إياكم وشرك السرائر » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وما شرك السرائر ؟ قال : « يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرىٰ من نظر الناس إليه ، فذلك شرك السرائر »[٤] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « تعوذوا بالله من جب الحَزَن » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وما جب الحزن ؟ قال : « واد في جهنم ، تتعوذ منه جهنم كل يوم أربع مئة مرة » ، قيل : يا رسول الله ؛ ومن يدخله ؟ قال : « أعد للقراء المرائين بأعمالهم ، وإن من أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء »[٥] .

وفي رواية : « أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد ، لحامل

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٥/ ٩٦ ) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٢/ ٢٦٨ ) .

(٣) أخرجه أبو يعلى ( ٩/ ٥٤ ) ، والبيهقي في « الكبرىٰ » ( ٢/ ٢٩٠ ) .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » ( ٢/ ٦٧ ) .

(٥) أخرجه ابن ماجه ( ٢٥٦ ) ، والترمذي بنحوه ( ٢٣٨٣ ) .

كتاب الله ، والمتصدق في غير ذات الله ، والحاج إلىٰ بيت الله ، والخارج في سبيل الله »[1] ؛ يعني : إذا عملوا ذلك رياء لا لله تعالىٰ .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله عملاً فيه مثقال حبة من خردل من رياء » .

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ( للمرائي ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان في الناس ، ويزيد في العمل إذا أثني عليه ، وينقص إذا ذُمَّ )اهـ[2]

ومن علامات المرائي ـ كما قال الإمام حجة الإسلام ـ : أن يُسَرَّ ويرتاح باطلاع الناس علىٰ عمله الذي لم يراءِ به .

ومن علامات المرائي ـ أيضاً ـ : أن يحب من الناس أن يبشوا به ، وأن يوقروه ، وأن يسامحوه في البيع والشراء ، وأن يوسعوا له في المكان .

ومهما أدرك العبد من نفسه تفرقة بين أن يطلع علىٰ عبادته إنسان أو بهيمة . . ففيه شعبة من الرياء[3] .

ولـٰكن لا ينبغي للعبد أن يترك العمل خوفاً من الرياء ؛ فإن ذلك مراد الشيطان منه ، بل يعمل ويستغفر ويعترف[4] .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ : ( ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما )اهـ[5]

* * *

---

(١) أخرج هـٰذه الراوية الطبراني في « الكبير » ( ١٢/ ١٧٥ ) .
(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٢٩٦ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٣٠٥ـ٣٠٦ ) .
(٤) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٣٢٣ ) .
(٥) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٣٨٢ ) .

وأما قوله رضي الله عنه :

| [٧] وَنَقِّ جَيْبَكَ مِنْ كُلِّ ٱلْعُيُوبِ وَلاَ | تَدْخُلْ مَدَاخِلَ أَهْلِ ٱلْفِسْقِ وَٱلرِّيَبِ |
| --- | --- |

فيعني : خَلِّص واغسل قلبك وصدرك ونيتك ومدخلك وجانبك من جميع ما ينقصك ويوهن دينك ، من كل ما يوجب نقصاً من الشهوات والغفلات ورديء العادات ، واخرج من مذاهب الخارجين عن طريق الحق من أهل العصيان والفجور والشرور ، والمتهمين[1] بهٰذه الأمور ، ولا تدخل في شيء من أمورهم . . فالتنقية إخراج الرديء .

و( **النُّقاوة** ) ـ بالضم ـ : نبات يغسل به .

و( **الجيب** ) : يطلق على القلب ، وعلى الصدر ، وعلى المدخل والنية والمذهب ، وجيب الأرض : مدخلها .

و( **العيوب** ) ـ جمع عيب ـ وهو : الوصمة والنقص .

والمراد : جميع نقائص الدين والمروءة ، وأصل ذلك : فساد القصد والنية ، الذي عنوانه الرضىٰ عن النفس واتباع هواها .

و( **الدخول** ) : ضد الخروج .

و( **المداخل** ) : المذاهب وجملة الأمور ، والمُداخِل المُباطِن .

والدَّخَل : يطلق على الريبة ، والعيب ، والداء ، وما يداخل من فساد .

و( **الفسق** ) والفسوق : يطلق على الخروج عن طريق الحق وعلى الفجور والعصيان .

---

(١) في ( ب ) : ( المتهمين المتوهمين ) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام : ١٢١] ؛ أي : خروج عن طريق الحق .

وفسق عن أمر ربه.. خرج ، والفاسق : الخارج عن طريق الخير والمنسلخ عنه .

و( **الريبة** ) : هي التهمة ، وهي الحمل علىٰ غير المقصود .

وقد قيل لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه : من أسلم الناس من العيوب ؟ فقال : ( من جعل عقلَه أميرَه ، وحذرَه وزيرَه ، والموعظة زمامه ، والصبر قائده ، والاعتصام بالتقوىٰ ظهيره ، وخوف الله تعالىٰ جليسه ، وذكر الموت والبِلىٰ أنيسه )اهـ[١]

وقد منع الشرع من التهم ، فيجب الاحتراز عن عين السوء ، وعن تهمة الأشرار ؛ فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا مواضع التهم »[٢] ، حتىٰ إنه عليه السلام احترز من ذلك إذ مر به رجلان من الأنصار وهو مع صفية بنت حيي زوجه رضي الله عنها.. فقال لهما : « إنها صفية » ، فقالا : أفنظن بك إلا خيراً ؟! قال : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يدخل عليكما »[٣] .

قال حجة الإسلام : ( فانظر كيف أشفق علىٰ دينهما وعلىٰ أمته ، فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة ؛ حتىٰ لا يتساهل المعروف بالدين في أحواله ، فيقول : مثلي لا يُظَن به إلا الخير ؛ إعجاباً منه بنفسه .

---

(١) « اللمع » ( ١٨٠ ) .

(٢) ذكره الإمام الغزالي في « الإحياء » ( ٣/٣٦ ) ، وفي معناه : قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( من سلك مسالك الظن.. اتُّهِم ) .

(٣) أخرجه بنحوه البخاري ( ١٩٣٣ ) ، ومسلم ٢٤ ( ٢١٧٥/٢٤ ) .

فإن أتقى الناس لا ينظر إليه الناس بعين واحدة ، بل بعضهم بعين الرضا ، وبعضهم بعين السخط ، والمؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العيوب ، فإذا رأيت من يسيء الظن ويطلب العيوب . . فاعلم أنه خبيث الباطن )[1] .

وأما تنقية الجيب من جميع العيوب . . فيحتاج إلىٰ معرفة الحق ، وإدراك الفرق بينه وبين الباطل في جميع الاعتقادات ، ومعرفة الجميل من الأفعال ، وإدراك الفرق بينه وبين القبيح منها ، ومعرفة الصدق والكذب ، ثم اعتقاد الحق ، وفعل الجميل ، والصدق والتزامه والعمل به ، وجملة ذلك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ، والتزام سنته في جميع الأقوال والأفعال والأخلاق ، ورفض هوى النفس بالكلية .

وأما تعداد العيوب . . فمتعسر ومتعذر ، بل العيوب التي في اللسان لا تكاد تنحصر ، ويأتي ذكرها عند قول الناظم : ( واحفظ لسانك ) .

وقد ورد : « أكثر خطايا ابن آدم في لسانه »[2] .

وعيوب العبد كثيرة جداً .

* * *

---

(1) « إحياء علوم الدين » ( ٣/٣٦ ) .

(2) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٤/٢٤١ ) .

وأما قوله نفع الله به :

[٨] وَٱحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ طَعْنٍ عَلَىٰ أَحَدٍ مِـنَ ٱلْعِبَـادِ وَمِـنْ نَقْـلٍ وَمِـنْ كَـذِبِ

أي : احرسها وراعها ، وتوكل بها من وقوعها في عرض أحد من عباد الله تعالىٰ ، ومن نقل الكلام عليهم ، ونقله عن بعضهم إلىٰ بعض ، ومن الكذب ، وهو : الإخبار بغير الواقع .

فـ( **الحفظ** ) : الحراسة ، يقال : حفظه ؛ أي : حرسه وراعاه ، والحفيظ والحافظ : الموكل بالشيء .

ومعنى الحفيظ في أسماء الله تعالىٰ : هو الذي لا يعزب عنه[١] شيء في السماوات ولا في الأرض .

والتحفظ : الاحتراز ، والحفظ : قلة الغفلة ، والمحافظة : المواظبة ، والحفظة : الملائكة الذين يحفظون أعمال العباد ، واللوح المحفوظ : المصون عند الله تعالىٰ من وصول الشياطين إليه ، ومن التبديل والتغيير .

و( **اللسان** ) : هو المِقْوَل ، يُذَكَّر ويؤنث ، جمعه : ألسن وألسنة ولُسْنٌ ، ويطلق اللسان على اللغة والرسالة ، ويقال : لسان القوم للمتكلم عنهم . واللَّسَن : الفصاحة ، ويقال للكذاب : الملسون . والإلسان : هو الإبلاغ للرسالة . ويقال : فلان ينطق بلسان الله تعالىٰ ؛ أي : بحجته وكلامه .

والمناقلة في المنطق هي : أن تحدثه ويحدثك .

والنُّقلة ـ بضم النون ـ : النميمة . والطعن في عرض المسلم هو : النميمة والغِيبة .

---

(١) لا يعزب عنه : لا يغيب عن علمه شيء .

قال شيخنا الناظم : ( وحدُّ الغيبة شرعاً : ذكرك أخاك المسلم في غيبته بما يكرهه لو سمعه ، سواء ذكرته بنقص في دينه أو بدنه أو أهله أو ولده ، حتىٰ في مشيته وثوبه وسائر ما يتعلق به ، وكذلك كتابتك لما يكرهه والإشارة إليه بنحو اليد .

وحد النميمة : نقل كلام بعض الناس إلىٰ بعض بقصد الإفساد والفتنة )[1] .

وبالجملة : فخطر اللسان عظيم ، وأمره مَخُوف ، وحفظه مهم جداً ؛ لأنه أغلب أعضاء العبد وأقواها في سياقته إلى الهلاك إن لم يحفظه ويحرسه ويضبطه عما حرم الله تعالىٰ عليه ، وهل يكب الناس في النار علىٰ وجوههم أو علىٰ مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟! كما في الحديث[2] .

---

(١) « النصائح الدينية » ( ٣٤٩ـ٣٥٠ ) .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي ( ٢٦١٦ ) ، وابن ماجه ( ٣٩٧٣ ) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر . . فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ؛ أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال : « لقد سألت عظيماً ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه :

تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » .

ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنَّة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء النارَ الماءُ ، وصلاة الرجل في جوف الليل » .

ثم قرأ : « ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ » .

ثم قال : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ الجهاد » ، ثم قال : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ » ، قلت : بلىٰ . . فأخذ بلسانه فقال : « تكف عليك هـٰذا » ، قلت : يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم ؟!!

قال : « ثكلتك أمك يا معاذ ، هل يكب الناس علىٰ وجوههم في النار إلا حصائد=

واللسان صغير الجِرم[١] ، عظيم الطاعة والجُرم[٢] ، ويعرب عن كل ما يتناوله العلم ، والعلم يتناول كل موجود ومعدوم ، وخالق ومخلوق ، ومستحيل[٣] ومعلوم ، ومظنون وموهوم ، وهـٰذه خاصية في اللسان لا توجد في سائر أعضاء الإنسان ؛ إذ لا يتبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان ، وهما غاية الطاعة والطغيان ، ولا ينجي من خطر اللسان وهفواته . . إلا الصمت وعدم النطق إلا بخير أو بما يعين علىٰ خير .

قال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . . الآية [النساء : ١١٤] .

وقال سبحانه : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار : ١٠ـ١٢] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صمت نجا »[٤] .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ؛ ما النجاة ؟ قال : « املك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك علىٰ خطيئتك »[٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من وُقِيَ شر قَبْقَبِه وذَبْذَبِه ولَقْلَقِه . . وقي الشر كله »[٦] .

---

= ألسنتهم » .

(١) الجِرم : الحجم .

(٢) الجُرم : الجريمة والذنب .

(٣) في ( ب ) : ( متحيز ) ، وفي ( ج ) : ( متخيل ) ، وكل منها بمعنىً .

(٤) أخرجه الترمذي ( ٢٥٠١ ) ، وأحمد ( ٢/ ١٥٩ ) .

(٥) أخرجه الترمذي ( ٢٤٠٦ ) ، وأحمد ( ٤/ ١٤٨ ) .

(٦) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٤/ ٣٦١ ) .

فـ( القبقـب ) : البطـن . و( الـذبـذب ) : الفـرج . و( اللقلـق ) : اللسان .

وهٰذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق .

وورد : « أكثر خطايا ابن آدم في لسانه »[1] .

وورد : « من كف لسانه . . ستر الله عورته »[2] .

قال مجاهد رحمه الله تعالىٰ : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : ( خمس لهن أحسن من الدُّهم الموقفة في سبيل الله تعالىٰ : لا تتكلم فيما لا يعنيك ؛ فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك حتىٰ تجد له موضعاً ؛ فإنه رب متكلم في أمر يعنيه ، فوضعه في غير موضعه . . فعنت ) . . . ثم ذكر بقيتها[3] .

وقال إبراهيم التيمي : ( المؤمن إذا أراد أن يتكلم . . نظر ، فإن كان له فيه خير . . تكلم ، وإلا . . سكت ، والفاجر إنما يرسل لسانه رسلاً رسلاً ) .

وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كم دون لسانك من باب ؟ » . قال : شفتاي وأسناني . فقال : « أما كان في ذلك ما يرد كلامك ؟! » .

**ومن آفات اللسان** : المراء والجدال .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ١٠/١٩٧ ) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٢/٨٢ ) بلفظ : « من حفظ لسانه » .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » ( ١١٤ ) ، وتتمة الحديث : ( ولا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ؛ فإن الحليم يقليك ، وإن السفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا تغيب عنك بما تحب أن يذكرك به ، وأعفِهِ مما تحب أن يعفيك منه ، واعمل عمل رجل يرىٰ أنه مجازىٰ بالإحسان ، مأخوذ بالإجرام ) .

فعن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ضل قوم [بعد هدي] . . إلا أوتوا الجدل »[1] .

وقال أيضاً : « ما يستكمل عبد حقيقة الإيمان . . حتىٰ يدع المراء وإن كان محقاً »[2] .

قال حجة الإسلام : ( المراء الطعن والاعتراض في كلام الغير بإظهار خلل فيه من جهة : اللفظ ، أو المعنىٰ ، أو في قصد المتكلم ، إما من جهة النظم والترتيب ، أو النحو ، أو اللغة .

والمجادلة عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه والقدح في كلامه ، والمراء والجدال من المعاصي القبيحة ؛ لأن أذى المسلم شديد التحريم ؛ إذ ورد فيه وعيد شديد ، ولا نجاة منه إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت )[3] .

ومن آفات اللسان : الخصومة .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جادل في خصومة بغير علم . . لم يزل في سخط الله تعالىٰ حتىٰ ينزع »[4] .

ويقال : ما خاصم خصومةً قط وَرِعٌ في الدين .

ولو لم يكن في الخصومة إلا أنها توغر الصدر ، وتهيج الغضب ، وتشوش الخاطر . . لكفىٰ .

---

(١) أخرجه الترمذي ( ٣٢٥٣ ) ، وابن ماجه ( ٤٨ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ٢/٤٨٦ ) .

(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٤/٣١٧ ) .

(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٣/١١٧ ) .

(٤) أخرجه بنحوه البيهقي في « الكبرى » ( ٦/٨٢ ) .

فالخصومة مبدأ كل شر في الدين والدنيا ، كيف وقد فات المخاصم والمماري والمجادل الثواب الجزيل الوارد لمن أطاب الكلام ؛ إذ قال الله تعالىٰ : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة : ٨٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الكلمة الطيبة صدقة »[١] .

وورد : « يمكِّنكم من دخول الجنة طيب الكلام ، وإطعام الطعام »[٢] .

**ومن آفات اللسان القبيحة** : اللعن ، والسب ، والدعاء بالشر ، ولو لحيوان .

فعن النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن ليس بلعَّان »[٣] .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر »[٤] .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « المتسابان شيطانان ، يتكاذبان ويتهاتران »[٥] .

وورد : « من لعن مؤمناً . . فهو مثل أن يقتله »[٦] .

**ومن آفات اللسان** : كثرة المزاح ، والإفراط فيه ، والمداومة عليه وعلى الضحك ، ويأتي الكلام عليه قريباً .

**ومن آفات اللسان** : إفشاء السر ، والاستهزاء ، والسخرية .

قال الله تعالىٰ : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [الحجرات : ١١] .

---

(١) أخرجه البخاري ( ٢٨٢٧ ) ، ومسلم ( ١٠٠٩ ) .
(٢) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ١٥٠٤ ) .
(٣) أخرجه الإمام أحمد ( ١/ ٤٠٤ ) بنحوه .
(٤) أخرجه البخاري ( ٤٨ ) ، ومسلم ١١٦ ( ٦٤ ) .
(٥) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٧٢٦ ) .
(٦) أخرجه بنحوه البخاري ( ٥٧٠٠ ) .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن المستهزئين بالناس يُفتَح لأحدهم باب إلى الجنة ، فيقال : هلم ، هلم ، فيجيء بكربه وغمه ، فإذا جاء . . أُغلق دونه . . » الحديث[1] .

وقال الحسن : ( إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك ) .

**ومن آفات اللسان** : المدح .

أما الذم : فهو الغيبة والوقيعة ، ويأتي الكلام فيهما .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « إذا مدحت أخاك في وجهه . . فكأنما أمررت الموسىٰ علىٰ حلقه »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام لمن مدح رجلاً : ( عقرت الرجل ، عقرك الله )[3] .

وقال عمر رضي الله عنه : ( المدح هو الذبح ) .

وورد : « احثوا في وجوه المدَّاحين التراب »[4] .

**ومنها** : الغِيبة .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٥/ ٣١٠ ) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ( ٦/ ٩٩ ) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ( ٢٦٢٦٢ ) موقوفاً علىٰ سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه بنحوه مسلم ٦٨ ( ٣٠٠٢ ) ، وبلفظه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٧٦٩ ) .

قال مجاهد : ( الهمزة ) : الطَّعَّان في الناس ، و( اللمزة ) : الذي يأكل لحوم الناس .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والغِيبة ؛ فإن الغِيبة أشد من الزنا »[١] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أُسري بي علىٰ قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم ، فقلت : يا جبريل ؛ من هٰؤلاء ؟ قال : هٰؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم »[٢] .

وورد : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ؛ لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من تتبع عورة أخيه . . تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته . . يفضحه ولو في جوف بيته »[٣] .

وورد : « ما النار في اليابس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد » .

وقال الحسن رحمه الله : ( واللهِ لَلْغِيبةُ أسرع فساداً في دين المؤمن من الآكلة في جسده ) .

وقال قتادة : ( ذُكِر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من الغيبة ، وثلث من البول ، وثلث من النميمة ) .

وقال علي بن الحسين رحمهما الله تعالىٰ ورضي عنهما : ( الغيبة إدام كلاب الناس )اهـ[٤]

فمن أمثلة الغيبة : قولك : فلان الأعمش ، أو الأسود ، أو الخسيس ، أو الزبال ، أو البخيل ، أو العاجز ، أو الكذاب ، أو المتهاون بالصلاة ، أو

---

(١) انظر « مجمع الزوائد » ( ٨/ ٩١ـ٩٢ ) .
(٢) أخرجه بنحوه أبو داوود ( ٤٨٧٨ ) .
(٣) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٢٠٣٢ ) .
(٤) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ١٤٣ ) .

بالزكاة ، أو لا يحسن الركوع مثلاً ، أو قليل الأدب ، أو كثير الكلام أو النوم ، أو واسع الكم ، أو وسخ الثوب .

وقد نقل الإمام الغزالي إجماع الأمة علىٰ أن من ذكر غيره بما يكرهه . . فهو مغتاب[1] .

قال : وإن كان صادقاً ؛ لما جاء عنه صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما الغيبة ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول . . فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه . . فقد بهته »[2] .

وقال الحسن : ( ذِكْر الغير ثلاثة : الغيبة ، والبهتان ، والإفك ، والكل في كتاب الله تعالىٰ .

أما الغيبة : فأن تقول ما فيه ، والبهتان ما ليس فيه ، والإفك أن تقول ما بلغك )اهـ[3]

قال حجة الإسلام : ( ومن الغيبة الفاحشة قول بعض الناس : أصلح الله فلاناً ، كان يفعل الخير ثم ترك . أو نحو ذلك ؛ كقوله : ابتلي فلان بما ابتلينا به تاب الله علينا وعليه ، وليس في قصده الدعاء ) .

واعلم أن المستمع الساكت شريك المغتاب إذا كان راضياً بذلك ، ويلزمه الإنكار باللسان ، فإن لم يقدر . . فارق المجلس وجوباً فإن لم يستطع . . كره بقلبه .

ولا يجوز الرضا بالغيبة مطلقاً ، ولا يكفي في إسقاط الإثم قوله :

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ١٤٤ ) .
(٢) أخرجه مسلم ( ٢٥٨٩/ ٧٠ ) ، وابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٧٥٨ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ١٤٤ ) .

اسكت مع الرضا بالغيبة ؛ فإن ذلك نفاق ، ولا الإشارة باليد أو الحاجب أو الجبين ، بل يصرح بالنهي .

وتجوز الغيبة لستة أمور[1] :

[الأول] : التظلم .

و[الثاني] : الاستعانة علىٰ تغيير المنكر ، بشرط الصدق في النية ، وأن لا يكون قصده غيبة المؤمن .

**الثالث** : الاستفتاء ؛ كقولك للمفتي : فلان ظلمني في كذا ، فكيف طريق الخلاص ؟ والأولىٰ أن لا يصرح ، بل يقول : رجل ظلمني .

**الرابع** : تحذير المسلمين من الشر ؛ كأن يستشار في صحبة رجل أو أخذ سلعته أو تزويجه ، وكالسؤال عن عدالته . . فيلزمك أن تتكلم بما تعلم علىٰ قصد النصح .

**الخامس والسادس** : أن يكون مجاهراً بالفسق ، أو ملقياً للحياء ، إن لم يكرهه ، وكان يكفي عنه عبارة أخرىٰ .

ويجب الاحتياط في ذلك ؛ فإن إثم الغيبة شديد ، وعقابها أليم .

وتجب التوبة عن الغيبة : بالندم ، والإقلاع ، والعزم علىٰ أن لا يعود إليها ، والاستحلال منها ؛ لأنها من مظالم العباد .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال . . فليتحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم ، يؤخذ من حسناته ، فإن لم تكن له حسنات . . أخذ من سيئات صاحبه فزيدت علىٰ سيئاته »[2] .

---

(١) انظر هذه الأمور في « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ١٥٣ ) .
(٢) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٢٤١٩ ) .

وينبغي لمن تحلل منه أخوه أن يعفو عنه » .

قال الحسن رحمه الله : ( إذا جثت الأمم على الركب بين يدي الله عز وجل يوم القيامة . . نودي : ليقم من كان أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا عن مظلمة في الدنيا ) .

**ومن آفات اللسان المهلكة** : النميمة ، والسعاية ، وكلام ذي الوجهين .

وقد سلف أن النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلىٰ بعض بقصد الإفساد والفتنة ؛ كقوله : كان فلان يتكلم فيك بكذا .

وقد تطلق علىٰ كشف ما يكره المؤمن كشفه ، ولو بالإشارة والرمز والكتابة.

فإن كانت إلىٰ نحو سلطان . . سميت سعاية .

فإن نقل كلام واحد إلى الآخر . . فهو ذو لسانين ، وذلك شر من النميمة ؛ إذ يصير نماماً بنقله الكلام من أحد الجانبين فقط ، وهـٰذا نقل منهما .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم : ١٠ـ١٣] .

و( الزنيم ) : هو الدَّعِيُّ .

واستنبط عبد الله بن المبارك منه : أن النمام لا يكون إلا ولد زنا ، وهو الدعي .

وقال عز وجل : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] ، قيل : إن الهُمَزَة هو النمام .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة »[1] .

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في « الأوسط » ( ٧/ ٣٥٠ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن النميمة والحقد في النار ، لا يجتمعان في قلب مسلم »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس مني ذو حسد ، ولا نميمة ، ولا كهانة ، ولا أنا منه » ، ثم تلا : « ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ » . . . الآية[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق . . أشانه الله في النار يوم القيامة »[3] .

وفي رواية : « كان حقاً على الله تعالى أن يذيبه يوم القيامة في النار »[4] .

ويجب على من نم إليه نمام : أن ينهاه ، ويبغضه ، ولا يصدقه ؛ لأن النمام فاسق ، مردود الشهادة ، بغيض عند الله تعالى ، فلا تجوز حكاية قوله ؛ لأن ذلك نميمة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تدرون من شر عباد الله يوم القيامة ؟ ذو الوجهين ، الذي يأتي هؤلاء بحديث ، وهؤلاء بحديث »[5] .

وفي رواية : « هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » .

**ومن آفات اللسان المهلكة** : الكذب ، واليمين الفاجرة ، وشهادة الزور ، والوعد الكاذب ، والقطع بالشهادة على أحد من أهل القبلة ، وهذه الآفات داخلة كلها في الكذب .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٥/ ٥٤ ) .
(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٨/ ٩١ ) .
(٣) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٣٥٣ ) .
(٤) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ٣/ ٦٤ ) .
(٥) أخرجه بنحوه البخاري ( ٦٧٥٧ ) ، ومسلم ٩٩ ( ٢٥٢٦ ) .

قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل : ١٠٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود : ١٨] .

فالكذب في القول واليمين وغيرها من قبائح الذنوب ، وفواحش العيوب .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم والكذب ؛ فإنه مع الفجور وهما في النار »[١] .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن الكذب باب من أبواب النفاق »[٢] .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « الكذب ينقص الرزق »[٣] .

وقال أنس رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقبلوا لي بست . . أتقبل لكم الجنة » ، قالوا : وما هي ؟ قال : « إذا حدث أحدكم . . فلا يكذب ، وإذا وعد . . فلا يخلف ، وإذا اؤتمن . . فلا يخن ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم »[٤] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من حلف علىٰ يمين بإثم يقتطع بها مال امرىء مسلم بغير حق . . لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبانُ »[٥] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : كل خصلة يُطبَع ـ أو يطوىٰ ـ عليها المؤمن ، إلا الخيانة والكذب »[٦] .

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٧٣٤ ) .
(٢) أخرجه بنحوه الديلمي في « الفردوس » ( ٣/ ٣١٤ ) .
(٣) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٣/ ٣١٤ ) .
(٤) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٣٩٩ ) .
(٥) أخرجه بنحوه البخاري ( ٢٢٢٩ ) ، ومسلم ٢٢٠ ( ١٣٨ ) .
(٦) أخرجه بنحوه البيهقي في « الكبرى » ( ١٠/ ١٩٧ ) .

وعن أم كلثوم رضي الله عنها قالت : ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب.. إلا في ثلاث : الرجل يقول القول يريد الإصلاح ، والرجل يقول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها[١] .

* * *

(١) أخرجه بنحوه مسلم ( ٢٦٠٥/١٠١ ) .

وقوله رضي الله عنه ونفع به :

| [٩] وَكُنْ وَقُوراً خَشُوعاً غَيْرَ مُنْهَمِكٍ | فِي ٱللَّهْوِ وَٱلضِّحْكِ وَٱلأَفْرَاحِ وَٱللَّعِبِ |
| --- | --- |

يعني : وتحلَّ بالرزانة ، والترفع عن الرذائل ، والسكون ، والطمأنينة ، والخضوع لله تعالىٰ ، وعدم الاسترسال في البطر والفرح وما يلهي عن الله تعالىٰ وعن الدار الآخرة .

فـ( **الوقار** ) : هو الرزانة ، والتوقير : هو التبجيل والاحترام .

و( **الخشوع** ) : هو السكون والخضوع والتذلل .

قال الحسن : ( الخشوع هو الخوف الدائم اللازم للقلب ) .

وقال الجنيد : ( الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب ) .

وقال أبو عبد الله محمد بن عباد ـ شارح « الحِكَم » ـ : ( معنى الخشوع : لين القلب ، وتأتِّيه إلى الانقياد إلىٰ مقتضى العبودية ، وضده القساوة ، وهي حالة يتكيف بها القلب عند تعاطي العبد لأعمال جَرَّه إليها تأويلات فقهية علمية ، مع استصحاب الهدىٰ ) .

قال الله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد : ١٦] .

و( **الانهماك** ) في الشيء : الدخول والاسترسال فيه .

و( **الضحك** ) ـ بفتح الضاد وسكون الحاء ، وبكسرها مع سكون الحاء ، وبكسرتين ، وبفتح فكسر ـ هو : العَجَب .

وأصل الضحك ـ عند الحكماء ـ : ينشأ من إقبال القلب على النفس إلىٰ جهة الصدر . . فينفعل لذلك البدن بالكيفية التي تسمىٰ ضحكاً ، وهو من خصائص الإنسان ، ويميزه عن جنس الحيوان .

ولا يكون الضحك إلا عن تعجب ، والتعجب يستدعي الفكر ، والفكر خاصية الإنسان ، وهو مذموم ومحمود .

و( الفرح ) : هو السرور والبطر .

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالىٰ : ( واعلم أنه لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالىٰ ما لم يمنع النفس من الانهماك والاسترسال في الشهوات وأسباب الفرح والبطر ؛ لأنه إذا لم يمنع النفس بعض المباحات . . طمعت في المحظورات ، والركون إلى اللهو واللعب ، والأفراح الدنيوية ، وتزجية العمر[1] بالمزاح )[2] .

والمضحكات سم قاتل يسري في العروق . . فيُخرِجُ من القلب الخوفَ والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة ، ومن كان بهٰذه الصفة . . فهو ميت القلب ، ممقوت عند الله ، بعيد من كل خير .

وقد قال تعالىٰ : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

قال أبو علي الدقاق رحمه الله تعالىٰ : ( أي : متواضعين متخاشعين ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء والعِي شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام ، « إن الله تعالىٰ لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق »[4] .

---

(١) **تزجية العمر** : سَوْقه .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٦٨ ) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٥١ ) . والعي : ضد البيان . «مختار الصحاح» .

(٤) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٥٦ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سيصيب أمتي داء الأمم » قالوا : وما داء الأمم ؟ قال : « الأشر والبطر » . . . إلخ الحديث[1] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً . . فادنوا منه فإنه يُلَقَّى الحكمة »[2] .

وعن عبد الله بن ربيعة : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس ، فوعظهم في ضحكهم من الضرطة[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحِك بها جليسه . . يهوي بها أبعد من الثريا »[4] .

وروي عن عيسىٰ عليه الصلاة والسلام أنه قال : ( إن الله تعالىٰ يبغض الضحاك من غير عَجَب ، والمشاء في غير أرب ) .

وقال عمر رضي الله عنه : ( أتدرون لم سمي المزاح مزاحاً ؟ قالوا : لا . قال : لأن صاحبه زاح عن الحق ) .

وقال ـ أيضاً ـ : ( من كثر ضحكه . . قلت هيبته ) .

وقد جعل أبو حنيفة رحمه الله تعالى القهقهة من الذنب ، وحكم ببطلان الوضوء بها[5] .

وقال أصحابنا الشافعية : يسن الوضوء من القهقهة في الصلاة .

وقال بعض السلف : ( من ضحك ضحكة . . مج من العلم مجة ) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ( اتقوا الله ، وإياكم والممازحة ؛

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ١٨٥ ) ، وتتمة الحديث : « والتكاثر والتناجش في الدنيا ، والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي » .

(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٣٤٦ ) .

(٣) أخرجه البخاري ( ٤٦٥٨ ) ، ومسلم ( ٢٨٥٥/ ٤٩ ) .

(٤) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان »( ٥٧١٦ ) ، وأحمد ( ٢/ ٤٠٢ ) .

(٥) أي : إذا كان في الصلاة .

فإنها تورث الضغينة ، وتجر القطيعة ، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به ، فإن ثقل عليكم . . فحديث حسن من أحاديث الرجال ) .

وقيل : ( ما أُلبس عبد لبسة أحسن من خشوع في سكينة ، وهي لبسة الأنبياء ، وسِيما الصديقين ) .

ونظر وهيب بن الورد رحمه الله تعالىٰ إلىٰ قوم يضحكون في يوم فطر . . فقال : ( إن كان هـٰؤلاء قد غفر لهم . . فما هـٰذا فعل الشاكرين ، وإن لم يغفر لهم . . فما هـٰذا فعل الخائفين ) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ( من أذنب وهو يضحك . . دخل النار وهو يبكي ) .

قال الإمام الغزالي رحمه الله : ( والمزاح المنهي عنه هو دوام المزاح والإفراط فيه ) .

أما المداومة عليه : فلأنه اشتغال باللعب والهزل ، واللعب وإن كان مباحاً . . لـٰكن المداومة عليه مذمومة .

والإفراط فيه : يورث الضغينة في بعض الأحوال ، ويسقط المهابة والوقار ، فما يخلو عن هـٰذه الأمور . . فلا يذم ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني أمزح ، ولا أقول إلا حقاً »[1] .

( وكان ضحكه صلى الله عليه وسلم التبسم ، يظهر منه السن ولا يظهر منه الصوت ) .

وكذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يمزحون ، ولـٰكن لا يقولون إلا حقاً ، ويقتصرون عليه أحياناً بعد أحيان ، من غير أذىً للغير ولا إفراط فيه .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ١/ ٢٩٨ ) .

وكذلك العلماء العارفون قد يمزحون ، ولـٰكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان الضحك والمزاح حرفة ، ويُفْرِط فيه من غير علم ومعرفة ، ويقول : قد فعله فلان وفلان ، وفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ؛ إذ هـٰؤلاء كانت أوقاتهم معمورة بالعبادات والطاعات ، والجد والاجتهاد ، ويجمون أنفسهم[1] في بعض الأوقات بشيء من ذلك ، ويتنفسون به .

وقد ورد : « أريحوا القلوب ساعة فساعة »[2] .

أو يفعلون ذلك معالجة لضعف قلوب أصحابهم وجلسائهم ، ومطايبة لهم ، مع وجود الوقار والخشوع والسكينة في قلوبهم .

وأكثر المطايبات المنقولة عنه صلى الله عليه وسلم كانت مع النساء والصبيان .

وكذلك العلماء الراسخون الداعون إلى الله تعالىٰ ، إنما مزحهم وضحكهم نزول مع بعض الناس إلىٰ أخلاقهم وطبائعهم ، وترك تعسف ، ولين جانب ، وسهولة خلق ، وذلك حسن في حقهم .

ولا يصلح للعوام والمبتدئين الإكثار من ذلك ، والنزول إلى الرخصة . . إنما يصلح لمن ركب العزيمة ، ولا يقف في هذا المعنىٰ علىٰ حد الاعتدال إلا من قد قهر نفسه وساسها بالعلم .

**وبالجملة** : فمعرفة الاعتدال في الضحك والمزاح شأن من رسخ قدمه في العلم .

---

(١) في النسخ : ( يستجمون ) ، ولعلها كما أثبتت ، وهي من الإجمام ، وهو هنا : إراحة النفس .

(٢) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٢/ ٢٥٣ ) .

ومن المعلوم : أن البشاشة من أخلاق المؤمنين الصالحين. . فلا تغب عنك .

وفي الحديث : « إن من المعروف أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق »[1] .

وقال بعضهم : ( مَن تَلْقاه بالبشر ، وتَلَقَّاك بالعبوس. . فلا كثر الله مثله ) . فافهم وحقق .

* * *

(١) أخرجه بنحوه مسلم ( ٢٦٢٦/ ١٤٤ ) .

وأما قوله رضي الله عنه :

| [١٠] وَنَزِّهِ ٱلصَّدْرَ مِنْ غِشٍّ وَمِنْ حَسَدٍ وَجَانِبِ ٱلْكِبْرَ يَا مِسْكِينُ وَٱلْعُجُبِ |
| --- |

فيعني : وصن وباعد قلبك .

و( الصدر ) : ما حول القلب ، سمي به مجازاً ، أو تعبيراً عن الشيء بمحله ولازِمِه .

[أي] : نزه قلبك وصنه عن عدم النصح للمسلمين ، والتمني لزوال النعم عن إخوانك المؤمنين ، وتكرم وتعفف عن ذلك ، وعن إظهار خلاف ما تضمر ، وتباعد عن التجبر والزهو ورؤية النفس وأعمالها عليهم ؛ فإنك ضعيف ذليل مسكين ، لا يليق بك ذلك ؛ لأن الكبرياء والعظمة من صفات الإلـٰهية ، وأنت عبد من عبيد الله ، ليس لك الاتصاف والتحلي بذلك .

والغش والخداع والحسد من صفات الشياطين ، فتنزه عما هنالك .

فـ( التنزه ) : التباعد ، ويقال : رجل نازه النفس ؛ أي : عفيف متكرم ، ونزه نفسه عن القبيح إذا صانها عنه .

و( الغش ) ـ بكسر الغين ـ : عدم النصح . والمغشوش : خلاف الخالص . والغش ـ أيضاً ـ : إظهار خلاف ما يبطن .

و( الحسد ) : تمني زوال النعمة عن الغير ، سواء أَوَصلت إلى الحاسد ، أم لا .

و( الكبر ) : هو التجبر والتعظم .

و( المسكين ) : الضعيف والذليل ، ويطلق علىٰ من لا شيء له ، وقد نادى الحق سبحانه وتعالىٰ في كتبه السالفة الأمم السابقة بـ ﴿يا أيها المساكين﴾ .

و( **العُجب** ) ـ بضم العين ـ هو : الزهو ، ورؤية النفس ، واستعظام ما منها ، قال في « منثور الخطاب » :

( الإعجاب : استكثار الطاعة ، ودعوى الاستطاعة .

الإعجاب : تذكار العمل ، ونسيان الزلل .

الإعجاب : العمىٰ عن رؤية التوفيق ، وترك أخذ النفس بالتحقيق .

الإعجاب : حجاب القلب عن رؤية الرب ) اهـ

وأوصىٰ سيدنا الناظم نفع الله به بتنزيه الصدر عن الغش والحسد والكبر والعجب ، وهـذه الأربعة الأخلاق من الكبائر الموبقات ، والفواحش المهلكات .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير الناس ؟ فقال : « كل مؤمن مخموم القلب » ، فقيل : وما مخموم القلب ؟ فقال : « هو التقي النقي ، الذي لا غش فيه ولا بغي ، ولا غل ولا حسد »[(١)] .

وقال ابن عطاء رحمه الله تعالىٰ : ( تنال سلامة الصدر بالوقوف علىٰ حق اليقين ، وهو القرآن ) . . . إلىٰ آخر ما قال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[(٢)] .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدين النصيحة ، إن الدين النصيحة ، إن الدين النصيحة »[(٣)] .

وفي رواية : « رأس الدين النصيحة »[(٤)] .

---

(١) أخرجه بنحوه ابن ماجه ( ٤٢١٦ ) .

(٢) أخرجه البخاري ( ١٣ ) ، ومسلم ٧١ ( ٤٥ ) .

(٣) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤٥٧٥ ) .

(٤) أخرجه بنحوه مسلم ( ٩٥/٥٥ ) ، وابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤٥٧٤ ) .

والغش والحسد يُضادان النصيحة .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم : « من غشنا . . فليس منا ، والمكر والخداع في النار »[1] .

وفي رواية : « المكر والخديعة والخيانة في النار »[2] .

وأما الحسد : فإنه مصيبة في الدين كبيرة .

كيف وقد سخط الحاسد لِمَا قضاه الله تعالىٰ وقدَّره بحكمته ، وهو العليم الحكيم ؟!

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالىٰ : الحسد باب إلى القلب ، يدخل فيه الشيطان إلىٰ قلب الحاسد ، والحاسد منازع لله في قضائه وقدره ؛ إذ أحب زوال ما أنعم به علىٰ عبده وكرهه .

وأي مصيبة تزيد علىٰ كراهية الراحة للمسلم من غير أن يكون منها مضرة .

وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [آل عمران : ١٢٠] .

وهٰذا الفرح شماتة ، والحسد والشماتة متلازمان ، والحسد من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وقال تعالىٰ في معرض الإنكار : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء : ٥٤] .

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٦٧ ) .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٦٥٠ ) .

وأثنى الله تعالىٰ علىٰ قوم بعدم الحسد فقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ [الحشر : ٩] .

أي : لا تضيق به صدورهم ، ولا يغتمون .

أما الغبطة ـ وهي أن يحب أن يكون له من النعمة مثل ما للمغبوط ـ : فليست بحرام ، بل يكتسب الحكم من النعمة المغبوط عليها ، إن واجبة . . فواجبة ، أو مندوبة . . فمندوبة ، أو مكروهة أو مباحة أو محرمة . . فمثلها يكون .

وأما الحسد : فشديد التحريم ، ولا يكون إلا بسبب خبث في النفس وبخل فيها ، أو لعداوة ، أو لبغضاء ، أو لتكبر ، أو لتعزز ، أو لعُجْب ، أو حب للرئاسة ، أو خوف فوت المقاصد المحبوبة .

فهٰذه أسباب الحسد وأصوله الموجبة له ، وهو من المهلكات المعطبات .

قال عليه الصلاة والسلام : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تحاسدوا ، ولا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخواناً »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضة هي الحالقة ، لا أقول هي حالقة الشعر ، ولٰكن حالقة الدين ، والذي نفسي بيده . . لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتىٰ تحابوا ، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم ؟ أفشوا السلام بينكم »[3] .

---

(١) أخرجه أبو داوود ( ٤٩٠٣ ) .
(٢) أخرجه بنحوه البخاري ( ٥٧١٧ ) ، ومسلم ( ٢٥٥٨/٢٣ ) .
(٣) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٢٥١٠ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تظهر الشماتة لأخيك ؛ فيعافيه الله ويبتليك »[1] .

وقال بعض السلف : ( إن أول خطيئة كانت هي الحسد ، حسد إبليس آدم إذ أُمر أن يسجد له ، فحمله الحسد على المعصية ) .

وعن بعض السلف : ( إياك والكبر ؛ فإنه أول ذنب عصي الله به ، ثم قرأ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ [البقرة: ٣٤].

وإياك والحسد ؛ فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ، ثم قرأ : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٢٧]. . . ) إلىٰ آخره .

وقال بعضهم : ( الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً ، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً ، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً ، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً ، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث لا ينجو منهن أحد : الظن ، والطيرة ، والحسد ، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك ، إذا ظننت . . فلا تحقق ، وإذا تطيرت . . فامض ، وإذا حسدت . . فلا تبغ »[2] .

وفي رواية : « لا ينجو منهن أحد ، أو قل أن ينجو منهن »[3] فأثبت في هـٰذه الرواية إمكان النجاة .

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالىٰ : ( ولعل معنى المخرج من الحسد بعدم العمل به : أنه يعفىٰ عما يجده العبد في طبعه من ارتياح زوال النعمة

---

(١) أخرجه الترمذي ( ٢٥٠٦ ) .

(٢) ذكره في « فتح الباري » ( ١٠/ ٢١٣ ) مرسلاً ، وعزاه العلامة العراقي في « تخريج أحاديث الإحياء » ( ٣/ ١٨٧ ) إلى ابن أبي الدنيا في كتاب « ذم الحسد » .

(٣) وأيضاً هذه الرواية عزاها العلامة العراقي إلى نفس المرجع السابق .

عن محسوده ، مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه )[1] .

فإن لم تكن منه كراهة لما يجده في طبعه . . فهو حسود مأثوم به ؛ لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل ، إلا أنه إذا لم يظهر على الجوارح . . فيكون معصية بينه وبين الله تعالىٰ ، لا يجب الاستحلال منها ، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح .

وقد روي عن الحسن أنه سئل عن الحسد ؟ فقال : ( غُمَّةُ ، لا يضرك ما لم تبده ) .

وهذا إذا كان كارهاً لما يجده من الحسد في باطنه ولم يظهر علىٰ جوارحه .

فإن لم يظهر علىٰ جوارحه ، ولـٰكنه لم يكرهه بعقله ودينه . . فهو آثم على الأظهر ؛ لظاهر الآيات وللأخبار .

واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ؛ إذ هو استنكار لقسمة الله تعالىٰ وعدله الذي أقامه في ملكه ، واستبشاع لذلك ، وتَسَخُّط لقضاء الله تعالىٰ .

وهـٰذا جناية علىٰ حدقة التوحيد ، وقذىً في عين الإيمان ، وانضاف إليه أنك غششت مسلماً وتركت نصيحته ، وشاركت إبليس في محبته الشر والبلاء للمؤمنين ، وخالفت أنبياء الله تعالىٰ وأولياء الله تعالىٰ في محبتهم الخير للمسلمين . اهـ[2]

وأما الكبر : فهو كما قال حجة الإسلام رحمه الله تعالىٰ ـ أيضاً ـ : ( استعظام النفس ، ورؤية قدرها فوق الغير ، وهو خلق باطن ، والتكبر

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ١٩١ ) .
(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ١٩٦ ) .

ثمرته ونتيجته ، وهو ما يظهر من الأعمال )[1] .

والخُلُق الباطن هو الكبر ، وهو الركون إلىٰ رؤية النفس فوق المتكبَّر عليه ، وعزة وهزة في النفس تسمىٰ تعظماً وعزة .

فهو ـ أعني الكبر ـ يستدعي متكبِّراً به ومتكبَّراً عليه ، وبذلك يحصل الفرق بينه وبين العجب ؛ إذ لا يستدعي العجب غير المعجب به .

والعجب أصل الكبر ومنشؤه ، والكبر ثمرته وفرعه ، والتكبر ثمرة الكبر .

فالكبر إذا ظهر على الجوارح . . سمي تكبراً ، وذلك كالترفع في المجالس ، والاستنكاف عن قبول الحق ، والأنفة إذا وُعِظ ، وعدم الرفق بالغير ، والمنة عليه ، والاستخدام له ، والنظر إلى العامة كالحمير ؛ استجهالاً واستحقاراً .

قال الله تعالىٰ في ذم الكبر والمتكبرين : ﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ [غافر : ٥٦] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ( عظمة لم يبلغوها ) .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2] [غافر : ٦٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

قيل في التفسير : أي سأحجب قلوبهم عن الملكوت .

وقيل : سأرفع فَهْمَ القرآن عن قلوبهم .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٣٥٣ ) .

(٢) داخرين : صاغرين .

وقيل : سأصرفهم عن التفكر والاعتبار في آياتي .

وقال سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

فآفة الكبر عظيمة ، وغائلته فظيعة هائلة ، وفيه يَهلِك أكثر الخواص من العلماء ، والزهاد والعباد فضلاً عن العوام ، وهو حجاب عظيم عن الله تعالىٰ ، وعن دخول جنته .

وكيف لا ، ومن فيه الكبر لا يقدر على التواضع الذي هو رأس أخلاق المتقين ـ كما سيأتي ـ ولا يقدر علىٰ ترك الغضب والحقد والحسد .

ومن فيه الكبر لا يقدر علىٰ قَبول النصح ، وكظم الغيظ ، والدوام على الصدق والنصح .

وهـٰذه الأخلاق هي أخلاق المؤمنين ، وأبواب الجنة ، وقد تركها المتكبر وأعرض عنها .

فمن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان »(١)

وقال الله تعالىٰ : ﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل : ٢٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر : ٣٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم : ١٥] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر المتكبرون يوم القيامة ذراً في مثل صور الرجال ، يعلوهم كل شيء من الصَّغار ، ثم يساقون إلىٰ

---

(١) أخرجه الترمذي ( ١٩٩٩ ) .

سجن في وادي جهنم ، يقال له : بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال : عصارة أهل النار »[1] .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالىٰ : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما . . ألقيته في جهنم »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من تعظم في نفسه ، واختال في مشيته . . لقي الله تعالىٰ وهو عليه غضبانُ »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يمشي يتبختر في برديه ، قد أعجبته نفسه . . فخسف الله تعالىٰ به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة »[4] .

وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ـ يعني رده ـ وغمط الناس ـ يعني احتقارهم وازدراءهم ـ »[5] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيتم الرجل يقول : هلك الناس . . فهو أهلكهم »[6] ، وهٰذا إذا قاله احتقاراً لهم .

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد ( ٢/ ١٧٩ ) ، والترمذي ( ٢٤٩٢ ) .
(٢) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٣٢٨ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ١/ ١٢٩ ) .
(٣) أخرجه بنحوه أحمد( ٢/ ١١٨ ) .
(٤) أخرجه مسلم ( ٢٠٨٨/ ٥٠ ) .
(٥) أخرجه مسلم ( ٩١/ ١٤٧ ) .
(٦) أخرجه مسلم ( ٢٦٢٣/ ١٣٩ ) .

ومن علامات المتكبر : أن يحب قيام الناس له ، ويحب قيامهم بين يديه .

ومنها : أن لا يزور غيره .

ومنها : أن يستنكف أن يجلس غيره بالقرب منه .

ومنها : أن لا يأخذ متاعه ، ولا يحمله إلىٰ بيته .

ومنها : أن يثقل عليه الثناء علىٰ إخوانه وأقرانه ، ويثقل عليه المرور إلى السوق في حاجة أحد المساكين .

وأما العُجب : فهو من المهلكات الموبقات ، المفسدات للحسنات .

ومعناه : استعظام العمل والنعم ، والركون إلىٰ ذلك ، مع نسيان ما تفضل الله تعالىٰ به عليه من غير سعي وحيلة ، ومن غير استحقاق .

فالمُعجَب ممقوت عند الله تعالىٰ ، بعيد من كل خير ، لو لم يكن إلا فترته في العمل بالخيرات . . لظنه أنه قد استغنىٰ .

فكيف والعجب أصل الكبر والداعي إليه ؟!

والعجب يوجب نسيان الذنب واستصغاره ، وعدم التدارك له .

والمعجب مانٌّ على الله تعالىٰ بعمله ، وعلىٰ خلق الله ، ويظن أنه عند الله تعالىٰ بمكان ، ويأمن مكر الله تعالىٰ ، ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٩] .

وقد قال تعالىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٤] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوىً متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[1] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٥/٣٢٨ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو لم تذنبوا . . لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك ، العُجْب العُجْب »[١] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « لو أن رجلاً يخر علىٰ وجهه من يوم ولد إلىٰ يوم يموت هرماً في مرضاة الله . . لحقره يوم القيامة »[٢] .

وفي رواية : « ولَوَدَّ أنه رُدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب »[٣] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده . . إن الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع علىٰ جبل . . لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم الله تعالىٰ فتكاد تستنفد ذلك كله ، لولا ما يتفضل الله به من رحمته »[٤] .

وقيل لعائشة رضي الله عنها : متىٰ يكون الرجل مسيئاً ؟ فقالت : ( إذا ظن أنه محسن ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد ينجيه عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟! قال : « ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته »[٥] .

فنسأل الله تعالىٰ بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يتغمدنا برحمته وفضله ، ويشملنا بعافيته ، ولا يكلنا إلىٰ غيره ؛ إنه جواد كريم ، رؤوف رحيم ، لا إلـٰه إلا هو رب العالمين .

* * *

(١) ذكره العلامة المنذري في « الترغيب والترهيب » ( ٣/ ٣٥٨ ) وقال : رواه البزار بإسناد جيد .
(٢) أخرجه أحمد ( ٤/ ١٨٥ ) .
(٣) المرجع السابق نفس الموضع .
(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٢/ ١٦٢ ) .
(٥) أخرجه مسلم ( ٢٨١٦/ ٧٢ ) .

أما قول سيدنا الناظم نفع الله به ورضي عنه :

[١١] وَٱرْضَ ٱلتَّوَاضُعَ خُلْقاً إِنَّهُ خُلُقُ ٱلْـ    أَخْيَارِ فَٱقْتَدْ بِهِمْ تَنْجُو مِنَ ٱلْوَصَبِ

يعني : وتخلق بالتواضع ، واقنع وافرح به سيرة وسجية لك ؛ فإنه سيرة أهل الخير الكثير وسجيتهم.. فَتَسَنَّن بهم ، وسر علىٰ سيرتهم الشريفة الحميدة ؛ فإنك بذلك تتخلص من أمراض القلب .

فـ( **التواضع** ) : حط النفس عن قدرها ، وإذلالها بالخضوع للحق والانقياد له .

قال الأستاذ القشيري في « منثور الخطاب » : ( التواضع : قبول الحق بحسن الخلق .

التواضع : ترك الصول والتبري من القوة والحول .

التواضع : الاستكانة لله تعالىٰ ، وترك الاستهانة بحق الله تعالىٰ .

التواضع : محافظة الأمر ومجانبة الوزر .

التواضع : رؤية التقصير في عين التوقير ) اهـ

و( **الاقتداء** ) : هو التسنن ولزوم سنن الطريق .

و( **النجاة** ) : هي التخلص .

يقال : نجاه الله تعالىٰ ، وأنجاه نَجَاة : خلَّصه .

و( **الوصب** ) : هو المرض .

و( **الخُلُق** ) : هو السجية والطبع والدين .

و( **الأخيار** ) ـ جمع خيِّر وخير بفتح الخاء وكسرها ـ وهو : كثير الخير والشرف والكرم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تواضع أحد . . إلا رفعه الله »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ( طوبىٰ للمتواضعين ) .

وقال لأصحابه : « ما لي لا أرىٰ عليكم حلاوة العبادة ؟ » فقالوا : وما حلاوة العبادة ؟ قال : « التواضع » .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ( إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة في الدنيا ، التواضع ) .

وقال عمر رضي الله عنه : ( إنا قوم أعزنا الله بالإسلام . . فلا نطلب العز في غيره ) .

وكان رضي الله عنه يخرج إلى السوق ، وبيده الدِّرة[2] ، وفي إزاره أربع عشرة رقعة .

وروي عنه : أنه كان يحمل اللحم بيده اليسرىٰ ، والدرة باليمنىٰ ، ويدور في السوق حتىٰ يدخل بيته .

وقال أبو سليمان : ( لو اجتمع الخلق علىٰ أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي . . ما قدورا عليه ) .

وجاء عن الجنيد رحمه الله تعالىٰ : ( لولا أنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم »[3] . . ما تكلمت عليكم ) .

وقال بعضهم : ( يجزىء قليل التواضع عن كثير الاجتهاد ) .

---

(١) أخرجه الترمذي ( ٢٠٢٩ ) .
(٢) الدِّرَّة : السوط الذي يضرب به .
(٣) أخرجه بنحوه من حديث طويل الترمذي ( ٢٢١٠ ) .

وقال الحسن : ( أتدورن ما التواضع ؟ التواضع : أن تخرج من منزلك فلا تلقىٰ مسلماً إلا رأيت له عليك الفضل ) .

وقال أبو يزيد : ( ما دام العبد يظن في الخلق من هو شر منه .. فهو متكبر . فقيل : متىٰ يكون متواضعاً ؟ فقال : إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً ) .

وقال شيخنا في « الحكم » : ( أدل دليل علىٰ تواضع الرجل .. رضاه بالتأخير في موطن يستحق فيه التقديم )[1] .

وقال يحيىٰ بن معاذ : ( التكبر علىٰ ذي التكبر عليك بماله .. تواضع ) .

ويقال : ( لا عز إلا لمن تذلل لله ، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله تعالىٰ ) .

وقال الجنيد : ( التواضع عند أهل التوحيد تكبر ) .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ : ( لعل مراده : أن الموحد لا يثبت نفسه أصلاً ، ولا يراها شيئاً حتىٰ يضعها )[2] .

وبالجملة : فرأس الأخيار وإمامهم ومتبوعهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان يعلف الناضح[3] ، ويعقل البعير ، ويقم البيت ، ويحلب الشاة ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويأكل مع خادمه ، ويطحن عنه إذا أعيا ، ويشتري الشيء من السوق ، ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيمينه ، أو

---

(١) « الحكم » ( ١٣ ) .
(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٣٤٣ ) .
(٣) الناضح : البعير الذي يستقىٰ عليه الماء .

يجعله في طرف ثوبه ، يصافح الفقير والغني ، والصغير والكبير ، ولا يستنكف أن يجيب إذا دعي ، ولا يحقر ما دعي إليه ، وإن لم يجد إلا حَشَف الدَّقَل ، كريم الطبيعة ، جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، متواضع من غير مذلة ، وكانت الفاقة أحب إليه من اليسار .

فهٰذه جملة من أخلاق خير الخلق ، فاقتد به ؛ فإنه أعظم الخلق منصباً في الدنيا والدين . . يرفعك الله بذلك ، وينجيك ويزكيك .

* * *

ثم لما أمر الناظم نفع الله به بالتواضع ، وبين أنه خلق الأخيار ، وأمر بالاقتداء بهم . . حذر من الاقتداء بأهل الجهالة والكبر ، والاغترار والحمق والعجب ، فقال رضي الله عنه ونفعنا به :

| | |
|---|---|
| [١٢] وَٱحْذَرْ وَإِيَّاكَ مِنْ قَوْلِ ٱلْجَهُولِ أَنَا | وَأَنْـتَ دُونِـيَ فِـي فَضْـلٍ وَفِي حَسَـبِ |
| [١٣] فَقَدْ تَأَخَّرَ أَقْوَامٌ وَمَا قَصَدُوا | نَيْـلَ ٱلْمَكَـارِمِ وَٱسْتَغْنَـوْا بِكَـانَ أَبِـي |

يعني : احترز واحتفظ من الاقتداء بأهل الجهل في قولهم : ( أنا ) ، أو ( أنا قارىء ) ، و( أنا عالم ) ، و( أنا ورع ) ، و( أنا عابد ) .

ونحو ذلك : فمن أعلم مني ؟ أو أقرأ مني ؟ أو أورع مني ؟ أو أعبد مني ؟ وأنا فلان بن فلان ، وأنت يا فلان دوني في العلم ، أو في الشرف ، أو الكرم ، أو المال ، أو النسب ، أو الدين ؛ فقد اغتر بذلك جماعة من الحمقىٰ ، وتأخروا عن إصابة الخيرات ، ونيل الدرجات ، والتخلق بالأخلاق العاليات ، واكتفوا بقولهم : كان أبي فلان بن فلان ، وأنا فلان بن فلان ، ولم يقتدوا بأهل الخير والصلاح من آبائهم ، في الأعمال والأخلاق ، والسيرة الحسنة الجميلة ، وكل ذلك من الجهل القبيح ، والحمق الفاحش ، والخطأ الواضح الصريح ، والكبر الراسخ ، والعجب ، والغرور .

فالتزكية للنفس مذمومة ، وإن كان صادقاً .

ولو أن الإنسان كان أتقى الناس وأعلمهم وأعبدهم ، ثم تكبر عليهم وافتخر . . لأحبط الله تقواه ، وأبطل عبادته .

فكيف بالجاهل المخلط الذي يتكبر على الناس بتقوىٰ غيره من آبائه وأجداده ؟!!

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يظهر قوم يقرؤون

القرآن ، يقولون : من أقرأ منا ؟ من أعلم منا ؟ من أفقه منا ؟ » ، ثم قال لأصحابه : « هل في أولئك من خير ؟ » ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « أولئك منكم من هـٰذه الأمة ، وأولئك هم وقود النار »[(١)] .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم : « من قال : إني عالم . . فهو جاهل »[(٢)] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونُن أهونَ على الله من الجُعَل[(٣)] الذي يدهده[(٤)] الخراء بأنفه ؛ إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب »[(٥)] .

وقوله : عبيّة الجاهلية ـ بضم العين المهملة وكسرها ، وتشديد الباء الموحدة المكسورة ، بعدها ياء مشددة ـ هي : الكبر والفخر والنخوة .

وفي رواية أخرىٰ : « ليس لأحد فضل علىٰ أحد إلا بالدين أو عمل صالح »[(٦)] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس ؛ إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي علىٰ عجمي ، ولا لعجمي علىٰ عربي ، ولا لأحمر علىٰ أسود ، ولا لأسود علىٰ أحمر . . إلا

---

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٦/ ٢٢١ ) .
(٢) أخرجه الطبراني في « الصغير » ( ١/ ١٢٠ ) .
(٣) **الجُعَل** : حيوان صغير نتن يعيش في الأماكن الرطبة النتنة ، يشبه الخنفساء .
(٤) **يدهده** : يدحرج .
(٥) أخرجه الترمذي ( ٣٩٥٥ ) .
(٦) أخرجه أحمد ( ٤/ ١٤٥ ) .

بالتقوىٰ ؛ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت ؟ » . . . الحديث[1] .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة . . أمر الله تعالىٰ منادياً ينادي : ألا إني قد جعلت نسباً ، وجعلتم نسباً ، فجعلت أكرمكم أتقاكم ، فأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان خير من فلان بن فلان . . فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم ، أين المتقون ؟ »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من بطأ به عمله . . لم يسرع به نسبه »[3] .

وكل هـٰذه الدعاوىٰ من رؤية النفس والرضا عنها .

* * *

(1) أخرجه أحمد ( ٥/٤١١ ) .

(2) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/٥٠٣ ) .

(3) أخرجه مسلم ( ٢٦٩٩/٣٨ ) .

فمن هنا قال سيدنا الناظم نفع الله به ورضي عنه :

| | |
|---|---|
| [١٤] وَخَالِفِ ٱلنَّفْسَ وَٱسْتَشْعِرْ عَدَاوَتَهَا | وَٱرْفُـضْ هَـوَاهَـا وَمَـا تَخْتَـارُهُ تُصِـبِ |
| [١٥] وَإِنْ دَعَتْكَ إِلَىٰ حَظٍّ بِشَهْوَتِهَا | فَٱشْرَحْ لَهَا غِبَّ مَا فِيهِ مِنَ ٱلتَّعَبِ |

( **المخالفة** ) : ضد الموافقة .

و( **النفس** ) : محل الشهوة والغضب من الإنسان ، ومصدر الصفات الذميمة والأوصاف الرذيلة ، وهي لطيفة ، وَصْفُها النزوع إلىٰ شهوات الدنيا ، وطبعها إيثار الراحات العاجلة ، وهـٰذه **النفس هي الأَمّارة** .

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

**والنفس اللوامة** : هي التي تنورت بنور القلب تنوراً تنبهت به عن سنة الغفلة ، وبدأت بإصلاح حالها . . فهي مترددة بين جهتي الربوبية والخلقة علواً وسفلاً .

**والنفس المطمئنة** : هي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة ، وتخلقت بالأخلاق الحميدة ، وتوجهت إلى القلب بالكلية ، وترقت بترقيه إلىٰ جانب القدس ، متنزهة عن جانب الرجس ، حتىٰ خاطبها ربها بقوله تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ . . . إلىٰ آخر السورة [الفجر : ٢٧] .

وفي اصطلاحهم : التكنية عن النفس بالبقرة إذا استعدت للرياضة ، وبدت فيها صلاحية قمع الهوى الذي هو حياتها ، كما يكنىٰ عنها بالكبش قبل ذلك ، وبالبدنة بعد الأخذ في السلوك وقطع منازل السائرين .

وأما في أصل اللغة : فتطلق النفس علىٰ عين الشيء ، وتطلق على الروح ، وعلى الجسد ، وعلى الدم ، وقد تطلق على العظمة ، وعلى العزة ، وعلى الأنفة ، وعلى الإرادة ، وعلى العقوبة .

و( **الاستشعار** ) : هو العلم والتفطن .

و( **العداوة** ) : ضد الصداقة .

و( **الرفض** ) : الترك ، والرمي وراء الظهر ، يقال : رفضه رفضاً : إذا تركه . ويقال للجند : روافض. . إذا تركوا قائدهم ، وللفرقة منهم : رافضة .

و( **هوى النفس** ) : ميلها لملائمها ، ورغبتها فيه ، واختيارها له ، كما قال : ( وما تختاره )

وقوله : ( **تصب** ) أي : توافق الحق ، وتسدد لجميع الخيرات ، وتَحظىٰ بصواب الأمور والسداد فيها .

ورفض هوى النفس وقمعه ، سيما الموت الأحمر ، والموت الجامع .

و( **الحظ** ) ـ واحد الحظوظ ـ وهي : الأغراض النفسانية .

و( **الشهوة** ) : رغبة النفس وانبعاثها لنيل ما تتشوفه .

وقوله : ( **فاشرح** ) أي اكشف وبين .

و( **غب** ) ـ بكسر الغين المعجمة ـ هو : العاقبة ، ومثله : المغبَّة .

و( **التعب** ) : ضد الاستراحة .

يقول نفع الله به : واترك موافقة نفسك الأمارة بالسوء ، معدن الشهوة والغضب ، وجميع الشرور ؛ فإنها عدو ، والعدو ما ينبغي موافقته ؛ لأن لها دسائس فيما تختاره .

ولو كان من الخيرات والقربات بصورته. . فالصواب في ترك جميع ما تهواه وتختاره ، ولا سيَّما إذا دعتك إلىٰ شيء من حظوظها وشهواتها ، مع رغبة وشَرَهٍ في ذلك الحظ ، فبيِّن واكشف لها عاقبته في الدنيا والآخرة : من التعب ، والعذاب ، والهوان ، والذل ، والخسران الذي يؤول بها إلى

المشقة وعدم الاستراحة : إما بالعذاب ، وإما بالحساب والتفتيش ، وإما بالتعب في الحال والندم إن وعظها القلب بعد الوقوع في الخطأ .

وقد اتفق العلماء علىٰ أنه لا طريق إلى الله تعالىٰ والسعادة والفوز في الدار الآخرة . . إلا بمخالفة النفس ورفض هواها وترك حظوظها وما به فرحها من أسباب الدنيا ؛ كالجاه والمال والقبول والعز في نحو القضاء والوعظ والولايات وكثرة الأتباع .

ويجمع هوى النفس خمسة أمور ، وهو ما جمعه الله تعالىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [الحديد : ٢٠] .

وحَدُّه : كل ما يلائم النفس بالطبع ، دون مبالاة بحقوق الشرع . . فهو الأفعال المشتهاة .

فإن كان طلباً للذائذ . . سمي شهوة .

وإن كان هرباً من المؤلم . . سمي غضباً .

وموضع الشهوة والغضب يسمى النفس الأمارة بالسوء .

ومن قهر باعث الهوىٰ بالكلية ، وخالف النفس الأمارة في جميع حظوظها . . ترقىٰ بذلك إلىٰ مقام الرضا ، وصارت نفسه مطمئنة راضية مرضية ، داخلة في عباد الله تعالى المخلصين وجنته العالية .

والرضا ثمرة الصبر ، والصبر قوة باعث الدين وثباته وغلبته للهوىٰ ، وهو ـ أعني الصبر ـ حال من أحوال القلب ، وسببه الباعث عليه : قوة الإيمان واستيلاؤه على القلب ، وذلك هو اليقين ، واليقين أساس الدين وروحه .

وسيأتي الكلام على اليقين والصبر في موضعهما .

ومخالفة النفس ومعاداتها ، ورفض هواها وترك جميع حظوظها وشهواتها . . يجمع جميع الخيرات ؛ إذ هو رأس العبادات ، بل هو الإسلام كله .

قال الله تعالىٰ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٩-١٠] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما هلاك أمتي باتباع الهوىٰ ، وحب الثناء ، وحب الدنيا » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أخوف ما أخاف علىٰ أمتي : اتباع الهوى وطول الأمل »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من اشتاق إلى الجنة . . سارع إلى الخيرات ، ومن خاف من النار . . نهىٰ عن الشهوات ، ومن ترقب الموت . . لها عن اللذات ، ومن زهد في الدنيا . . هانت عليه المصيبات »[2] .

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالىٰ : ( علامة الإصابة : مخالفة النفس ، ومخالفتها : ترك شهواتها ) .

وقال أبو بكر الطمستاني رحمه الله تعالىٰ : ( النعمة العظمىٰ : الخروج من النفس ، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالىٰ ) .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : ( ما عُبِد اللهُ بشيء مثل مخالفة النفس والهوىٰ ) .

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٣٧٠ ) .

(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٣٧٠ ) .

وكان يرىٰ أن في كثرة شرب الماء ضعف النفس وإماتة الشهوات وكسر القوة ، وكان يحث أصحابه علىٰ كثرة شربه .

وأوحى الله تعالىٰ إلىٰ داوود عليه الصلاة والسلام : يا داوود ؛ حذِّر وأنذر أصحابك أكل الشهوات ؛ فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة .

وقال أبو سليمان الداراني ـ واسمه عبد الرحيم ، أو عبد الرحمـٰن بن أحمد رحمه الله تعالىٰ ـ : ( من صدق في ترك شهوة . . كفي مؤنتها ، والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة لأجله ) .

وقال الخوَّاص : ( من ترك شهوة فلم يجد عوضها في قلبه . . فهو كاذب في تركها ) .

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نظر إلىٰ محاسن امرأة ، فغض بصره في أول مرة . . أحدث الله تعالىٰ له عبادة يجد حلاوتها في قلبه »[1] .

قال البيهقي : ( والمراد بالنظر وقوعه من غير قصد )[2] .

وقال أبو سليمان : ( ما استحسنت من نفسي عملاً فاحتسبت به ) .

وقال أبو عثمان : ( لا يرىٰ أحد عيباً لنفسه وهو مستحسن من نفسه شيئاً ، وإنما يرىٰ عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال ) .

وقال مالك بن دينار : ( من غَلَبَ شهوات الدنيا . . فذلك الذي يَفْرَق[3] الشيطان من ظله ) .

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد ( ٥/ ٢٦٤ ) .

(٢) « شعب الإيمان » ( ٤/ ٣٦٦ ) .

(٣) يفرق : يفزع ويخاف .

وقال أحمد بن خضرويه : ( لا نوم أثقل من الغفلة ، ولا رِقَّ أملك من الشهوة ، ولولا ثقل الغفلة . . لما ظفرت بكم الشهوة ) .

وقال الجنيد رحمه الله تعالىٰ : ( ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لـٰكن عن الجوع ، وترك الدنيا ، وقطع المألوفات والمستحسنات ) .

وقال أبو عثمان الحيري : ( من أَمَّرَ السنة علىٰ نفسه قولاً وفعلاً . . نطق بالحكمة ، ومن أَمَّرَ الهوىٰ علىٰ نفسه قولاً وفعلاً . . نطق بالبدعة ) .

وقال أبو الحسين النوري : ( التصوف : ترك كل حظ للنفس ) .

وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله تعالى : ( العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حرون بين ذلك ، جموح خداعة رواغة . . فاحذرها ، وراعها بسياسة العلم ، وسقها بتهديد الخوف ؛ يتم لك ما تريد )[1] .

وقال أبو بكر الوراق : ( من أرضى الجوارح بالشهوات . . غرس في قلبه شجر الندامات ) .

وقال أبو محمد أحمد الجريري : ( من استولت عليه النفس . . صار أسيراً في حكم الشهوات ، محصوراً في سجن الهوىٰ ، وحرم الله تعالىٰ علىٰ قلبه الفوائد )[2] .

وقال إبراهيم الرقي : ( أضعف الخلق من ضعف عن رد شهواته ، وأقوى الخلق من قوي علىٰ ردها ) .

وقال أبو محمد عبد الله المرتعش رحمه الله تعالىٰ : ( الإرادة حبس النفس عن مراداتها ، والإقبال علىٰ أوامر الله تعالىٰ ، والرضا بموارد القضاء [عليه] )[3] .

---

(١) « الرسالة القشيرية » ( ٣٦ ) .

(٢) « الرسالة القشيرية » ( ٣٩ـ٤٠ ) .

(٣) « الرسالة القشيرية » ( ٤٤ ) .

ومن مكنه الله تعالىٰ من مخالفة هواه.. فهو أعظم من المشي على الماء .

وقال محمد بن علي الكتاني : ( الشهوة زمام الشيطان ، من أخذ بزمامه.. كان عبده )[1] .

وقال إسماعيل بن نجيد : ( آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه ) .

وقال محمد بن خفيف : ( ليس شيء أضر على المريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص و[قبول] التأويلات )[2] .

والإرادة استدامة الكد ، وترك الراحة .

وكلامهم في ذلك كثير جداً .

وقد نقلت في كتابي « سبيل الرشد والهداية » جملة من الأخبار والآثار المناسبة لهـٰذا المعنىٰ ، عند قول سيدنا عبد الله الحداد الناظم :

وخالف هوى النفس التي ليس قصدها سوى الجمع للدار التي حشوها المِحَن

وهو الذي شرحنا به قصيدة سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحداد التي أولها :

عليك بتقوى الله في السر والعلن وقلبك نظفه من الرجس والدرن

* * *

(١) « الرسالة القشيرية » ( ٤٥ ) .
(٢) « الرسالة القشيرية » ( ٤٨ـ٤٩ ) .

وأما قوله نفع الله به ورضي عنه :

| | |
|---|---|
| [١٦] وَٱزْهَدْ بِقَلْبِكَ فِي ٱلدَّارِ ٱلَّتِي فَتَنَتْ | طَـوَائِفـاً فَـرَأَوْهَـا غَـايَـةَ ٱلطَّلَـبِ |
| [١٧] تَنَـافَسُـوهَـا وَأَعْطَـوْهَـا قَـوَالِبَهُـمْ | مَـعَ ٱلْقُلُـوبِ فَيَـا للهِ مِـنْ عَجَـبِ |
| [١٨] وَهْيَ ٱلَّتِي صَغُرَتْ قَدْراً وَمَا وَزَنَتْ | عِنْدَ ٱلإِلَـٰهِ جَنَاحاً فَٱلْحَرِيصُ غَبِي |

فـ( الـزهـد ) : الاحتقـار للشـيء ، وعـدم الـرغبـة فيـه ، وهـوانـه ، واستقلاله ، وتركه .

و( القلب ) : هو المعنى الباطن من الإنسان . والقالَب : صورته الظاهرة .

و( الدار التي ) : يعني الدنيا .

و( فتنت ) : أضلت . أو : فضحت ، أو غير ذلك من معاني الفتنة .

والفتنة : الإضلال ، وتطلق الفتنة على الفضيحة ، والعذاب ، والقتل ، والإثم ، والحيرة ، والضلال ، والكفر ، والصد ، والمرض ، والإعسار ، والخبرة ، والعقوبة ، والجنون .

ويقال للدرهم والدينار : الفتّانان .

و( طوائفاً ) : جماعات .

و( فرأوها ) أي : ظنوها وتوهّموها .

و( غاية الطلب ) : منتهىٰ ما يحاول ويطلب .

ويقال : طلب كذا . . إذا رغب فيه ، وحاول أخذه .

و( تنافسوها ) : تسابقوها خوف فوتها ، وتحاسدوا عليها ، وغبط بعضهم بعضاً عليها .

والمنافسة مشتقة من النفاسة ، وهي : الجد والتشمير في نيل ما يتمناه مما ناله أمثاله ، فهي أخص من الغبطة .

و( **القوالب** ) : هي الأبدان والصور الظاهرة . والقلوب : هي المعاني الباطنة .

**والمعنىٰ** : استغرقوا فيها بواطنهم وظواهرهم : بالهمِّ ، والفكر ، والعمل ، والحركة ، والجمع ، والمنع ، والشح ، والبخل .

و( **العجب** ) : هو الاستعظام . والأمر العَجَبُ والعجيب والعُجَاب : ما جاوز حد العجب . والعجيب : العديم النظير . والعَجَب : إنكار ما يرد عليك .

وقال الزمخشري : ( معنى التعجب : تعظيم الأمر في قلوب السامعين ؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله ) .

و( **صغرت** ) ـ بضم الغين وكسرها ـ والصَّغارة : خلاف العِظَم في القَدْر . والصِّغَر : خلاف العِظَم في الجِرم .

يقال : صَغُر صغارة ، وصِغَراً ، وصَغَراً ، وصُغْراناً . . فهو صغير ، وصُغار ، وصُغْران .

ويقال : صغَّره وأَصغَره ؛ أي : جعله صغيراً وصاغراً ، واستصغره : عده صغيراً .

والأصغران : القلب واللسان . والصاغر : هو الراضي بالذل .

و( **القدر** ) ، والمقدار : المبلغ .

و( **الوزن** ) : معروف .

و( **الإلـٰه** ) : المعبود بحق ، وهو الله تعالىٰ .

و( **جناحاً** ) أي : جناح بعوضة ، كما في الحديث : « لو كانت الدنيا

تعدل عند الله تعالىٰ جناح بعوضة . . ما سقىٰ كافراً منها شربة ماء » رواه ابن ماجة [٤١١٠] عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، ورواه الترمذي [٢٣٢٠] وقال : حسن صحيح .

و( **الحريص** ) : ضد الزاهد ، وخلاف القانع .

و( **الغبي** ) : الجاهل .

قال شيخنا الناظم في الكلام المنثور : ( دواعي الحرص على الدنيا ثلاثة :

**أحدها** : النظر إليها بعين الاستحسان ، وعنه يكون حب البقاء للتمتع .

**والثاني** : تعظيم الناس لأربابها ، وعنه يكون التكاثر والتفاخر .

**والثالث** : توهم أن لا قوام بدونها ، وعنه ينشأ البخل وخوف الفقر )اهـ[1]

والحرص والطمع متقاربان ، وهما بابان مفتوحان إلىٰ قلب الإنسان ؛ لدخول الشيطان ، نعوذ بالله منه .

وكذا خوف الفقر والبخل من أبواب الشيطان إلى القلب .

فأوصىٰ رضي الله عنه بترك الدنيا واحتقارها وتهوينها على القلب ، ومتىٰ هانت على القلب . . خلت عنها اليد غالباً ؛ لأن اليد تطلب ما يعظم ويكبر في القلب ، وما يُرغب فيه ، فإذا زهد القلب في شيء . . تركته الأيدي وخلت عنه ، بخلاف خلو اليد من غير زهد ؛ لأن القلب مَلِك البدن ومدبره ، ومصدر الأفعال الجارية عليه ، وبصلاحه يصلح سائر الجسد ، وعكسه .

وحذر رحمه الله من الرغبة فيها ، والاغترار والافتتان بها كما وقع ذلك

---

(١) « الحكم » ( ١٨ ) .

لجماعات حمقىٰ مغرورين ، ظنوا وتوهموا أنها منتهى المطلوب ، حتى افتتنوا بها ، واغتروا بها ، وتنافسوها ، وبذلوا في خدمتها ظواهرهم وبواطنهم .

وتعجب رضي الله عنه ممن رغب في هـٰذه الدار الخداعة المكَّارة ، الغدارة الغرارة ، الجيفة القذرة ، الصغيرة عند الله تعالىٰ .

قال رضي الله عنه ـ أعني شيخنا الناظم في كتابه « النصائح الدينية » ـ : ( حقيقة الزهد : خروج حب الدنيا والرغبة فيها من القلب ، وهوان الدنيا على العبد . . حتىٰ يكون إدبارها وقلة الشيء منها أحب إليه من ضده ، هـٰذا من حيث الباطن ، وفي الظاهر يكون منزوياً عنها ، ومتجافياً عنها اختياراً مع القدرة عليها ، ويكون مقتصراً من سائر أمتعتها : مأكلاً وملبساً ومسكناً ، وغير ذلك علىٰ ما لا بد منه ، دون التنعم والتمتع بشهواتها )اهـ[1] .

وهو حد جامع لا يخرج عنه شيء من معاني الزهد ، ولهـٰذا عبر هنا بقوله : ( وازهد بقلبك . . إلخ ) ؛ ليشير إلى الحد الجامع لذلك .

وقال في حكمه المنثورة : ( من زهد في المال والجاه . . فهو صدِّيق ، ومن زهد في المال دون الجاه . . فهو مراءٍ ، ومن زهد في الجاه وأحب المال . . فهو لئيم ، ومن أحب المال والجاه . . كان أصغر عقوبته حرمانهما[2] .

وفي الحرص على المال هلاك الدين ، وفي الحرص على الجاه هلاك الدين والمال جميعاً .

ومن أمسك شيئاً يرىٰ أن إنفاقه خيرٌ من إمساكه . . فهو من المؤثرين للدنيا .

---

(١) « النصائح الدينية » ( ٣٩٧ ) .
(٢) « الحكم » ( ١٣ ) .

ومشاهدة المؤثرين للدنيا تمحو حب الآخرة من القلب ، فكيف بالمجالسة والمخالطة!

وليس واضع المال في غير حقه.. بأقل إثماً من ممسكه عن حقه ، وكفىٰ بالذل في طلب الدنيا عقوبة )[1] . اهـ من مواضع منها .

وقال حجة الإسلام رحمه الله تعالىٰ : ( ومن علامات الزاهد في المال.. أن لا يفرح بموجود ، ولا يحزن علىٰ مفقود ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] .

بل ينبغي أن يفرح بالفقد ويحزن للوجود .

**ومن علامات الزاهد في الجاه** : استواء المدح والذم .

**ومن علامات الزاهد** : الأنس بالله تعالىٰ ، وغلبة حلاوة الطاعة علىٰ قلبه .

**ومن علاماته** : استواء الغنىٰ والفقر ، والعز والذل ، وترك الدنيا من غير مبالاة بمن أخذها .

**ومن علاماته** : السخاء وكثرة العطاء .

**ومن علاماته** : وجود الراحة في الخروج من المِلْك .

فنسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا من مبادئه نصيباً وإن قل ؛ فإن أمثالنا لا يستجرىء على الطمع في غاياته .

وقطع الرجاء عن فضل الله تعالىٰ غير مأذون فيه ، والله سبحانه وتعالىٰ لا يتعاظمه شيء ، فلا يبعد في أن يعظم إليه السؤال ) اهـ بتصرف فيه .

وأما فضائل الزهد.. فأكثر من أن تحصر .

---

(١) « الحكم » ( ١٧ ) .

قال الله تعالىٰ : ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [النساء : ٧٧] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ ﴾ . . . الآية [القصص : ٨٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف : ٨] .

وقال سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى : ٢٠] .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هٰذه الآية ، ثم قال : « يقول الله تعالىٰ : يا ابن آدم ؛ تفرغ لعبادتي . . أملأ صدرك غنىً ، وأسد فقرك ، وإن لا تفعل . . ملأت صدرك شغلاً ، ولم أسد فقرك »[1] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : ١٣١] .

إلىٰ غير ذلك من الآيات .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح وهمه الدنيا . . شتت الله عليه أمره ، وفرق عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة . . جمع الله له همه ، وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة »[2] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آثر الدنيا على الآخرة . .

---

(١) رواه الترمذي ( ٢٤٦٦ ) ، وابن ماجه ( ٤١٠٧ ) .

(٢) أخرجه الترمذي ( ٢٤٦٥ ) .

ابتلاه الله بثلاث : هم لا يفارق قلبه أبداً ، وفقر لا يستغني عنه أبداً ، وحرص لا يشبع منه أبداً » .

وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا ؟ ! » .

وروى ابن المسيب عن أبي ذر رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من زهد في الدنيا . . أدخل الله تعالى الحكمة في قلبه فأنطق بها لسانه ، وعرَّفه داء الدنيا ودواءها ، وأخرجه منها سالماً إلىٰ دار السلام »[1] .

ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالىٰ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] ، وقيل له : ما هٰذا الشرح ؟ . . قال : « إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر ، وانفسح » ، قيل : يا رسول الله ؛ وهل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم ؛ التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلىٰ دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله »اهـ[2]

والأخبار الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في ذم حب الدنيا ، ومدح البغض لها . . خارجة عن الحصر ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام بُعِث لصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة . . فإلىٰ ذلك يرجع أكثر كلامه ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولقد توفي عليه الصلاة والسلام وما ترك عند موته درهماً ولا ديناراً ،

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٣٤٦/٧ ) .

(٢) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » ( ٣٤٣١٤ ) ، وابن جرير وابن أبي حاتم في « تفسيريهما » من طرق مرسلة متصلة يشدُّ بعضها بعضاً كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ .

ولا عبداً ولا أمة ، ولا شيئاً . . إلا بغلته البيضاء ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة ، وتوفي عند عائشة وليس عندها شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير ـ أي : شيء منه ـ في رفٍّ لها .

وما أتت عليه صلى الله عليه وسلم ليلة من دهره . . إلا كان الذي عليه أكثر من الذي له .

وكان صلى الله عليه وسلم يستسلف ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير .

وقبض عليه الصلاة والسلام في كساء مرقع وإزار غليظ .

وكانت وسادته من أَدَم محشو ليفاً ، وفراشه أَدَم حشوه ليف .

هٰذا . . وقد أوتي عليه الصلاة والسلام مقاليد الدنيا ومفاتيح خزائن الأرض ، وكان يمر به الشهران ما توقد النار في بيته ، وعيشه التمر والماء

وكان يربط الحجر علىٰ بطنه والحجرين من الجوع ، ولم يكن يُنخَلُ له قوت .

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه : ( ركعتان من زاهدٍ قلبُه . . خير وأحب إلى الله تعالىٰ من عبادة المتعبدين المجتهدين إلىٰ آخر الدهر أبداً سرمداً ) .

وقال شيخنا الناظم في كلامه المنثور : ( الدنيا المذمومة علىٰ لسان الكتاب والسنة هي التي يقع بسببها في ترك مأمور ، وركوب منهي ، والدنيا المباحة هي التي ليس يقع بسببها في ذلك ، والمحمودة هي التي يصل بها إلىٰ فعل خير ، أو ينجو بها من فعل شر )اهـ[1] بمعناه .

---

(١) « الحكم » ( ١٠ ) .

وقال أحمد ابن حنبل : ( الزهد علىٰ ثلاثة أوجه :

**أحدها** : ترك الحرام ، وهو زهد العوام .

**والثاني** : ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص .

**والثالث** : ترك ما يشغل العبد عن الله تعالىٰ ، وهو زهد العارفين ) .

وقال غيره : ( الزهد لا يكون إلا في الحلال ) .

وقال الإمام أحمد ـ أيضاً ـ وسفيان الثوري وعيسىٰ بن يونس وغيرهم من السلف : ( الزهد في الدنيا إنما هو قِصَر الأمل ) .

وقال عبد الله بن المبارك وشقيق البلخي ويونس بن أسباط : ( الزهد هو الثقة بالله تعالىٰ ، مع حب الفقر ) .

وقال أبو سليمان الداراني : ( الزهد ترك ما يشغلك عن الله تعالىٰ ) .

وقال الجنيد : ( الزهد خلو اليد من المِلْك ، والقلب من التتبع ) .

وقال بعضهم : ( الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ) .

وأما كون الدنيا صغيرة عند الإلـٰه تعالىٰ . . فمعلوم معروف ؛ جاء في ذلك أخبار وآثار كثيرة ، وقد سبق الحديث : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة . . . » إلخ .

وفي بعض رواياته : أنه عليه الصلاة والسلام مر بشاة ميتة ، فقال : « والذي نفسي بيده ؛ لَلدُّنيا أهون على الله من هـٰذه الشاة علىٰ أهلها ، ولو كانت الدنيا تزن . . . »[1] الحديث .

ومن هنا قال الشبلي : ( الزهد غفلة ؛ لأن الدنيا لا شيء ، والزهد في لا شيء غفلة .

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٣٤١ ) .

وهـٰذا هو الزهد في الزهد ، كما قال السراج في « اللمع »[1] ، وهو أعلى الرتب في الزهد عنده .

ويليها : قول رويم بن أحمد : ( وهو ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ) .

ويليها : زهد المبتدئين ، وهو ما قال الجنيد : ( تخلي الأيدي من الأملاك ، والقلوب من الطمع ) .

ومن « العوارف » : ( ليس الزهد في الزهد ؛ لشهود حقارة الدنيا . . بل هو بالخروج من الاختيار في الزهد ، فيترك الدنيا بمراد الحق . . . )[2] إلىٰ آخر ما قال ، فلينظر منها .

وقال موسىٰ بن يسار : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا ، وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها »[3] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالىٰ ، لم ينظر إليها ، وتقول يوم القيامة : يا رب اجعلني لأدنىٰ أوليائك نصيباً اليوم ، فيقول : ( اسكتي يا لا شيء ؛ إني لم أرضك لهم في الدنيا ، فكيف أرضاك لهم اليوم ؟ ) » .

وأما فتنة الدنيا لطوائف من الناس ، واغترارهم بزخرفها حتىٰ تنافسوها واستغرقوا فيها أجسامهم وقلوبهم . . فهو أمر قد عم في هـٰذا الزمان ضرره ، وطار شرره ، وعظم خطره ، وأطبق عليه الخاص والعام ، إلا من شاء الله ، وقليل ما هم .

---

(١) « اللمع » ( ٧٢ـ٧٣ ) .

(٢) « عوارف المعارف » ( ٢٨٥ـ٢٨٦ ) .

(٣) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٣٣٨ ) .

فاستغرق القلوب بالفكر والتمني ، والعمل والسعي بالأجسام ، ولم يفرق في ذلك بين حلال ولا حرام ، كأن الله قد فرض ذلك عليه كفرض الصلاة والصيام ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور .

قال شيخنا : ( من نظر إلى الدنيا بعيني رأسه . . رأىٰ غروراً وزوراً ، ومن نظر إليها بعيني قلبه . . رأىٰ هباء منثوراً )[1] .

وقال الفضيل رحمه الله تعالىٰ : ( قال ابن عباس رضي الله عنهما : يؤتىٰ بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، أنيابها بادية ، مشوهاً خلقها ، فتشرف على الخلائق . . فيقال لهم : تعرفون هٰذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هٰذه . فيقال لهم : هٰذه الدنيا التي تناحرتم عليها ، وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، ثم تقذف في جهنم ، وتنادي : أي رب ؛ أين أتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله عز وجل : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها . اهـ

وطوائف المفتونين بالدنيا كثيرون :

**فمن المفتونين بالدنيا** : من ظن أن غاية الطلب من الدنيا قضاء شهوة البطن والفرج .

**ومنهم** : من ظن أنه كثرة الأموال والكنوز .

**ومنهم** : من ظن أن المطلوب مدح الناس وثناؤهم عليه ، بالتجمل باللباس ، وزخرفة الدور .

**ومنهم** : من ظن أن المطلوب من الدنيا الكرامة بين الناس ، وانقياد الخلق لهم بالتواضع ، واتساع الولايات على الناس ، وانقياد الرعايا .

---

(١) « الحكم » ( ١٦ ) .

ومنهم : من ظن أن المقصود العمل والكسب لأجل الأكل ، والأكل لأجل الكسب ، وهٰكذا ؛ كأهل الحرث والكد في الحرف .

وكل هٰؤلاء مفتونون مغرورون .

بل المقصود من الدنيا : الاستعانة علىٰ طاعة الله تعالىٰ وتقواه ، وتفريغ القلب ، وإقباله على الله تعالىٰ بكنه همته ، واشتغاله بالفكر والذكر .

ولا يمكن ذلك إلا بالاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، وهو أخذ الكفاف والبلغة والزاد من الدنيا ؛ لأجل السعي والسير إلى المولىٰ تعالىٰ .

* * *

فلذلك قال سيدنا الناظم رضي الله عنه ونفع به :

| [١٩] وَخُذْ بَلاَغَكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَٱسْعَ بِهِ | سَعْيَ ٱلْمُجِدِّ إِلَىٰ مَوْلاَكَ وَٱحْتَسِبِ |
|---|---|

يعني : وتناول من الدنيا ما يكفيك ، وتجتزي وتتبلغ به ، وتستعين به علىٰ سلوك سبيل الله تعالىٰ والدار الآخرة ، مع بذل الطاقة والوسع في دوام السير من غير تنعم ولا تلذذ وتَشَهٍّ ، بل تقصد الاستعانة على التشمير والسعي إلىٰ ربك ومليكك المنعم عليك ، والناصر لك ، والناظر إليك ، والقريب منك .

والسير إلى الله تعالىٰ سير حقيقي معنوي ، وهو تزكية النفس عن منكر الأخلاق والأعمال ، وتحليتها بمحاسن الأخلاق والأعمال .

وهو المراد من قول الناظم : ( وٱسْعَ به ) . . . إلىٰ آخر البيت ، وسيأتي زيادة بسط لمعنى السير إلى الله آخر الكلام علىٰ هـٰذا البيت .

فـ( **الأخذ** ) : هو التناول .

و( **البلاغ** ) : الكفاية .

يقال : تبلغ بكذا ؛ أي : اكتفىٰ به . والبُلغة ـ بالضم ـ : ما يتبلغ به من العيش .

و( **السعي** ) : المشي السريع ، ويطلق على : العمل ، والقصد ، والعَدْو ، والكسب .

و( **الباء** ) ـ في ( به ) ـ : للاستعانة .

و( **الهاء** ) : ضمير للبلاغ .

و( **المُجِد** ) : المجتهد والمحقق .

و( **إلىٰ** ) : حرف جر لانتهاء الغاية .

و( المولىٰ ) : هو الرب ، والناصر ، والمنعم ، والقريب ، وهو الله تعالىٰ وتقدس .

و( الاحتساب ) : هو قصد الاستعانة . والمحتسب : من يقدم الخير ويعُدُّه فيما يدخر .

قال الشيخ أبو نصرٍ السراج : ( أول المسارعة إلى الخيرات التقلل من الدنيا ، وترك الاهتمام للرزق ، والتباعد والفرار من الجمع والمنع ، باختيار القلة على الكثرة ، والزهد على الرغبة ، كما يفهم من قوله تعالىٰ : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥ـ٥٦] ) اهـ .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لابن آدم حق في الدنيا سوىٰ هـٰذه الخصال : بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وجِلْف الخبز والماء »[١] .

و( الجِلْف ) ـ بكسر الجيم ، وسكون اللام ، بعده فاء ـ : غليظ القوت وخشنه .

وقال سلمان رضي الله عنه : ( عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً ، قال : « ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » )[٢] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « طوبىٰ لمن هدي إلى الإسلام ، وكان عيشه كفافاً ، وقنع به »[٣] .

قال بعضهم : ( الكفاف : شِبَع يوم ، وجوع يوم ) .

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٢٣٤١ ) .
(٢) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٧٠٦ ) .
(٣) أخرجه ابن حبان ( ٧٠٥ ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَرَض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً ، قلت : لا يا رب ، ولٰكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ أو قال ثلاثاً أو نحو هٰذا ـ فإذا جعت . . تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت . . شكرتك وحمدتك »[1] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ، وفيهم يضعف اليقين » .

ثم قال : « إن الله تعالىٰ لم يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات . . . »[2] الحديث .

وورد : « ينادي مناد : دعوا الدنيا لأهلها ، دعوا الدنيا لأهلها ، دعوا الدنيا لأهلها ، من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه . . أخذ حتفه وهو لا يشعر »[3] .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الذكر الخفي ، وخير الرزق ـ أو العيش ـ ما يكفي »[4] .

وما جاء في الترغيب في التقلل من الدنيا والقناعة . . شيء كثير .

وقد بسطت الكلام عليه بعض بسط في كتابي « سبيل الرشد والهداية » .

والمراد من العبد في الدنيا : العلم والعمل ، وهو السعي إلى الله تعالىٰ ، ولا يتمان إلا بأخذ البلاغ ، مع القناعة به .

وأما معنى السعي والسلوك . . ففي « النفائس العلوية في المسائل

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٣١٠ ) .

(٢) أخرجه عبد بن حميد ( ٢٥٩ ) .

(٣) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ١٠/ ٢٥٤ ) ، بلفظ ( جيفة ) بدل ( حتفه ) ، وعزاه للبزار .

(٤) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٨٠٩ ) .

الصوفية » الذي جمعته من فتاوىٰ شيخنا الناظم :

( السلوك : عبارة عن سير القلب في تحقيق أخلاق الإيمان وتصحيحها ، وتحقيق مقامات اليقين وأحكامها ، والسير في ذلك من منزل إلىٰ منزل ، والترقي من مقام إلىٰ مقام ، من البداية إلى النهاية ، وهو سير باطن في طريق باطن )اهـ[1]

وقوله هنا : ( مقامات اليقين ) : هي ما أشار إليه في تائيته بقوله رضي الله عنه ونفع به [في « ديوانه » ١١٦] :

مقاماته تسع عليك بحفظها وإحكامها وابدأ بتصحيح توبة
وخوف ونعم الخوف للعبد سائق ونعم الرجا من قائد للسعادة

إلىٰ آخر الأبيات في ذلك . . فانظره منها .

* * *

(١) « النفائس العلوية » ( ٩٣ ) .

وأما قوله رضي الله عنه ونفع به آمين :

[٢٠] وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلَّذِي يَبْتَاعُ عَاجِلَهُ بِـآجِـلٍ مِـنْ نَعِيـمٍ دَائِـمٍ يَخِـبِ

فـ( اعلم ) : كلمة تنبيه على الإصغاء لما يلقىٰ إلى المخاطب .

و( يبتاع ) : يشتري .

و( العاجل ) : ضد ونقيض الآجل .

و( النعيم ) : حسن العيش والسرور والدعة والخفض .

و( الدائم ) : ضد المنقطع .

و( يخب ) : يُحرَم ويُعدَم ما يطلب .

واعلم أن حالتك قبل الموت هي دنياك العاجلة ، وحالتك بعد الموت هي آخرتك الآجلة ، فدنياك وآخرتك : صفاتك وأحوالك .

فالقريب العاجل هو الدنيا ، والمتأخر الآجل هو الآخرة ، والآخرة من عالم الغيب والملكوت ، وهو عالم النور ، والدنيا من عالم الملك والحس ، وهو عالم ظلمة وزور وغرور . . إلا لمن جعلها مزرعة للآخرة ، وكان فيها عابر سبيل ، وأخذ منها قدر البلاغ للاستعانة علىٰ سلوك طريق الله تعالىٰ ، وصراطه المستقيم ، الذي جاء به رسول الله الأمين : محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

قال الله تعالىٰ وتقدس : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾

[إبراهيم : ١ـ٣] .

وصف سبحانه وتعالى الكفار بأنهم يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة.. فمفهومه: أن المؤمنين هم الذين يستحبون الآخرة الآجلة على العاجلة الفانية.

وقال تعالىٰ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء: ١٨ـ١٩].

فالعاجلة هي: الدنيا.

وقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦ـ١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾... الآية [الشورى: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧ـ٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ـ١٦].

وأوحى الله تعالىٰ إلىٰ داوود عليه الصلاة والسلام: من آثر هوىٰ دنياه علىٰ لذة آخرته.. فقد استمسك بالعروة التي لا وثاق لها، ومن آثر هوىٰ آخرته علىٰ لذة دنياه.. فقد استمسك بالعروة التي لا انفصام لها.

وقال لقمان عليه السلام: (من باع دنياه بآخرته.. ربحهما جميعاً، ومن باع آخرته بدنياه.. خسرهما جميعاً).

وفي بعض الآثار: (لا تزال لا إلـٰه إلا الله تنفع قائليها ما لم يؤثروا

صفقة دنياهم علىٰ دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوها . . قال الله تعالىٰ : كذبتم لستم بها صادقين )[1] .

وذلك كما قال حجة الإسلام رحمه الله ؛ لأن الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر[2] .

والكافر كل من أعرض عن الله تعالىٰ ولم يرد إلا الحياة الدنيا ، ورضي بها واطمأن إليها .

والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا ، شديد الحنين إلى الخروج منها .

وبقدر حب الدنيا في القلب . . يسري فيه الشرك الخفي ، وقد قال عيسىٰ عليه الصلاة والسلام : ( أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون : الذين نظروا إلىٰ باطن الدنيا حين نظر الناس إلىٰ ظاهرها ، واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها . . . )[3] إلىٰ آخر كلام طويل له عليه الصلاة والسلام .

وقال شيخنا وسيدنا الناظم في كتابه « رسالة المذاكرة » : ( **الدنيا علىٰ ثلاث طبقات** : فدنيا فيها الثواب ، وأخرىٰ فيها الحساب ، وثالثة فيها العذاب .

فأما التي فيها **الثواب** : فهي التي يصل بواسطتها إلى الخير ، وينجو بواسطتها من الشر ، وهي مطية المؤمن ، ومزرعة الآخرة ، وهي الكفاف من الحلال .

وأما التي فيها **الحساب** : فهي التي لا تشتغل بسببها عن أداء مأمور ، ولا ترتكب في طلبها أمراً محظوراً ، فهٰذه التي فيها الحساب الطويل ،

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٣٣٧ ) .
(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٢٢٤ ) .
(٣) ذكره أبو نعيم الأصفهاني في « حلية الأولياء » ( ١/ ١٠ ) .

وأربابها : هم الأغنياء الذين سبقهم الفقراء إلى الجنة بنصف يوم ، وهو خمس مئة عام .

وأما التي فيها **العذاب** : فهي التي تقطع عن أداء المأمورات ، وتوقع في ارتكاب المحظورات ، وهي زاد صاحبها إلى النار ، ومدرجته إلىٰ دار البوار ، وإليه الإشارة بما روي أن الله تعالىٰ يأمر بالدنيا إلى النار ، فتقول : يا رب ؛ أين أشياعي وأتباعي ؟ فيقول سبحانه وتعالىٰ : ألحقوا بها أشياعها وأتباعها ، فيُلحَقون بها )اهـ[1] كلامه .

وهو كما قال ، قاعدة يعوَّل عليها ، ويُرجَع إليها في فهم حقيقة الدنيا ومعناها ، وما يُذَم وما يُحمَد منها . والله أعلم .

* * *

---

(١) « رسالة المذاكرة » ( ٤١ ) ، والحديث تقدم تخريجه .

وقوله رضي الله عنه ونفعنا به آمين :

| [٢١] وَإِنْ وَجَدْتَ فَوَاسِ ٱلْمُعْوِزِينَ تَفِضْ | عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ٱلْأَرْزَاقُ فَٱسْتَجِبِ |
| --- | --- |

يعني : وإن أعطاك ربك وأغناك ، وأوجدك حتى استغنيت . . فأعط المحتاجين والفقراء والمساكين ، وابذل لهم مما أعطاك ؛ فإن الله تعالىٰ بفضله يكثر عليك الخيرات التي تنفعك في قلبك وبدنك ، ويجريها لك ويوصلها إليك ، فاقبل ما قلت لك ، واستجب له ، واعمل به .

فقوله رضي الله عنه : ( **وجدت** ) أي : استغنيت .

ومعنىٰ أوجده الله : أغناه . ويقال : وجد المال يجِدُه وَجْداً وجِدَة ؛ أي : استغنىٰ . ويقال : وجد مطلوبه ؛ أي : أدركه .

والواجد : من أسماء الله الحسنىٰ ، ومعناه ـ كما في « المقصد » ـ : ( الذي لا يعوزه شيء مما لا بد منه ، وكل ما لا بد منه في صفات الإلـٰهية وكمالها . . فهو موجود لله تعالىٰ ، فهو بهـٰذا الاعتبار واجد ، وهو الواجد المطلق سبحانه وتعالىٰ )[1] .

ويقال : آساه و( **واساه** ) : أعطاه . واستأسيته واستوسيته : قلت له : أعطني .

و( **المعوزين** ) : هم المحتاجون . والعَوَز ـ بالتحريك ـ : الحاجة . يقال : عَوِز الرجل وأعوز ؛ أي : افتقر . وأعوزه الشيءُ : احتاج إليه . وأعوزه الدهرُ أحوجه .

و( **تَفِضْ** ) أي : تكثر .

يقال : فاض فيضاً وفيوضاً وفيضاناً . . إذا كثر . ويقال لنيل مصر :

---

(١) « المقصد الأسنى » ( ١١٠ ) .

الفيض ، وكذلك نهر البصرة . والفَرَسُ الكثيرة الجري يقال لها : الفيض .

وفي اصطلاحات الصوفية أن : ( المفيض من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا : لأنه المتحقق بأسمائه تعالىٰ ، ومظهر إقامة نور الهداية عليهم بواسطتها )[1] .

و( **الأرزاق** ) ـ جمع رزق ـ وهو : ما يُنتَفَع به .

يقال : رزقه الله ؛ أي : أوصل إليه رزقاً .

( والرزق [رزقان] : حسي ومعنوي .

فالحسي : ما ينفع البدن .

والمعنوي : ما ينفع القلب .

فالرزق الظاهر هو الأقوات والأطعمة ، والرزق الباطن هو المعارف والمكاشفات . وهو الأشرف ؛ لأن ثمرته الحياة الأبدية ، وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلىٰ مدة قريبة .

والرب تبارك وتعالىٰ هو المتولي بخلق الرزقَين ، ولـٰكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

ومعنى الرزاق من أسمائه تعالىٰ هو الذي خلق الأرزاق والمرتزِقة وأوصلها إليهم ، وخلق لهم أسباب التمتع بها ) . كما قاله حجة الإسلام[2] .

و( **الاستجابة** ) : قبول الدعوة ، أو إسعاف الطالب بطلبته ، أو مواجهته بما يرضيه .

يعني : كن مجيباً لما دعاك إليه ربك وندبك ؛ من المواساة للمعوزين ،

---

(١) انظر « معجم اصطلاحات الصوفية » ( ص ١٠٧ ) ، وفيه : ( ومظهر إفاضة نور الهداية عليهم بواسطتها ) ، وهذا هو الواضح .

(٢) « المقصد الأسنىٰ » ( ٦٧ ) .

والإنفاق عليهم ، وغير ذلك . ومجيباً لي إلىٰ ما دعوتك إليه مما دعاك الله إليه ، ومواجهاً بما يرضىٰ به .

والمجيب ـ أيضاً ـ من أسماء الله تعالىٰ ، ومعناه ـ كما في « المقصد الأسنىٰ » ـ : ( الذي يقابل مسألة السائل بالإسعاف ، ودعاء الداعي بالإجابة ، وضرورة المضطرين بالكفاية ، بل يُنعِم قبل النداء ، ويتفضل قبل الدعاء ، وليس ذلك إلا لله تعالىٰ )[1]

فأما فضائل الإنفاق في وجوه الخير والبر ابتغاء مرضاة الله ، ورجاء لثوابه . . فكثيرة جداً ، ورد فيها من الآيات والأخبار ما يطول ذكره ، ويعسر حصره .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد : ١١] .

وقال سبحانه : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد : ٧] .

وقال تقدس وتعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا

---

(١) « المقصد الأسنىٰ » ( ٩٧ ) .

﴿ مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ [الليل : ٥ـ١١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [التغابن : ١٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالىٰ ابن آدم ؛ أَنفِقْ . . أُنفِقْ عليك »[١] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ابن آدم ؛ إنك إنْ تبذل الفضل . . خير لك ، وإنْ تمسكه . . شر لك ، ولا تُلام على الكفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ »[٢] .

وقال بلال رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بلال ؛ مت فقيراً ، ولا تمت غنياً » ، فقلت : وكيف لي بذلك ؟ قال : « ما رزقت فلا تخبِّىء ، وما سئلت . . فلا تمنع » فقلت : يا رسول الله ؛ وكيف لي بذلك ؟ قال : « هو ذاك ، أو النار »[٣] .

وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا توكي فيوكىٰ عليك »[٤] .

وفي رواية : « أنفقي وانفحي وانضحي ، ولا تُحصي ؛ فيُحصي الله عليك »[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري ( ٤٤٠٧ ) ، ومسلم ٣٦ ( ٩٩٣ ) .
(٢) أخرجه مسلم ( ١٠٣٦/٩٧ ) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ١/٣٤١ ) .
(٤) أخرجه البخاري ( ١٣٦٦ ) .
(٥) أخرج هذه الرواية بنحوها البيهقي في « الشعب » ( ٣/٢٤٢ ) .

وقوله : ( أنفقي وانفحي وانضحي ) معناها واحد .

ومعنىٰ ( لا توكي ) : لا تمنعي ما في يدك . . فتنقطع مادة بركة الرزق عنك .

و( الإيكاء ) : شد رأس الوعاء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت شمس قط . . إلا وبجنبتيها ملكان يناديان : اللهم ؛ من أنفق . . فأعقبه خلفاً ، ومن أمسك . . فأعقبه تلفاً »[1] .

وفي رواية : « اللهم ؛ أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من موجبات الرحمة : إطعام المسلم المسكين » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أنفق يا بلال ، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً »[3] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر »اهـ[4]

فالإسرار بالصدقة أفضل من إظهارها ؛ لهٰذا الحديث وغيره ، ولأنها أقرب إلى الإخلاص ، وأبعد عن الرياء ، بل ورد أنها تضاعف على الظاهرة سبعين ضعفاً .

---

(١) أخرجه ابن حبان ( ٦٨٦ ) .
(٢) أخرج هذه الرواية البخاري ( ١٣٧٤ ) ، ومسلم ( ١٠١٠/٥٧ ) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٣/٨٦ ) .
(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ١/٢٨٩ ) .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ الآية [البقرة : ٢٧١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يخرج رجل شيئاً من الصدقة . . حتىٰ يفك عنها لحيي سبعين شيطاناً »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله تعالىٰ . . إلا رفعه الله »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله تعالىٰ ما بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه[٣] فلا يرىٰ إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه[٤] فلا يرىٰ إلا ما قدم ، وينظر إلىٰ ما بين يديه فلا يرىٰ إلا النار تلقاء وجهه . . فاتقوا النار ولو بشق تمرة »[٥] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء »[٦] .

واعلم أن السخاء من أخلاق الأنبياء والأولياء ، وهو أصل من أصول النجاة .

وأرفع درجات السخاء : الإيثار ، وهو : أن تجود بالمال مع الحاجة إليه .

وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه لمحتاج أو لغير محتاج ، مع سهولة ذلك على النفس .

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٥٧٧ ) .
(٢) أخرجه مسلم ( ٢٥٨٨/ ٦٩ ) .
(٣) أيمن منه : جانبه الأيمن .
(٤) أشأم منه : جانبه الأيسر .
(٥) أخرجه البخاري ( ٧٠٧٤ ) ، ومسلم ( ١٠١٦/ ٦٧ ) .
(٦) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان »( ٣٣٠٩ ) .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أيما امرىءٍ اشتهىٰ شهوة ، فرد شهوته ، وآثر بها علىٰ نفسه . . غفر الله له » .

وقال سهل بن عبد الله : ( قال الله تعالىٰ : يا موسىٰ ؛ لا يأتيني أحد قد عمل بالإيثار وقتاً في عمره . . إلا استحييت من محاسبته ، وبوأته من جنتي حيث يشاء ) .

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما جبل الله ولياً إلا على السخاء وحسن الخُلُق »(١) .

وإن « السخاء شجرة في الجنة ، فمن كان سخياً . . أخذ بغصن منها ، فلن يتركه ذلك الغصن حتىٰ يدخله الجنة ، والشح شجرة في النار ، فمن كان شحيحاً . . أخذ بغصن من أغصانها ، فلن يتركه ذلك الغصن حتىٰ يدخله النار »(٢) .

وإن « السخي : قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، وإن البخيل : بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، وجاهل سخي : أحب إلى الله من عابد بخيل »(٣) .

و« أدوأ الداء البخل » .

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ( إذا أقبلت الدنيا . . فأنفق منها ؛ فإنها لا تفنى عنك ، وإذا أدبرت . . فأنفق منها ؛ فإنها لا تبقىٰ ) .

---

(١) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٤/ ٦٩ ) .

(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٤٣٥ ) .

(٣) أخرجه الترمذي ( ١٩٦١ ) .

وقد قيل في المعنىٰ :

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طراً قبل أن تتفلَّتِ
فلا الجود يفنيها إذا هيَ أقبلت ولا البخل يبقيها إذا هيَ وَلَّتِ

وسأل معاوية الحسنَ رضي الله عنهما عن الكرم ؟ فقال : ( هو التبرع بالمعروف قبل السؤال ، والإطعام في المَحْل ، والرأفة بالسائل ، مع بذل النائل[1] ) .

و( قيل للحسن البصري : ما السخاء ؟ قال : أن تجود بمالك في الله تعالىٰ . قيل : فما الحزم ؟ قال : أن تمنع مالك فيه ؛ يعني : في الله . قيل فما الإسراف ؟ قال : الإنفاق لحب الرياسة ) .

وقال علي بن الحسين رضوان الله عليهما : ( السخي من يبتدىء بحقوق الله تعالىٰ في أهل طاعته ، ولا تنازعه نفسه إلىٰ حب الشكر إذا كان يقينه بثواب الله تعالىٰ )اهـ[2]

ومن كان هٰكذا . . انتفىٰ عنه المن المبطل للثواب ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] .

إذ معنى ( المن ) : أن يرىٰ نفسه محسناً إلى الفقير ومنعماً عليه ، و( الأذىٰ ) : هو الاستحقار له ، والكراهية للعطاء .

وذلك من الجهل القبيح ؛ إذ نفع الصدقة إنما يعود على المتصدق .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ . . . الآية [البقرة: ٢٧٢] .

ذكر معنىٰ ذلك حجة الإسلام[3] .

---

(١) العطاء .
(٢) انظر « إحياء علوم الدين » ( ٣/٢٤٦ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ١/٢١٧ ) .

وقال أيضاً : ( والبخيل هو الذي يمنع ما وجب في الشرع أو في المروءة ، فإن كان يؤدي ذلك مع مشقة . . فهو مُتَسَخٍّ )[1] ، ولـٰكنه يعد بخيلاً طبعاً ، والذي لا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله . . يعد بخيلاً ، ومن أدىٰ واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به . . فقد برىء من البخل ، وذلك مختلف ، واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة : هو الجود ، إذا كان لله تعالىٰ ، ولنيل الدرجات لديه ، بشرط طِيبة النفس بذلك لله تعالىٰ خالصاً .

والحقيقة في الجود هو بذل الشيء من غير غرض ، ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى الجواد .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا إن البخل من الكفر ، والكفر في النار » .

وقال بشر بن الحارث : ( البخيل لا غِيبة له ، والنظر إلى البخلاء يقسي القلب ، ولقاء البخلاء كرب علىٰ قلوب المؤمنين ) .

وقال أبو حنيفة : ( لا أرىٰ أن أعدِّل بخيلاً ؛ لأنه يحمله البخل على الاستقصاء ، فيأخذ فوق حقه ؛ خِيفة من أن يُغبن ، فمن كان هـٰكذا لا يكون مأمون الأمانة ) .

ومن أدب الغنىٰ ـ ومثله الجاه ، ورفع القدر ، وكذا العافية ، والطاعة ـ : شكر الله وعدم نسيان فضله ، ويحصل أصل ذلك : باطناً

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٢٥٩ ) وما بعدها .
(٢) أخرجه الترمذي ( ١٩٦٢ ) .

بالمعرفة بجلال الله تعالىٰ وقدرته ، ويكفيه في ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، والمعرفة بحقارة نفسه وآفتها ، ويكفيه في ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ .. إلىٰ آخر الآية [الإنسان : ١] .

وظاهراً بالاستعانة بذلك على الطاعة .

وينبغي البداءة بمواساة الأقارب والأرحام قبل غيرهم .

وإلىٰ ذلك أشار سيدنا الناظم في ( تائيته ) بقوله [في « ديوانه » ١١٦] :

وشكرٍ على النَّعما برؤية منعِمٍ ... وصرفِ الذي أسداه في سُبْلِ طاعةِ

* * *

ولما ذكر الناظم نفع الله به إرشاد الغني بأمره بالمواساة مما أوجده الله تعالىٰ . . أشار إلىٰ آداب من ابتلي بحاجة وفقر بقوله رضي الله عنه :

| [٢٢] وَإِنْ بُلِيتَ بِفَقْرٍ فَٱرْضَ مُكْتَفِياً | بِاللهِ رَبِّكَ وَٱرْجُ ٱلْفَضْلَ وَٱرْتَقِبِ |
|---|---|

يعني : وإن امتُحِنت واختبرت بحاجة إلى المال وعُدْمٍ وفاقة . . فلا تسخط ، ولا تعترض علىٰ تقدير ربك العليم الحكيم وقضائه وحكمه .

وأَخرِج كراهية ذلك من قلبك ، وأبدلها بالفرح والسرور به ، حال كونك محتسباً بالله ، ومعتداً ومغتنياً به ، ومعولاً علىٰ فضله العظيم .

فمن يستغنِ . . يغنه الله ، كما قال عليه الصلاة والسلام[١] .

واطمع مع ذلك في زيادة ثوابه وفضله وخيره ، وانتظر ذلك منه تعالىٰ بمنه وكرمه وإحسانه .

واعلم وتيقن أنه تعالىٰ قد سلك بك سبيل أحبابه وأوليائه ، ورآك أهلاً لتقريبه معهم ، وأن البلايا غير ما ابتُليتَ به كثيرة ، وفيها ما هو أشد ديناً ودنيا ، واسأل منه تعالىٰ مع ذلك كشف ضرك وبلائك .

واعمل في ذلك بسنة نبيك صلى الله عليه وسلم . . تكن من الفائزين ، ومن الأولياء الصالحين .

فـ( البلاء ) : هو المحنة والاختبار ، وقد يكون منحة كما أنه قد يكون محنة ؛ فهو عطية للمصاب ، مطية للأحباب ، وهو تأديب الأغيار ، وتقريب الأخيار .

والبلاء : من لُبْسهِ الولاء[٢] ، فمن تم بلاؤه . . صح ولاؤه .

---

(١) أخرجه البخاري ( ١٣٦١ ) ، ومسلم ( ١٠٥٣/ ١٢٤ ) .

(٢) في ( ب ) : ( والبلاء من لبسة الولاء ) .

البلاء : تحفة من الحق ، وزلفة لأهل الصدق .

ولـٰكن ينبغي أن يسأل من الله العافية .

فإن وقع البلاء . . فقد عرف فضله .

ويقال : ابتليته ، وبلوته ، بلواً وبلاءً ؛ أي : اختبرته ، وامتحنته ، والاسم : البلوىٰ والبلية .

وقال الجريري : ( البلاء علىٰ ثلاثة أوجه :

ـ على المخلطين نقم وعقوبات .

ـ وعلى الصابرين تمحيص وكفارات .

ـ وعلى الأنبياء والصديقين من صدق الاختبارات ) .

و( **الفقر** ) ـ بفتح الفاء وسكون القاف ـ هو : الحاجة .

ويعبر عنه الصوفية : باختيار العدم على اقتناء النعم . أو هو الأنس بالمعدوم ، والوحشة من المعلوم . أو هو التلذذ بالإفلاس ، ووسم القلب بالإياس . قاله القشيري .

والفقير : المحتاج ، يقال : فَقُرَ ـ بفتح فضم ـ فهو فقير من فقراء ، وفقيرة من فقائر .

ويقال : سد الله تعالىٰ مفاقره ، أي : أغناه وسد وجوه فقره .

والفاقرة ، والفيقر : هو الداهية .

وأما الفُقْر ـ بالضم ـ فهو : الجانب .

و( **الرضا** ) : ضد السخط ، وعدم الاعتراض على الحكم .

والمراد هنا : أن يكون بحيث لا يرغب في المال رغبة يفرح بحصوله ، ولا يكرهه كراهة يتأذىٰ به لو أتاه ، بل يقنع بما أعطاه الله تعالىٰ ، مكتفياً به تعالىٰ .

ويقال : رضي عنه وعليه ، يرضىٰ رضاً ورضواناً . . فهو راض من رضاة ، ورضيٌّ من أرضياء .

ويقال : أرضاه ؛ أي : أعطاه ما يرضيه . ويقال : ترضاه واسترضاه ؛ أي : طلب رضاه ، وعيشة راضية ؛ أي : مرضية .

واعلم أن الرضا ـ كما قال مشايخ الصوفية رضي الله عنهم ـ هو : مقام من مقامات الدين عظيم ، وهو باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، من أُكرم به . . فقد لُقِّيَ بالترحيب الأوفىٰ ، وأُكرم بالتقريب الأعلىٰ .

قال أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله تعالىٰ في كتابه « منثور الخطاب » ـ : الرضا تسوية السر ، بين الحلو والمر .

الرضا : تلقي المهالك بوجه ضاحك .

الرضا : شهود المحنة بعين المنة .

الرضا : أن لا يترجح معه العطاء على البلاء ) .

وقال شيخنا في « حكمه » : ( الرضا[1] بالقضاء ينتفي معه الاعتراض على الله تعالىٰ ، ويبقىٰ معه الطلب )[2] .

و( **المكتفي** ) : المحتسب ، والمغتني ، والمرتضي الغير الطامع ، ولا المتشوف إلى الغير ، وذلك هو التوكل ؛ إذ التوكل كما قال أبو عثمان الحيري : ( هو الاكتفاء بالله تعالىٰ ، مع الاعتماد عليه ) .

و( **الرجاء** ) : هو الطمع في ممكن حصوله ، وهو ضد اليأس ؛ كالرجو والمرجا والمرجاة والرجاوة .

وقد سبق أن حقيقة الرجاء ارتياح القلب بسبب انتظار ما هو محبوب .

---

(١) في « النسخ » : الراضي ، والمثبت من « الحكم » .
(٢) « الحكم » ( ١٠ ) .

والتوكل والرضا والقناعة : متقاربة في المعنىٰ ، وإن كان ثَمَّ خصوص وعموم ، وقريب منها : حسن الرجاء ، وحسن الظن في الله تعالىٰ .

وأشار سيدنا الناظم إلىٰ هذا المعنىٰ بذكره الاسم الأعظم ( الله ) .

ومن فهم معنىٰ هـٰذا الاسم . . تأله إليه .

و( التأله ) : هو استغراق القلب والهم بالله تعالىٰ ، بحيث لا يلتفت إلىٰ سواه ، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه ، ولا يكتفي إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، وكيف لا يكون كذلك . . وقد فُهِم من هـٰذا الاسم أنه الموجود الحق ! !

فـ( الله ) : ( اسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الإلـٰهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقي ، وكل ما سواه من الموجودات إنما استفاد وجوده منه تعالىٰ ؛ إذ كل شيء هالك إلا وجهه .

والأشبه : أنه جارٍ في الدلالة علىٰ هـٰذا المعنىٰ مجرى الأسماء الأعلام ) . قال ذلك كله حجة الإسلام في « المقصد الأسنىٰ » [٤٤-٤٥] .

قال : ( وهو أعظم الأسماء التسعة والتسعين ؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلـٰهية كلها ، ومعناه خاص بالله تعالىٰ ، ولا يتصور فيه مشاركة لا مجازاً ولا حقيقة ، بخلاف غيره من الأسماء ، وهو مستغن عن التعريف بغيره ، وغيره من الأسماء يعرف بالإضافة إليه ) اهـ بتصرف [٤٥] .

و( الفضل ) : الزيادة .

و( ارتقب ) : انتظر .

والانتظار لفضل الله تعالىٰ هو الرجاء في الله وحسن الظن به .

وقد جاء في الشريعة في فضائل الفقر والفقراء الصابرين والراضين عن الله تعالىٰ شيء كثير جداً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الفقراء ؛ أعطوا الله الرضا من قلوبكم . . تظفروا بثواب فقركم ، وإلا . . فلا »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالىٰ يوم القيامة أين صفوتي من خلقي ؟ ، فتقول الملائكة : ومن هم يا ربنا ؟ فيقول : فقراء المسلمين ، القانعين بعطائي ، الراضين بقدري ، أدخلوهم الجنة ، فيدخلون الجنة ، ويأكلون ، ويشربون ، والناس في الحساب يترددون » .

وفي حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء :

أما خصلة واحدة : فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلىٰ نجوم السماء ، لا يدخلها إلا نبي فقير ، أو شهيد فقير ، أو مؤمن فقير .

**والثانية** : يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وهو خمس مئة عام .

**والثالثة** : إذا قال الفقير سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر ، وقال الغني مثل ذلك . . لم يلحق الغني بالفقير وإن أنفق معها عشرة آلاف ، وكذلك أعمال البر كلها . . . » الحديث .

فهـٰذه الفضائل للفقراء سببها قلة تعلق قلب الفقير بالدنيا الشاغلة عن الله تعالى ، العائقة عنه سبحانه وتعالىٰ ؛ إذ استشعار القدرة على المال يورث الأنس بالدنيا ، والميل إليها غالباً .

---

(١) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٥/ ٢٩١ ) .

وقد روي عن موسىٰ عليه الصلاة والسلام : ( لا تنظروا إلىٰ أموال أهل الدنيا ؛ فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم ) .

فهـٰذا في النظر ، فكيف المحبة والحرص ؟ وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه : ١٣١] .

فأما إذا كان الفقير متعلقاً بالدنيا ، مشغولاً بها . . فليست له فضيلة ، بل هو والغني الحريص سواء ، والغني الغير الحريص أفضل منه ، إلا أن من العصمة أن لا تقدر ، وفتنة السراء أشد من فتنة الضراء في حق جميع الآدميين ، إلا الشاذ النادر ؛ كالأنبياء والأولياء ، فمن هنا : صار الفقر أفضل من الغنىٰ ، وأثنى الشرع عليه أكثر من الغنى ، بل جاء في الشرع ذم الغنىٰ مطلقاً .

قال شيخنا الناظم في الكلام المنثور : ( من تيسرت له مطالبه الأخروية وتعسرت عليه مطالبه الدنيوية . . فهو من ورثة النبيين .

ومن تيسرت له مطالبه الدنيوية والأخروية . . فهو من أصحاب اليمين .

ومن تيسرت له مطالبه الدنيوية وتعسرت عليه مطالبه الأخروية . . فهو من المستدرجين .

ومن تعسرتا عليه . . فهو من الممقوتين )[1]

وجاء في فضائل الفقراء ما يعسر ذكره ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : « خير هـٰذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها مضجعاً في الجنة ضعفاؤها »[2] .

---

(١) « الحكم » ( ١٤ـ١٥ ) ، وفي النسخ : ( الأخراوية ) و( الدنياوية ) بدل : ( الأخروية ) و( الدنيوية ) . والمثبت من « الحكم » .

(٢) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٢/ ١٨٣ ) .

وكقوله عليه الصلاة والسلام : « إن لي حرفتين اثنتين ، فمن أحبهما . . فقد أحبني ، ومن أبغضهما . . فقد أبغضني : الفقر والجهاد » .

وكقوله عليه الصلاة والسلام : « تحفة المؤمن في الدنيا الفقر »[1] .

وكقوله عليه الصلاة والسلام : « أكثروا من معرفة الفقراء ، واتخذوا عندهم الأيادي ؛ فإن لهم دولة يوم القيامة » فقالوا : يا رسول الله ؛ وما دولتهم ؟ قال : « إذا كان يوم القيامة . . قيل لهم : انظروا إلىٰ من أطعمكم كسرة ، أو سقاكم شربة ، أو كساكم ثوباً . . فخذوا بيده ، ثم أفضُوا به إلى الجنة » .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : ( إن الله تعالىٰ ليبتلي العبد بالفقر شوقاً إلىٰ دعائه ) .

وقال أبو سليمان الداراني : ( تنفُّس فقير دون شهوة لا يقدر عليها . . أفضل من عبادة غني ألف عام ) .

وروي عن الضحاك قال : ( من دخل السوق فرأىٰ شيئاً يشتهيه ، فصبر واحتسب . . كان خيراً من ألف دينار ينفقها في سبيل الله تعالىٰ ) .

وقال إبراهيم بن أدهم لمن أعطاه عشرة آلاف درهم : ( تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء ؟!! ولم يقبلها .

وقال إبراهيم بن أحمد الخواص : ( الفقر رداء الشرف ، ولباس المرسلين ، وجلباب الصالحين ، وتاج المتقين ، وزين المؤمنين ، وغنيمة العارفين ، ومنية المريدين ، وحصن المطيعين ، وسجن المؤمنين ، ومكفر للسيئات ، ومعظِّم للحسنات ، ومرفع للدرجات ، ومبلغ إلى الغايات ) .

---

(١) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٢/ ٧٠ ) .

ولنذكر طرفاً من آداب الفقير :

قال شيخنا الناظم في « النصائح » : وليحذر الفقير كل الحذر من التسخط لقضاء الله تعالىٰ وعدم القناعة ؛ لئلا يوقعه ذلك في بلية الاعتراض على الله تعالىٰ في تفضيله بعض عباده علىٰ بعض في الرزق ، فيقع في الكفر ـ والعياذ بالله ـ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « كاد الفقر أن يكون كفراً »[1] .

ومن آداب الفقير أن يكون مستغنياً ، متعففاً ، غير مظهر للحاجة ، ولا متشكٍّ إلى الناس )[2] ، كما سبقت الإشارة إليه .

وقد سئل الخواص عن علامة الفقير الصادق ؟ فقال : ( ترك الشكوىٰ ، وإخفاء أثر البلوىٰ ) .

وقال سهل : ( الفقير الصادق : لا يَسأل ، ولا يَرُد ، ولا يَحبِس ) .

وقال أبو يعقوب : ( إذا وجد العبد الرضا بما قسم الله له . . فقد تكامل فيه اليقين ) .

وقال شيخنا الناظم في الكلام المنثور : ( شر الفقراء : من يود أنه من الأغنياء ، وخير الأغنياء : من لا يكره أن يصير من الفقراء )[3] .

وليحذر الفقير من السؤال ؛ فهو حرام ، إلا مع الضرورة والحاجة الشديدة .

قال عليه الصلاة والسلام : « لا تزال المسألة بأحدكم حتىٰ يلقى الله وليس علىٰ وجهه مزعة لحم »[4] .

---

(١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ( ١/ ٣٤٢ ) .
(٢) « النصائح الدينية » ( ١٦٢ـ١٦٣ ) .
(٣) « الحكم » ( ١٥ ) .
(٤) أخرجه مسلم ( ١٠٤٠/ ١٠٣ ) ، وهو بنحوه عند البخاري ( ١٤٠٥ ) .

وورد : « لم يَحِلَّ من الفواحش غير المسألة » .

فأما إذا أُعطي من غير مسألة ، ولا إشراف نفس. . فليأخذ إذا كان حلالاً ، ولا سيما إن كان محتاجاً إليه .

وليحذر من الرد رياء وسمعة ؛ فيقع في الحرج والإثم .

وإن اضطر الفقير إلى السؤال ، واحتاج إليه حاجة شديدة. . جاز أن يسأل قدر كفايته ، وينبغي أن لا يكرر السؤال ويلح فيه .

وليحذر من الذم لمن لم يعطه ؛ فيأثم .

وليحذر من السؤال بين الناس ؛ لئلا يعطيه أحد حياء من الناس ؛ فيأثم بأخذه ؛ إذ لا يحل باطناً وإن حل في الظاهر .

وليحذر من قوله : ( أعطاني فلان كذا ) ـ وهو كاذب ـ علىٰ قصد التلبيس على السامع ليعطيه . ومن قوله : ( لم يعطني فلان شيئاً ) ـ وقد أعطاه ـ تلبيساً على الغير فيقع في الحرج بذلك . اهـ بتصرف فيه .

* * *

ثم إن الناظم ـ نفع الله به ـ لما ذكر أن آداب الغني : مواساة المعوزين ، وآداب الفقير : الرضا ، والاكتفاء بالله تعالىٰ ، وحسن الظن به ، وارتقاب فضله ، وحسن الرجاء فيه تعالىٰ . . ذكر آداب المقام في التجريد ، والمقام في الأسباب ، فقال رضي الله عنه :

[٢٣] وَإِنْ تَجَرَّدْتَ فَٱعْمَلْ بِٱلْيَقِينِ وَبِٱلْـ ـعِلْمِ إِذَا كُنْتَ مَوْقُوفاً مَعَ ٱلسَّبَبِ

( **التجريد** ) : هو عدم الاشتغال بالأسباب الدنيوية ، وترك الدخول فيها ، وعدم الأخذ بها .

و( **السبب** ) ـ واحد الأسباب ـ وهو : ما يتوصل به إلىٰ غرض ما في الدنيا ، ويطلق السبب على الحبل ، وأسباب السماء : مراقيها ، ونواحيها ، وأبوابها ، فالسبب : هو الواسطة ، والأسباب : الوسائط .

يقول الناظم : إن التجريد والتسبب مقامان يقيم الله فيهما من يشاء من عباده ، فإن أُقِمْتَ في التجريد . . فاعمل باليقين ، وإن أُقِمْتَ مع السبب . . فاعمل بالعلم على مقتضى اليقين إن تجردت ، أو على مقتضى العلم إن وقفت مع السبب ؛ فالعلم يستعملك ، واليقين يحملك .

وقال الثوري : ( كل ما رأته العيون . . ينسب إلى العلم ، وكل ما علمته القلوب . . نسب إلى اليقين ) .

والتجرد لغة : التعري عن الشيء ، والنزع له .

يقال : جرَّد زيداً من ثوبه : عرَّاه ، فتجرد ، وانجرد .

ويقال : جرد الجلد إذا نزع شعره ، ورَجُل أجرد : لا شعر له . وخَمر جرداء ؛ أي : صافية .

و( **العمل** ) : هو الحركة ، والمراد بها : التأدب علىٰ مقتضى اليقين .

و( **اليقين** ) : عبارة عن عدم الشك ، والتحقق في العلم ، وتمكن

الإيمان بالله تعالىٰ ، والعلم به من القلب ، واستيلاؤه عليه ، والطمأنينة إليه .

وهو نور رباني ، يستغرق القلب ويستولي عليه ، وثمرته : الكشف والعِيان . قاله شيخنا الناظم .

وقال : ( فالكشف حال للموقن ، واليقين مقام له ، واليقين حال للمؤمن ، والإيمان مقام له ، فللمؤمن خطرات من اليقين ، وللموقن خطرات من الكشف ) . ذكره في « إتحاف السائل » .

وقال في « النفائس العلوية » : ( قوة اليقين تحصل من وجهين :

**أحدهما** : النظر في الآيات الناطقة ـ وهي آيات الكتاب العزيز ـ والصامتة ـ وهي عجائب الوجود ـ وهٰذا الوجه يسمىٰ عند المحققين بالفكر .

**والوجه الثاني** : تهذيب النفس ، وتصقيل مرآة القلب بحسن الرياضة ، وصدق المجاهدة ، وهو الذي آثره الصوفية ) اهـ بمعناه .

ويقال : يقِن الأمر ـ بكسر القاف ـ يقَناً ـ بفتحها ـ وأيقنه ، وأيقن به ، واستيقنه ؛ أي : عَلِمَه علماً وتحققه ، وهو : يَقِن مثلث القاف .

واليقَن ـ بفتح القاف ـ واليقين : إزالة الشك .

و( **العلم** ) : هو المعرفة .

**والمراد هنا** : المعرفة بالحلال والحرام وآداب التسبب والكسب .

يقال : عَلِمَه علماً . . إذا عَرَفَه وشعر به . ورجل عالم ، وعليم ، وجمعه : علماء وعِلام بكسر العين .

قال أبو بكر بن طاهر : ( العلم يعارضه[1] الشكوك ، واليقين لا شك فيه ) .

---

(١) يعارضه : بمعنىٰ : يعترضه ويداخله .

وقال أبو سعيد الخراز : ( العلم ما استعملك ، واليقين ما حملك ) .

وكان بعضهم جالساً عند بركة ماء ، فسئل عن جلوسه ؟ فقال : أنا بين العلم واليقين ، أنظر ماذا يغلب . . فأكون معه ؛ يعني : إن غلب العلم . . شرب ، وإن غلب اليقين . . ترك .

وقوله ( **إذا كنت موقوفاً** ) أي : مداوماً ، وممسكاً ، ومُثَبَّتاً ، ومُسَكَّناً .

يقال : وقف يقف وقوفاً : دام قائماً . ووقف القدرَ : أدامها وأسكنها . وأوقف عنه : أمسك عنه وأقلع . والتوقف على الشيء : التثبت .

واعلم أن التجريد مقام عال من مقامات العارفين بالله تعالىٰ .

فمن أقامه الله فيه . . فقد أقامه في مقام خواص عباده ؛ فأدبه في ذلك قوة اليقين ، وسعة الصدر ، والطمأنينة ، وملازمة العلم والعمل .

والتجريد حال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ قال عليه الصلاة والسلام : « ما أوحي إلي أَنِ اْجمعِ المال وكن من التاجرين ، ولـٰكن أوحي إلي : أَنْ سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين »[1] .

ومن أقامه الله تعالىٰ في الأسباب ، وجعله موقوفاً معها . . فأدَبُه العلم بما يحل وما يحرم ، وتقوى الله في سببه ، والعدل والإحسان وشفقته علىٰ دينه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالىٰ : ( أربعة آداب إذا خلا المتسبب عنها . . فلا تعبأنَّ به وإن كان أعلم البرية : مجانبة الظلمة ، وإيثار أهل الآخرة ، ومواساة ذوي الفاقة ، ومواظبة الخمس في الجماعة ) اهـ

وقال أبو نصر السراج : ( من اشتغل بالمكاسب . . فأدبه أن لا تشغله

---

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ( ٢/ ١٣١ ) .

عن أداء فرائض الله تعالىٰ ، ولا يرىٰ رزقه من ذلك ، وينوي بها معاونة المسلمين ، ولا يجمع ، ولا يمنع ، وينفق علىٰ إخوانه الفقراء )[١] .

وقد حقق آدابَ أهل الأسباب سيدُنا الإمام حجة الإسلام رحمه الله ، وأفرد له كتاباً من « الإحياء » ، كتاب ( آداب الكسب والمعاش )[٢] .

وذكر سيدنا وشيخنا الناظم في كتابه « النصائح » لُبَاب ما يحتاج إليه أهل الوقت ، وما يغلب وقوعه لهم . . فانظره ثَمَّ[٣] .

وسننقل عنه وعن غيره في هـٰذا التعليق جملة صالحة من آداب الكسب إن شاء الله تعالىٰ .

وقد ورد في فضل الكسب من الحلال أخبار وآثار .

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ : ( عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الحلال ، والنفقة على العيال ) .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ : ( من طعن في الحركة . . فقد طعن في السُّنَّة ، ومن طعن في التوكل . . فقد طعن في الإيمان ) .

وقال أيضاً : ( التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم ، والكسب سنته ، فمن عجز عن حاله . . فلا يتركن سنته ) .

وقال الخواص : ( ما دامت الأسباب في النفس . . فالتسبب أولىٰ ؛ لأن القعود عن المكاسب لا يصلح إلا لمن استغنىٰ عن التكلف ) .

وجاء عنه أيضاً : ( إذا عرَّج المريد على الأسباب بعد ثلاثة أيام . . فالعمل في المكاسب ودخول السوق أولىٰ به ) .

---

(١) « اللمع » ( ٢٦٠ ) .
(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ٦٠ ) .
(٣) « النصائح الدينية » ( ٣٢٨ ) وما بعدها .

وقال أبو تراب رحمه الله : ( رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد ، فقلت : إن لم يكن معه يقين . . فقد هلك ، فقلت : يا غلام ؛ في مثل هٰذا الموضع بلا زاد!! فقال : هل ترىٰ غير الله ؟! فقلت : الآن اذهب حيث شئت ) .

يعني أنه عرف يقين الغلام ، فلم يخش عليه الهلاك بالتجريد ؛ لمكان يقينه .

والرؤية لله تعالىٰ هنا رؤية قلبه باليقين والعلم .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله : ( لقيت غلاماً في التيه[1] ، كأنه سبيكة فضة ، فقلت : إلىٰ أين يا غلام ؟ فقال : إلىٰ ( مكة ) فقلت : بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة ؟! فقال لي : يا ضعيف اليقين ؛ الذي يقدر علىٰ حفظ السماوات والأرض ، لا يقدر أن يوصلني إلىٰ ( مكة ) بلا علاقة ؟ قال : فلما دخلت ( مكة ) . . فإذا أنا به في الطواف وهو يقول :

يا نفس سيحي أبدا    يا نفس موتي كمدا

ولا تحبي أحدا    إلا الجليل الصمدا

فلما رآني . . قال لي : يا شيخ ؛ أنت بعد علىٰ ذلك الضعف من اليقين ) اهـ

وروي : أن عمر رضي الله عنه رأىٰ ثلاثة نفر يتعبدون في المسجد ، فقال لأحدهم : من أين تأكل ؟ فقال من عند الله ، يوجه إلي رزقي من أي جهة شاء . . فتركه .

وقال للآخر : من أين تأكل ؟ فقال : من عند أخ لي . . فقال : أخوك أَعبَدُ منك .

---

(١) التيه : الصحراء .

وقال للثالث : من أين تأكل ؟ قال : إن الناس يروني في المسجد ، فيأتوني بما آكله . . فعلاه بالدِّرَّة .

وقال ذو النون : ( إذا طلب العارف المعاش . . فهو لا ش ) .

وقال بعضهم : ( إن طلبتُ الرزق قبل وقته . . لم أجده ، وإن طلبته بعد وقته . . لم أجده ، وإن طلبته في وقته . . فقد كُفِيته ) .

وقال ذو النون : ( ثلاثة من أعلام اليقين : قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك المدح لهم في العطية ، والتنزه عن ذمهم عند المنع . وثلاثة من أعلام يقين اليقين : النظر إلى الله تعالىٰ في كل شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال ) .

وقال سهل بن عبد الله : ( حرام علىٰ قلب أن يشم رائحة اليقين ، وفيه سكون إلىٰ غير الله تعالىٰ ) .

وقال أبو عثمان الحِيري : ( اليقين قلة الاهتمام لغد ) اهـ

واعلم أن اليقين هو الرأس للدين ، والأصل والأساس ، وهو الرابطة لجميع الخيرات والسعادات ، وهو شجرة ، أغصانها جميع الأخلاق المحمودات .

ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليقين : الإيمان كله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أقل ما أوتيتم : اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أُعطي حظه منهما . . لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ما من آدمي إلا وله ذنوب ، ولـٰكن من كانت غريزته العقل ، وسجيته اليقين . . لم تضره الذنوب ؛ لأنه كلما أذنب . . تاب واستغفر وندم » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تعلموا اليقين » ـ يعني : جالسوا الموقنين ـ واسمعوا منهم علم اليقين ، وواظبوا على الاقتداء بهم .

وقال لقمان عليه السلام : ( يا بني ؛ لا يستطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المؤمن إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عالم حتىٰ ينقص يقينه ) .

وقال السراج في كتابه « اللمع » : ( اليقين أصل جميع الأحوال ، وإليه تنتهي جميع الأحوال ، وهو آخر الأحوال ، وباطن جميع الأحوال .

وجميع الأحوال ظواهر اليقين .

فبداية اليقين : تحقيق التصديق بالغيب ؛ بإزالة كل شك وريب .

ونهاية اليقين : الاستبشار وحلاوة المناجاة . . ) إلىٰ آخر ما قال[1] .

وأما آداب أهل الكسب . . فلنذكر ما قاله سيدنا الناظم في كتابه « النصائح » مع بعض تصرف ، قال نفع الله به : وعليكم بالاكتساب من الحلال ؛ فإنه مأمور به ، وفيه فضل وثواب مهما صحت النية .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أطيب ما أكل الرجل من كسب يمينه » . . فلينو المكتسب باكتسابه صيانة دينه ، وصيانة وجهه عن الحاجة إلى الناس ، ولينو كفاية نفسه وعياله ، ولينو التصدق بما فضل عن حاجته على المحتاجين . . فيكون عاملاً بذلك للآخرة .

وليحذر كل الحذر من أن يشتغل بالكسب عن فرائض الله تعالىٰ ، أو يقع بسببه في محارم الله ؛ كتضييع الصلاة . . فيخسر بذلك في دنياه وأخراه ، وذلك هو الخسران المبين .

فإن كنت ممن يكتسب بصناعة أو حرفة . . فعليك بالنصح فيها

---

(١) « اللمع » ( ١٠٣ـ١٠٤ ) .

للمسلمين ، وبالإحسان والإتقان لصناعتك وحرفتك ، وإياك والكذب والغش ، ومن غد وبعد غد .

واحذر كل الحذر من التساهل في ترك إتقان الحرفة لمن لا يعرفها . . فتغره لقلة معرفته .

وقد ورد : « ويل للتاجر من لا والله ، وبلىٰ والله ، وويل للمحترف من غد وبعد غد » .

وإن كنت ممن يكتسب بالتجارة والبيع والشراء . . فعليك في جميع معاملتك باجتناب المعاملة الفاسدة ، والبيوع المحرمة والمكروهة .

ولا بد لك من تعلُّم ذلك والتفقه فيه ، ولا رخصة لك في ترك العلم بما يحل وما يحرم وما يكره وما يستحب .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( لا يبع في سوقنا ، ولا يشترِ . . من لم يتفقه ؛ فإن من لم يتفقه . . أكل الربا وهو لا يعلم ) اهـ بمعناه .

وعليك بالمسامحة وترك المشاحة ؛ فإنه أكثر للبركة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترىٰ ، سمحاً إذا قضىٰ ، سمحاً إذا اقتضىٰ »[1]

ولا تبع ، ولا تشترِ . . إلا بإيجاب وقبول ؛ فإن المعاطاة بدون لفظ لا تكفي في انعقاد البيع ، وقد أجازها بعضهم في المحقَّرات .

وعليك باجتناب الكذب رأساً ؛ كقولك : أخذته بكذا ، وأعطيت عليه كذا ، أو لا أبيع إلا بكذا ؛ فإنك بذلك تخسر من حيث ترجو الفائدة .

واحذر من الحلف واليمين ؛ ففي الحديث : « إن الله تعالىٰ يبغض البياع الحلاف »[2] .

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري ( ١٩٧٠ ) ، وابن حبان ( ٤٩٠٣ ) .

(٢) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٥٥٨ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اليمين منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة والكسب »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً ، إلا من اتقىٰ وبر وصدق »[2] .

واحذر كل الحذر من الغش والخداع ، والتلبيس وكتمان عيوب المبيع ؛ فإن ذلك شديد التحريم ، وقد يفسد به البيع من أصله . . فيجب تبيين العيب علىٰ من عرفه ، من البائع وغيره ؛ إذ هو من النصح الواجب للمسلمين .

ويحرم إدخال الدرهم الزائف بين الدراهم الجيدة لأجل التلبيس .

وكذا خلط جيد المتاع برديئه ، وبيعهما علىٰ حدة واحدة ؛ تلبيساً وخداعاً ، وهـٰذا عام على المسلمين .

وليحترز من أخذ الزائف والرديء ؛ لئلا يروجه علىٰ أحد من إخوانه المسلمين ، فيستوجب المقت من الله تعالىٰ .

وإن بلي بشيء من ذلك . . فليحذر من بيعه وترويجه ، ولو إلىٰ من يعرفه إن ظن أنه يروجه علىٰ آخر .

وليتق التاجر ربه في كل شيء ، ولا سيما في المكيال والميزان ؛ فإن الخطر فيهما عظيم .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين : ١ـ٥] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للتجار : « إنكم وليتم أمراً هلكت فيه

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري ( ١٩٨١ ) ، ومسلم ١٣١ ( ١٦٠٦ ) .

(٢) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤٩١٠ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ٨/٢ ) .

الأمم السالفة : المكيال والميزان . . »[1] الحديث .

فلا بد للتاجر من العدل ، وهو أن يأخذ ويعطي على حد سواء ، ويحترز ويحتاط ويتورع ، وإن أرجح قليلاً إذا أعطىٰ ونقص قليلاً إذا أخذ . . كان ذلك فضيلة ، كان يفعل ذلك بعض السلف ، ويقول : لا أشتري الويل بحبة ؛ يعني : الويل المذكور في الآية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين : ١] .

ومن الفضائل في حق التاجر : إقالة النادم[2] ، والتيسير على المعسر ، والتجاوز عن الموسر[3] ، وإقراض المستقرض وقضاء حاجة المحتاج .

قال عليه الصلاة والسلام : « من أقال نادماً بيعته . . أقال الله عثرته يوم القيامة »[4] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كل قرض صدقة »[5] .

وليحذر كل الحذر من البيع على بيع أخيه ، والشراء على شراء أخيه .

وليحذر من النَّجْش ، وهو : أن يزيد في ثمن السلعة ليغر غيره بها .

وليحذر من احتكار الطعام ؛ فكل ذلك من المحرمات الشديدة .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من احتكر طعاماً أربعين ليلة . . فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه »[6] .

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٣٦/٢ ) ، والبيهقي في « الكبرى » ( ٣٢/٦ ) .

(٢) **الإقالة** : الموافقة علىٰ نقض البيع وإعادة المبلغ للمشتري والسلعة للبائع .

(٣) يتجاوز عن الموسر ليعلمه إخراج الدنيا من قلبه . والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٠٢٩ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ٥٢/٢ ) .

(٥) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ١٧/٤ ) .

(٦) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١٤/٢ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام: « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون »[1].

ومعنى الاحتكار : شراء الطعام وقت الغلاء والحاجة إليه وادخاره ؛ للبيع بأغلىٰ مما أخذه .

وليحذر كل الحذر من معاملة الربا ؛ فإن إثمه عظيم ، وهو من الكبائر ، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ، وعده من السبع الموبقات ، وقال : « إن أيسر الربا .. مثل أن ينكح الرجل أمه »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أربعة حق على الله تعالىٰ أن لا يدخلهم الجنة ، ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه »[3] اهـ[4]

والحيلة في الربا : من الربا ، لا تغني عن صاحبها في الآخرة وبين يدي الله تعالىٰ جبار الجبابرة وأحكم الحاكمين شيئاً .

وأما بيع النسيئة .. فهو جائز .

وليحذر كل الحذر من اليمين الفاجرة . ليأخذ بها مال مسلم ؛ فإن ذلك من كبائر الذنوب .

فالله يعيذنا من جميع ذلك بمنه وكرمه .

* * *

---

(١) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » ( ٦/ ٣٠ ) .
(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٤٣ ) .
(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٤٣ ) .
(٤) « النصائح الدينية » ( ٣٣٤ ) .

وأما قوله نفع الله به ورضي عنه آمين :

| | |
|---|---|
| [٢٤] وَٱتْلُ ٱلْقُرَانَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَجِلٍ | عَلَى ٱلدَّوَامِ وَلاَ تَـذْهَـلْ وَلاَ تَغِبِ |
| [٢٥] فَإِنَّ فِيهِ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْعِلْمَ فِيهِ مَعاً | وَٱلنُّورَ وَٱلْفَتْحَ أَعْنِي ٱلْكَشْفَ لِلْحُجُبِ |

يعني : واقرأ القرآن المنزل مع الحضور والخوف والتعظيم ، ولازم على ذلك من غير نسيان ولا ترك ولا غَيْبَة ؛ فإن فيه الرشد والدلالة ، والضياء ورفع الأستار والحجب عن القلب .

فـ( التلاوة ) : هي القراءة ، يقال : تلوته تلاوة ؛ أي : قرأته .

و( القران ) : التنزيل المعروف ، وهو هنا بلا همز للضرورة ، بل قراءة ابن كثير بلا همز ، وبه قال الشافعي وجماعة ؛ لأنه اسم علم غير مشتق عندهم ، خاص بكلام الله تعالىٰ .

وقال آخرون : إنه مهموز .

وهو عند أهل أصول الفقه : اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، المعجِز بسُوَره ، المتعَبَّد بتلاوته ، وهو المراد هنا .

وعند أهل أصول الدين : اسم لمدلول ذلك ، وهو المعنى النفسي القائم بذاته .

وهو في الشرع واللسان : اسم بالاشتراك لما اصطلح عليه الفريقان ؛ أصحاب أصول الدين وأصول الفقه .

فإذا وصف بالعربية والفصاحة والبلاغة ، ونسبت له الآيات والحروف . . كان ذلك قرينة على إرادة ما اصطلح عليه أهل أصول الفقه .

وأما المعنى القديم . . فلا يوصف بالحروف ولا بالأصوات ؛ لحدوثها .

والقرآن ـ أيضاً ـ : مصدر ؛ كالقراءة .

ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] ؛ أي : قراءته .

قال بعضهم : ( إن الله تعالىٰ سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً ) .

واختلف العلماء في عدد حروفه ؛ فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنها ألف ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفاً وست مئة حرف وواحد وسبعون حرفاً .

واختلفوا في عدد آياته ، ورجح بعضهم : أنها ستة آلاف وست مئة وست وستون ، منها : ألف أمر ، وألف نهي ، وألف وعد ، وألف وعيد ، وألف قصص وأخبار ، وألف عبر وأمثال ، وخمس مئة تبيين الحلال والحرام ، ومئة تبيين الناسخ والمنسوخ ، وست وستون دعاء واستغفار وأذكار .

و( **القلب** ) : الفؤاد والعقل ، وهو ما يُدرَك به العلم من الإنسان ، وهو جوهر روحاني ، يتوسط بين الروح والنفس . فالروح باطنة ، والنفس الحيوانية ظاهرة ومركبة ، وقد مضى الكلام عليه .

و( **الحاضر** ) : ضد الغائب .

يقال : حضر حضوراً ، ضد غاب .

و( **الوجِل** ) : الخائف ، وبفتح الجيم : الخوف .

يقال : وجِل ـ بكسر الجيم ـ ياجَلُ ويوجَلُ . . إذا خاف .

و( **الذهول** ) : ترك الحضور ، أو نسيانه .

يقال ذهَل ـ بفتح الهاء ـ يذهل ذهْلاً وذهولاً . . إذا تركه عمداً ، أو نسيه .

و( **الغيبة** ) : ضد الحضور .

و( الهدىٰ ) : هو الرشاد والدلالة ، يقال : هَدَاهُ هُدىً وهَدْياً وهِداية وهِدْيَة ؛ أي : أرشده. . فهُدِيَ واهتدىٰ .

والهَدْي والهَدْية : الطريقة والسيرة ، وقد يكون الهدىٰ لازماً بمعنى الابتداء ، وهو : وجدان الطريق ، ويقابله الضلال .

ومعنى الهادي في الأسماء الحسنىٰ : المرشد للخلق .

تارة بالأمر والبيان ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت : ١٧] ؛ أي : بينا لهم طريق الهدىٰ .

وتارة يرشد خلقه بخلق القدرة على الإيمان ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾ [الأعراف : ١٧٨] ، وهـٰذا هو الجاري في الاستعمال غالباً .

ومن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم : هُدىً بضم ففتح .

قال حجة الإسلام رحمه الله في « المقصد الأسنىٰ » : ( الهادي هو الذي هدىٰ خواص عباده أولاً إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا على الأشياء به تعالىٰ .

وهدىٰ عوام عباده إلى دلائل المخلوقات حتى استشهدوا بها على ذاته .

وهدىٰ كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في قضاء حوائجه ) اهـ[١٢٢] .

وقد أطال الكلام على هـٰذا المعنىٰ في كتاب ( المحبة ) في « الإحياء » .

وكذا ذكره ابن عطاء في « الحكم » أعني الاستدلال بالمؤثر على الأثر وعكسه ، وطريق السالك الثاني ، وطريق المجذوب الأول[١] .

---

(١) « الحكم العطائية » ( ٢٣٧ ) الحكمة رقم ( ٢٥٠ ) . ونصُّها : دل بوجود آثاره علىٰ وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه علىٰ ثبوت أوصافه ، وبثبوت أوصافه علىٰ وجود ذاته ؛ إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه. . فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال =

﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ ﴾ الأول ﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] الثاني ، وهو السالك .

وإلى الأول : الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

فالأول : صاحب مشاهدة ، وهي درجة الصديقين .

والثاني : صاحب استدلال ، وهو درجة العلماء الراسخين .

وليس بعد هـٰذا إلا درجة الغافلين المحجوبين .

وقال حجة الإسلام أيضاً في « ميزان العمل » : ( للهداية ثلاث منازل :

**الأولىٰ** : تعريف طريق الخير والشر ، المشار إليه بقوله تعالىٰ : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ١٠] ، وقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت : ١٧] .

**والثانية** : ما يُمَدُّ به العبد حالاً بعد حال ، بحسب ترقيه في العلوم والصلاح ، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] .

**والثالثة** : هو النور الذي يشرق في عالم الولاية ، وإياه عنىٰ بقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

---

= ذاته ، ثم يردهم إلىٰ شهود صفاته ، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ، ثم يردهم إلىٰ شهود آثاره ، والسالكون علىٰ عكس هـٰذا ، فنهاية السالكين بداية المجذوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين ، لـٰكن لا بمعنىً واحد. . فربما التقيا في الطريق ، هـٰذا في ترقيه ، وهـٰذا في تدليه .

وبقوله تعالىٰ : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ . . . إلى آخره [الأنعام : ١٢٢] .

وبقوله تعالىٰ : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [الزمر : ٢٢] اهـ بتصرف فيه [٧٤ـ٧٥] .

و( العلم ) : هو المعرفة بالشيء .

يقال : عَلِم علماً . . إذا عرف . ورجل عالم وعليم ، وجمعه علماء ، ويقال : علم به ؛ أي : شعر ، وقد تقدم الكلام على العلم أول الشرح .

واعلم أن علوم الأنبياء والأولياء تأتي من داخل القلب من عالم الملكوت ، وعلوم الحكماء والعلماء تأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك ، وكِلاَ عِلْم الفريقين وسيلة إلى القرب من الله تعالىٰ .

وتفاوت درجات الجنان بحسب تفاوت القلوب والمعارف والعلوم . قاله حجة الإسلام .

و( النور ) : الضياء ، وما تتبين به الأشياء . والنور والهدىٰ والعلم : متقاربة .

و( الفتح ) : ضد الغلق ، ويطلق على النصر والحُكم .

والمِفتح والمِفتاح آلة الفتح ، والفتَّاح : الحاكم . وفاتحة الشيء : أوله . وفواتح القرآن : أول السور .

ومعنى اسم الله الفتاح كما في « المقصد الأسنىٰ » لحجة الإسلام الغزالي : ( هو الذي بعنايته ينفتح كل مغلق ، وبهدايته ينفتح كل مشكل ، قال تعالىٰ : ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح : ١] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٍ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر : ٢] .

ومن بيده مفاتح الغيب ومفاتح الرزق . . فبالحري أن يكون فتاحاً ) اهـ [٦٨] .

وقال القاشاني في « اصطلاحات الصوفية » : ( الفتوح كل ما يفتح على العبد من الله تعالىٰ بعد ما كان منغلقاً عليه من النعم الظاهرة والباطنة ؛ كالأرزاق والعبادة والعلوم والمعارف والمكاشفات ، وغير ذلك .

والفتح القريب المشار إليه بقوله تعالىٰ : ﴿ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف : ١٣] هو ما يفتح على العبد من مقام القلب وكمالاته عند قطع منازل النفس .

والفتح المبين المشار إليه بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وكليات الأسماء الإلـٰهية المعينة لصفات القلب وكمالاته .

والفتح المطلق هو أعلى الفتوحات وأكملها ، وهو ما يفتح على العبد من تجلي الذات الأحدية ، والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية كلها ، وهو المشار إليه بقوله تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر : ١] ) اهـ كلامه[1] .

و( **الكشف** ) : هو الإظهار والرفع .

ويقال : استكشف عن كذا ؛ أي : سأل عنه . . فالكشف بيان ما يستر الفهم .

و( **الحجب** ) ـ جمع حجاب ـ وهو : ما يحتجب به ، وما حال بين شيئين .

ويقال : حجبه حَجْباً وحجاباً ؛ أي : ستره .

قال حجة الإسلام : ( علم المكاشفة هو العلم الباطن ، وهو الغاية من العلوم ، والمقصود منها ، ويختص به الصديقون والمقربون ، وهو حرام

---

(١) « اصطلاحات الصوفية » ( ١٥٢ـ١٥٣ ) .

ممنوع على القلوب المحبة للدنيا ، المحجوبة بالهوىٰ وبالكبر والدعوىٰ ، وبالبدعة والأهواء .

قال بعض العارفين : أخاف على من لم يكن له نصيب منه سوءَ الخاتمة .

وأقل النصيب منه : التصديق به ، وتسليمه لأهله ، وهو نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من الصفات المذمومة ، يحصل بذلك النور معرفة الله تعالىٰ بذاته وصفاته وأفعاله ، ومعنى النبوة[1] والنبي والوحي والملائكة والشياطين وملكوت السماوات والأرض ، ومعرفة البرزخ والآخرة والقبر والصراط والميزان والحساب والجنة والنار ، ومعرفة لقاء الله تعالىٰ والنظر إلى وجهه الكريم والقرب منه تعالىٰ والنزول بجواره سبحانه وتعالىٰ وغير ذلك ) اهـ

وجميع هٰذه الأشياء في القرآن ، وأنزله الله تعالىٰ على رسوله صلى الله عليه وسلم شفاء وهدىً ورحمة ، ونوراً للعالمين ، وبصائر للناس وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون ، وبياناً للناس وهدىً وموعظة للمتقين .

وفي حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « فعليكم بكتاب الله تعالىٰ ؛ فإن فيه بيان ما كان قبلكم ، وبيان ما يأتي بعدكم ، وحكم ما بينكم ، من خالفه من الجبابرة . . قصمه الله تعالىٰ ، ومن ابتغى العلم في غيره . . أضله الله تعالىٰ ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وشفاؤه النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يعوَجُّ فيقام ، ولا يزيغ فيستقيم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا تخلقه كثرة الرد »[2] .

---

(١) كذا في « الأصول » ، ولعلها : ( ومعرفة النبوة ) . والله أعلم .
(٢) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٢٩٠٦ ) .

وقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه : ( لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب ) .

وقال بعضهم : ( لكل آية من القرآن ستون ألف فهم ، وما بقي من فهمها أكثر ) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ( من أراد علم الأولين والآخرين.. فليثوِّر[1] القرآن تثويراً ) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن هـٰذا القرآن مأدبة الله تعالىٰ ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هـٰذا القرآن حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، فاتلوه ؛ فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إنِّي لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف ، ولـٰكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[2] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »[3] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ؛ لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله تعالىٰ.. خير لك من أن تصلي مئة ركعة... »[4] الحديث .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ القرآن.. فقد استدرج النبوة بين

---

(١) **يثوِّر القرآن** : يفكر في معانيه ، وينقِّر عنه .
(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٤١ ) .
(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٤٣ ) .
(٤) أخرجه ابن ماجه ( ٢١٩ ) .

جنبيه ، غير أنه لا يوحىٰ إليه . . . »[1] الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم . . إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « يقول الله تبارك وتعالىٰ : من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي . . أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام . . كفضل الله على خلقه »[4] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من استمع إلى آية من كتاب الله . . كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها . . كانت له نوراً يوم القيامة »[5] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن ثم رأىٰ أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي . . فقد استصغر ما عظمه الله تعالىٰ » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ( لا يسأل أحدكم عن نفسه . . إلا القرآن ؛ فإن كان يحب القرآن ويعجبه . . فهو يحب الله ورسوله ، وإن كان يبغض القرآن . . فهو يبغض الله ورسوله ) .

وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : ( حامل القرآن حامل راية الإسلام ، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ؛ تعظيماً لحق القرآن ) .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٣٨ ) .

(٢) أخرجه البخاري ( ٤٧٣٨ ) .

(٣) أخرجه بنحوه مسلم ٣٨ ( ٢٦٩٩ ) ، وابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٧٦٨ ) .

(٤) أخرجه الترمذي ( ٢٩٢٦ ) .

(٥) أخرجه أحمد ( ٢/ ٣٤١ ) .

وقال أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالىٰ : ( رأيت الله تعالىٰ في المنام ، فقلت يا رب ؛ ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ قال : بكلامي يا أحمد ، قال : قلت : يا رب ؛ بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم ) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ( من قرأ القرآنَ وهو قائم في الصلاة . . فله بكل حرف مئة حسنة ، ومن قرأه وهو جالس في الصلاة . . فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه في غير الصلاة وهو على وضوء . . فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء . . فعشر حسنات )اهـ[1]

فليغتنم القارىء فضيلة الأدب مع القرآن ؛ ليكثُر ثوابه وحسناته .

وليكن متأدباً حال القراءة بأن يكون على أكمل الأحوال ؛ من الطهارة ، واستقبال القبلة ، وسكون الجوارح ، وقلة الالتفات ، مع جمع الهم ، وترك تفريق النظر ، وأن يكون نظيف البدن والثياب والمكان ، طيب الرائحة ، فإن قرأ على غير مثل هـٰذه الحالة . . فله ثواب جزيل ، لـٰكنه دون ثواب المتأدب ، وكلما زاد الأدب . . زاد الثواب .

ومنه ـ أي الأدب ـ : الترتيل كما أمر الله تعالىٰ به .

قال تعالىٰ : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٤] .

ولأنه أقرب إلى تعظيم القرآن ، ويعين على الحضور .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ( لأَن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتفهمهما . . أحب إلي من قراءة القرآن كله هذرمة ) .

وينبغي إذا مر بآية سجدة أن يسجد ، وكذا إذا سمعها من غيره ،

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ١/ ٢٧٥ ) .

ولا يصح السجود إلا بطهارة عن الحدث والنجس .

وفي القرآن أربع عشرة سجدة ، ليس منها سجدة ﴿ص﴾[1] .

وينبغي إذا مر بآية تسبيح أن يسبح ، أو استغفار أن يستغفر ، أو دعاء أن يدعو ؛ فقد جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وإن مر بآية رجاء . . سأل ، أو بآية خوف استعاذ .

ويقول في ابتداء القراءة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ لما في آية ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل : ٩٨] .

وينبغي للقارىء أن يحسن القراءة من غير تمطيط مُفْرِط ، ولا تَشَبُّه بالغناء وإنشاد الشعر .

---

(١) وهي عند الإمام الشافعي في الجديد في المواضع التالية :

﴿ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف : ٢٠٦] .

﴿ وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ۩﴾ [الرعد : ١٥] .

﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ [النحل : ٥٠] .

﴿ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩﴾ [الإسراء : ١٠٩] .

﴿ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم : ٥٨] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج : ١٨] .

﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج : ٧٧] .

﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ [الفرقان : ٦٠] .

﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ [النمل : ٢٦] .

﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ [السجدة : ١٥] .

﴿ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ [فصلت : ٣٨] .

﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ۩﴾ [النجم : ٦٢] .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الانشقاق : ٢١] .

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ [العلق : ١٩] .

قال صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم »[1] .

وفي رواية : « زينوا أصواتكم بالقرآن »[2] .

وليحذر من الرياء والتصنع للناس . . فيحبط عمله ؛ فإن من أهم الآداب وآكدها وأوجبها . . أن يكون التالي مخلصاً لله تعالىٰ في تلاوته ، ومريداً بها وجه الله ، والفوز بثوابه ، والتقرب إليه تعالىٰ .

وينبغي النظر في المصحف والقراءة فيه ؛ فقد كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرؤون في المصحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف .

ثم اعلم أن المقصود من القراءة حضور القلب مع الله تعالىٰ ، والخشوع له ، والفهم عنه ، والتدبر لمعاني كلامه ، والتأثر بذلك .

وهٰذه هي آداب القراءة الباطنة ، كما أشار إلى ذلك سيدنا الناظم بقوله :

واتل القران بقلب حاضر وجل ... على الدوام ولا تذهل ولا تغب

وأشار إليها في قصيدته الرائية الصغيرة بقوله : [في « ديوانه » ٢٠٩] :

تدبر معانيه ورتله خاشعا ... تفوز من الأسرار بالكنز والذخر

وكن راهباً عند الوعيد وراغباً ... إذا ما تلوت الوعد في غاية البشر

بعيداً عن المنهي مجتنباً له ... حريصاً على المأمور في العسر واليسر

فالحضور ، والخشية ، والتعظيم ، والوجل ، والتدبر ، والتفهم ،

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٧٤٩ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٦١ ) .

(٢) ذكر هٰذه الرواية الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٦٤ ) .

والتأثر.. هو المقصود والمطلوب من قراءة القرآن ، فليجتهد العبد في ذلك .

وإنما تلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب .

فحظ اللسان : تصحيح الحروف وإقامة اللفظ بالترتيل .

وحظ العقل : تفهم المعنىٰ .

وحظ القلب : الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار .

فاللسان واعظ ، والعقل مترجم ، والقلب متعظ ، والجوارح متبعة للقلب والتعظيم والوجل والهيبة؛ « لو خشع قلبه.. لخشعت جوارحه »[1] .

قال الله تعالىٰ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص : ٢٩] .

وقال سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد : ٢٤] .

قال أبو نصر السراج : ( أقفال القلوب ما وقع عليها من الصدأ بكثرة الذنوب، واتباع الهوىٰ، ومحبة الدنيا، وطول الغفلة ، وشدة الحرص) اهـ[2]

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴾ [الإسراء : ١٠٧ـ١٠٩] .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الكبرى » ( ٢/ ٢٨٥ ) .

(٢) « اللمع » ( ١٤٧ ) .

وكان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه إذا نشر المصحف.. غشي عليه، ويقول: هو كلام ربي، هو كلام ربي.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ( لا خير في قراءة لا تدبر فيها ).

وقال بعضهم: ( كل آية لا أتفهمها، ولا يكون قلبي فيها.. لا أعد لها ثواباً ).

وقال آخر: ( هٰذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل، بعهود نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها [في الطاعات والسنن المتبعات] ).

وكلما كان العبد أوسع علماً بالله تعالىٰ.. كان أكثر تدبراً.

فمن هنا اتسع المجال للعارفين في تدبر القرآن وفهمه؛ فقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة يكرر: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾.. الآية [المائدة: ١١٨].

وكان عمر رضي الله عنه يقرأ الآية في قيامه من الليل فيتدبرها، حتىٰ ربما سقط من قيامه من شدة الخشية والخشوع، وربما يمرض بسبب ذلك حتىٰ يُعاد.

وقام تميم الداري بهٰذه الآية يرددها إلى الصباح: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾.. الآية [الجاثية: ٢١]. وفي بعض الألفاظ: قام ليلة حتىٰ أصبح بآية من القرآن، فيركع ويسجد.

وقام سعيد بن جبير رحمه الله تعالىٰ بقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩] يرددها.

وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول : ( ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ؟ ) .

وقال قتادة رحمه الله تعالىٰ : ( لم يجالس أحد هـٰذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان ) .

قال الله تعالىٰ : ﴿ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] .

وقال وهيب بن الورد رحمه الله تعالىٰ : ( نظرنا في هـٰذه الأحاديث والمواعظ . . فلم نجد شيئاً أرد للقلوب ، ولا أشد اجتلاباً للحزن : من قراءة القرآن ، وتفهمه ، وتدبره ) .

وقال الحسن : ( والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هـٰذا القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه ، وكثر بكاؤه ، وقل ضحكه ، وكثر نَصَبُه وشغله ، وقلت راحته وبطالته )اهـ[1]

ولذلك قيل : من لم يتصف بأخلاق القرآن إذا قرأ القرآن . . ناداه الله تبارك وتعالىٰ : ما لك ولكلامي وأنت معرض عني ؟! دع عنك كلامي إن لم تتب إلي .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال : ٢] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتلوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا . . فتباكَوا »[2] .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ١/ ٢٨٥ ) .

(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ( ٢/ ٢٠٨ ) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ( فإن لم تبك عين أحدكم . . فليبك قلبه )اهـ[1]

وبكاء القلب : حزنه وخشيته .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن القرآن أنزل محزناً ، فإذا قرأتموه . . فتحازنوا »[2] .

وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالىٰ إذا قرأ . . استغفر بعد القراءة سبعين مرة ؛ من التقصير فيها .

قال حجة الإسلام : ( من لم يكن له فهم في القرآن ولو أدنىٰ فهم . . دخل في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [محمد : ١٦] .

والطبع من الحُجُب المانعة من الفهم في كلام الله تعالىٰ )[3] .

ومن الحُجُب الكثيفة : الإصرار على الذنوب ، والكبر ، واتباع الشهوات .

قال السراج : ( قال بعضهم : حجب القلوب على أربعة أوجه ؛ فمنها : الختم والطبع لقلوب الكفار ، والرين والقسوة لقلوب المنافقين ، والصدأ والغشاوة لقلوب المؤمنين ) اهـ

و( الرين ) : هو الصدأ ؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب .

وكلما خف على القلب محبة الدنيا وشهواتها . . قَرُب تجلي معاني القرآن فيه وانكشاف حجبه ؛ إذ القلب مثل المرآة ، وهـٰذه الأمور مثل الصدأ

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ١/ ٢٧٧ ) .
(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الكبرىٰ » ( ١٠/ ٢٣١ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ١/ ٢٨٣ـ٢٨٤ ) .

على المرآة ، والطاعات والرياضات : مثل تصقيل المرآة ، ومعاني القرآن : مثل ما يرىٰ في المرآة .

﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر : ١٣] .

﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد : ١٩] .

﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق : ٨] .

**ومن الحجب** : نقصان القلب ؛ كقلب الصبي والغبي .

**ومن الحجب** : شغل القلب بهمٍّ آخر غير حقائق العلم ، وإن كان من الخيرات ؛ كتهيئة أسباب المعيشة .

**ومنها** : عدم التفكر والتذكر ، وعدم معرفة طريق الاعتبار والاستبصار ، إلا أن هاهنا فائدة من الرجاء ، وهي : أن القلب المستعد بالرياضة قد تهب عليه رياح الألطاف الإلـٰهية ، فتكشف عنه الحجب بغير تعمد ولا كسب قاله الحجة[1] .

**ومن الحجب** عن الفهم والكشف : التقليد المحض بغير بصيرة .

**ومنها** : انصراف الهم إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها .

**ولنذكر شيئاً من فضائل السور والآيات** :

**[من فضائل سورة الفاتحة]** :

قال صلى الله عليه وسلم في سورة الفاتحة : إنها أعظم سورة في القرآن ، وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم[2] ، وإنها أنزلت هي وآية

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ١/ ٢٨٤ ) .

(٢) وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ( ٤٢٠٤ ) : عن أبي سعيد بن المعلىٰ قال : كنت أصلي في المسجد ، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ، فقلت يا رسول الله ؛ إني كنت أصلي ، فقال : « ألم يقل الله : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ =

الكرسي وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : ( إن الفاتحة لما قرئت له ) وإنها رقية حق[2] .

## [من فضائل آية الكرسي] :

وورد عنه صلى الله عليه وسلم في آية الكرسي أنها : سيدة آي القرآن[3] ، وأنها أعظم آية[4] ، وأن من قرأها في بيته .. لا يقربه شيطان ولا غيره[5] ، وأنها حرز من الجن .

وأن من قرأها بعد كل صلاة مكتوبة لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا أن

---

= وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] » ثم قال لي : « لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » ، ثم أخذ بيدي ، فلما أراد أن يخرج .. قلت له : ألم تقل : لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال : « ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته » .

(١) وذلك في الحديث الذي أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٨/ ٢٣٥ ) : عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع آيات نزلن من كنز تحت العرش ، لم ينزل منهن شيء غيرهن : أم الكتاب ؛ فإنه يقول : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٤] ، وآية الكرسي ، وسورة البقرة والكوثر » .

(٢) أخرج حديث كون الفاتحة رقية من حديث طويل البخاريُّ ( ٢١٥٦ ) ، ومسلم ٦٥ ( ٢٢٠١ ) .

(٣) أخرج الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٢٨٥ ) : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سورة البقرة فيها آية ، سيدة آي القرآن ، لا تقرأ في بيت وفيه شيطان .. إلا خرج منه ، آية الكرسي » .

(٤) أخرج الطبراني في « الكبير » ( ٩/ ١٣٣ ) : عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن أعظم آية في كتاب الله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ ... إلىٰ آخر الآية .

(٥) تقدم الحديث في ذلك قبل قليل .

يموت[1] ، وأنه في ذمة الله تعالىٰ إلى الصلاة الأخرىٰ[2] ، وأن من قرأها عند النوم . . لم يقربه شيطان حتىٰ يصبح[3] .

**[من فضائل أواخر سورة البقرة] :**

وورد أن من قرأ الآيتين ﴿آمن الرسول﴾ . . . إلى آخر السورة في ليلة . . كفتاه[4] ؛ أي : ما أهمه ، أو : كفتاه من قيام الليل ، أو كفتاه منهما .

وورد : « إن الله تعالىٰ ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنز من تحت العرش ، فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم ؛ فإنهما صلاة وقراءة ودعاء »[5] .

وقال علي رضي الله عنه : ( ما أعلم أحداً يعقل دخل في الإسلام ينام حتىٰ يقرأ بالثلاث الآيات من آخر سورة البقرة ) ؛ يعني : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ . . . إلى آخر السورة .

---

(١) أخرج الطبراني في « الأوسط » ( ٨/ ٩٣ ) : عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة . . لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » .

(٢) أخرج الطبراني في « الكبير » ( ٣/ ٨٣ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة . . كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرىٰ » .

(٣) أخرج البيهقي في « الشعب » ( ٢/ ٤٦٤ ) : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أول النهار . . لم يقربه شيطان حتىٰ يمسي ، وإن قرأها حين يمسي . . لم يقربه شيطان حتىٰ يصبح ، ولا يرىٰ شيئاً يكرهه في أهله وماله ، وإن قرأها علىٰ مجنون أفاق : أربع آيات من أولها ، وآية الكرسي ، واثنتين بعدها ، وثلاث آيات من آخرها .

(٤) أخرج البخاري ( ٣٧٨٦ ) ، ومسلم ( ٨٠٧ ) : عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأهما في ليلة . . كفتاه » .

(٥) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٥٠ ) .

**[من فضائل سورة البقرة] :**

وورد : « اقرؤوا سورة البقرة ؛ فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة »[1] .

وورد إن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يقربه شيطان ثلاثاً ، وإنها سنام القرآن وذروته[2] ، « ونزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً »[3] .

**[من فضائل سورة البقرة وآل عمران] :**

وفي رواية : « تعلموا البقرة وآل عمران ؛ فإنهما الزهراوان ، تُظِلاَّن صاحبهما كأنهما غمامتان . . . »[4] الحديث .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أن : « من قرأ السورة التي يُذكَر فيها آل عمران يوم الجمعة . . صلى الله عليه وملائكته حتىٰ تغيب الشمس »[5] .

**[من فضائل سورة الكهف وبعض آياتها] :**

وورد أن : « من قرأ سورة الكهف كما أنزلت . . كانت له نوراً يوم القيامة ، من مقامه إلى مكة »[6] .

---

(١) أخرجه مسلم ( ٨٠٤/ ٢٥٢ ) ، وابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ١١٦ ) .

(٢) أخرج ابن حبان عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شيء سناماً ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، من قرأها في بيته ليلاً . . لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ، ومن قرأها نهاراً . . لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام » . انظر « الإحسان » ( ٧٨٠ » .

(٣) أخرجه أحمد ( ٥/ ٢٦ ) .

(٤) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٤٧ ) .

(٥) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ١١/ ٤٨ ) .

(٦) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٥٢ ) .

وورد [أن] : « من قرأ في ليلة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف : ١١٠] . . كان له نور من عدن أبين إلى مكة ، حشوه الملائكة »[١] .

وفي رواية : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة . . سطع له نور من تحت قدميه إلى عنان السماء ، يضيء له يوم القيامة ، وغفر له ما بين الجمعتين »[٢] .

وورد أن : من حفظ عشر آيات من أول الكهف ، ثم خرج الدجال . . عصم من فتنته[٣] .

وفي رواية : من آخر سورة الكهف .

وفي رواية : من قرأ العشر الأواخر .

وفي رواية : « من قرأ ثلاث آيات من الكهف . . عصم من فتنة الدجال »[٤] .

**[من فضائل سورة يس] :**

وورد : « يس قلب القرآن ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة . . إلا غفر له »[٥] .

وورد أن : « من قرأها . . كان كمن قرأ القرآن عشر مرات »[٦] .

---

(١) أخرجه البزار ( ١/ ٤٢١ ) .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٣٩٩ ) .

(٣) أخرج البخاري ( ٧٨٥ ) ، ومسلم ( ٨٠٩/ ٢٥٧ ) : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف . . عصم من الدجال » .

(٤) ذكره المناوي في « فيض القدير » ( ٦/ ١٩٩ ) .

(٥) أخرجه أحمد ( ٥/ ٢٦ ) .

(٦) أخرجه الدارمي ( ٢/ ٥٤٨ ) .

[من فضائل سورة الملك] :

وورد عنه صلى الله عليه وسلم في ( تبارك الملك ) : « وددت أنها في قلب كل مؤمن »[1] ، وأنها « شفعت في رجل فغفر له »[2] . وأنها هي المانعة والمنجية من عذاب القبر ، وأن من قرأها كل ليلة . . منعه الله بها من عذاب القبر ، وأن من قرأها في ليلة . . فقد أكثر وأطاب[3] .

[من فضائل سورة الدخان] :

وورد أن : « من قرأ سورة الدخان في ليلة [الجمعة] . . أصبح مغفوراً له »[4] .

وفي رواية : « من قرأها في ليلة . . أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك »[5] وأن « من قرأها في ليلة الجمعة أو يومها . . بنى الله له بيتاً في الجنة »[6] .

[من فضائل سورة الواقعة] :

وورد أن « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة . . لم تصبه فاقة »[7] .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٥٣ ) .
(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٥٣ ) .
(٣) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٥٤٠ ) .
(٤) أخرجه الدارمي ( ٢/ ٥٥٠ ) .
(٥) أخرجه الترمذي ( ٢٨٨٨ ) .
(٦) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٨/ ٣٦٤ ) .
(٧) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٢/ ٤٩٢ ) .

### [من فضائل سورة الزلزلة] :

وورد أن : ( إذا زلزلت ) تعدل نصف القرآن »[1] .

### [من فضائل سورة التكاثر] :

وورد أن : من قرأ سورة ( ألهاكم التكاثر ) . . كان كمن قرأ ألف آية[2] .

### [من فضائل سورة الكافرون] :

وورد أن : سورة ( الكافرون ) تعدل ربع القرآن[3] .

### [من فضائل سورة النصر] :

وورد في سورة ( إذا جاء نصر الله ) أنها : تعدل ربع القرآن[4] .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٥٤ ) .

(٢) أخرج ابن خزيمة في « صحيحه » ( ١/ ٧٥٥ ) : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم؟ » قالوا : ومن يستطيع ذلك؟! قال : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ : ( ألهاكم التكاثر ) » .

(٣) روى الترمذي ( ٢٨٩٤ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٥٤ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ( إذا زلزلت ) تعدل نصف القرآن ، و( قل هو الله أحد ) تعدل ثلث القرآن ، و( قل يا أيها الكافرون ) تعدل ربع القرآن » .

(٤) أخرج الإمام الترمذي ( ٢٨٩٥ ) : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان؟ » ، قال : لا والله يا رسول الله ، ولا عندي ما أتزوج به ، قال : « أليس معك ( قل هو الله أحد )؟ » قال : بلىٰ ، قال : « ثلث القرآن » ، قال : « أليس معك ( إذا جاء نصر الله والفتح )؟ » ، قال : بلىٰ ، قال : ربع القرآن » ، قال : « أليس معك ( قل يا أيها الكافرون )؟ » ، قال : بلىٰ ، قال : « ربع القرآن » ، قال : « أليس معك ( إذا زلزلت الأرض )؟ » ، قال : بلىٰ ، قال : « ربع القرآن » قال : « تزوج ، تزوج » . =

## [من فضائل سورة الإخلاص] :

وورد أن : ( قل هو الله أحد ) تعدل ثلث القرآن[1] ، وأن من قرأها عشر مرات . . بنى الله له قصراً في الجنة[2] ، وأن قراءتها ومحبتها توجب الجنة لصاحبها[3] ، وأن من قرأها كل يوم مئتي مرة . . محي عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين[4] .

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) أخرج الطبراني في « الكبير » ( ٢٠/ ١٨٣ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ ( قل هو الله أحد ) عشر مرات . . بنى الله له بيتاً في الجنة » ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذاً نستكثر يا رسول الله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكثر وأطيب » .

(٣) أخرج البخاري ( ٧٤١ ) : عن أنس رضي الله عنه قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ، وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به . . افتتح ( قل هو الله أحد ) ، حتىٰ يفرغ منها ، ثم يقرأ سورة أخرىٰ معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة ، فكلمه أصحابه ، فقالوا : إنك تفتتح بهـٰذه السورة ، ثم لا ترىٰ أنها تجزئك حتىٰ تقرأ بأخرىٰ ، فإما أن تقرأ بها ، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرىٰ ، فقال : ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك . . فعلت ، وإن كرهتم . . تركتكم ، وكانوا يرون أنه من أفضلهم ، وكرهوا أن يؤمهم غيره ، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم . . أخبروه الخبر ، فقال : « يا فلان ؛ ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ، وما يحملك علىٰ لزوم هـٰذه السورة في كل ركعة؟ » ، فقال : إني أحبها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « حبك إياها . . أدخلك الجنة » .

(٤) أخرج الترمذي ( ٢٨٩٨ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ كل يوم مئتي مرة ( قل هو الله أحد ) . . محي عنه ذنوب خمسين سنة . . إلا أن يكون عليه دَين » .

[من فضائل المعوذتين] :

وورد في المعوذتين أنهما « خير سورتين قرئتا »[1] ، و« ما تعوذ متعوذ بمثلهما »[2] .

وفي رواية : « يا عقبة ؛ إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله تعالىٰ ، ولا أبلغ عنده . . من أن تقرأ : ( قل أعوذ برب الفلق ) »[3] قال عقبة رضي الله عنه : وسمعته يؤمنا بها في الصلاة .

* * *

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٣٦٦ ) ، وابن خزيمة ( ١/ ٢٦٧ ) .

(٢) أخرجه أبو داوود ( ١٤٦٣ ) .

(٣) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ١٨٤٢ ) .

وقوله نفع الله به :

| [٢٦] وَٱذْكُرْ إِلَـٰهَكَ ذِكْراً لاَ تُفَارِقُهُ فَإِنَّمَا ٱلذِّكْرُ كَٱلسُّلْطَانِ فِي ٱلْقُرَبِ |
|---|

و( **الذكر** ) : يكون بالقلب ، ويكون باللسان ، ويكون بهما جميعاً .

قال الكسائي : الذُّكر القلبي بضم الذال ، و[الذِّكر] اللِّساني بكسر الذال . وقال غيره : هما لغتان .

وقال بعضهم : الذكر القلبي : هو الاستحضار ، وضده النسيان والغفلة ، والذكر اللساني : ضده السكوت والترك . اهـ

وسيأتي قريباً تفسير الحضور بالقلب في الذكر .

قال العلماء : أفضل الذكر ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، ثم ذكر القلب على انفراده ، ثم ذكر اللسان على انفراده .

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالىٰ ونفع الله به : ( الذكر على أربع مراتب :

**[الأولىٰ]** : ذكر اللسان فقط .

**والثانية** : ذكر القلب مع اللسان تكلفاً .

**والثالثة** : ذكر القلب طبعاً وحضوره مع اللسان من غير تكلف .

**والرابعة** : استيلاء المذكور على القلب واستغراقه به ) .

والرتبة الأولىٰ قليلة النفع ، وضعيفة الأثر .

قال شيخنا الناظم نفع الله به بعد نقله ذلك : ( ولا شك أن ذكر اللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة والمنفعة ، ولـٰكنه خير من ترك الذكر رأساً[1]) ؛ أي : لأن نطق اللسان بذكر الله تعالىٰ ولهجه به نعمة من الله

---

(١) قال الإمام ابن عطاء الله السكندري في « حكمه » ( ١١٠ـ١١١ ) : =

تعالىٰ على العبد ، كما قاله بعضهم لتلميذه .

فينبغي لمن أخذ في الذكر بلسانه أن يتكلف إحضار قلبه مع اللسان ، وذلك بأن يجعل صورة الذكر الجاري على اللسان حاضرة في القلب ، وجارية عليه .

مثال ذلك : إذا قال لا إلـٰه إلا الله بلسانه.. يكون كذلك قائلاً لها بقلبه ، ويكون مع قوله لا إلـٰه إلا الله مستحضراً في قلبه معناها ، وهو إفراد الحق بالإلـٰهية .

ثم لا يزال يواظب على ذلك حتىٰ يذوق القلب لذة الذكر ، وتشرق عليه أنواره.. فعند ذلك يحضر بلا تكلف ولا مؤنة ، بل ربما صار إلى حالة لا يمكنه معها الصبر عن الذكر ولا الغفلة عنه .

والحضور في الذكر أهم الآداب وآكدها ؛ فإن الذاكر لا يكاد يصل إلى شيء من فوائد الذكر وثمراته المقصودة.. إلا بالحضور .

والمطلوب من العبد أن لا يزال ذاكراً لله في جميع أحواله ، وعلى دوام أوقاته .

وإلى ذلك أشار سيدنا الناظم بقوله ( ذكراً لا تفارقه ) ، قال في الرائية الصغرىٰ [في « ديوانه » ٢٠٩ـ٢١٠] :

وإن رُمْتَ أن تَحظىٰ بقلب منور ... نقي عن الأغيار فاعكف على الذكر
وثابر عليه في الظلام وفي الضيا ... وفي كل حال باللسان وبالسر

---

= لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسىٰ أن يرفعك مِن ذِكْر مع وجود غفلة إلىٰ ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلىٰ ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور إلىٰ ذكر مع وجود غَيْبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز .

فــإنــك إن لازمتــه بتــوجــه بدا لك نور ليس كالشمس والبدر
ولٰكنــه نــور مــن الله وارد أتىٰ ذكره في سورة النور فاسْتَقْرِ

فليحذر العبد من الغفلة عن ذكر ربه وإلٰهه ؛ فإنها كثيرة الضرر ، وربما تسلط على الغافل الشيطان ، واستولىٰ عليه بسبب غفلته .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة : ١٩] .

وقال سبحانه في وصف المنافقين : ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٤٢] .

وقد وسَّع الله برحمته ومنته الأمر في الذكر بكونه يمكن المداومة عليه في جميع الأوقات والأحوال ؛ لأنه غير مؤقت بوقت ، بل هو مأمور به على الدوام ؛ حتىٰ للمحدث والجنب والمشغول والفارغ ؛ حتىٰ إنه ينبغي على الحال الذي يكره له فيه الذكر باللسان ؛ كالخلاء والجماع : أن لا يغفل عن الذكر بقلبه اهـ(١) بتصرف .

ولا هٰكذا غيره من الأعمال ؛ فإن لها شرائط تتوقف عليها ، وأوقاتاً لا تصح إلا فيها ، ومع خفة المؤنة في الذكر ، وقلة الكلفة فيه .

ومن هنا : صار الذكر كالسلطان في القُرَب(٢) ، ولأن حضور القلب مع الله سبحانه وتعالىٰ دائماً مقدم على سائر العبادات ، بل به شرف سائر العبادات ، وهو غاية ثمرتها ، وأول ذلك ذكر اللسان مع تكلف الحضور مدة طويلة ، حتىٰ يصير التكلف طبعاً ، ثم ينغرس في القلب حب المذكور : الله تعالىٰ ، والأنس به سبحانه وتعالىٰ .

---

(١) « النصائح الدينية » ( ٢٢٦_٢٢٧ ) .
(٢) القُرَب ـ جمعُ قُرْبَة ـ وهي : مايقرب إلى الله تعالىٰ .

وصاحب المحبة لله تعالىٰ والأنس به هو الذي يصير له القبر روضة من رياض الجنة ، ويبقىٰ معه الأنس بذكر الله تعالىٰ والمحبة له سبحانه ؛ إذ كل من عليها فان ، ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام . . فهو حي يتلذذ بذكر الله تعالىٰ بعد موته إلى أن ينزل في جوار ربه تعالىٰ ، ثم يترقىٰ من الذكر إلى اللقاء بعد ما يُبَعثَر ما في القبور ، ويُحَصَّل ما في الصدور .

ومحل معرفة الله سبحانه وتعالىٰ من الإنسان لا يفنىٰ ، وإنما يفنى الجسم والجوارح .

وأما الروح الإنساني . . فليس بفان ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ . . . الآية [آل عمران : ١٦٩ـ١٧٠] .

ثم اعلم أن ذكر الله تعالىٰ ـ كما قال العلماء بالله ـ من أعظم الأوامر ، وأفضل القربات ، وأوصل الوسائل .

وهو ركن كبير قوي ، من أركان طريق الحق تعالىٰ ، بل هو العمدة في هٰذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله تعالىٰ إلا بدوام الذكر .

وهو منشور الولاية ، من وُفِّق له . . فقد أعطي المنشور ، ومن سلب منه . . فقد عُزِل .

وهو سيف المريدين ، به يقاتلون أعداءهم .

وهو المعول عليه في طريق التصوف ، لا يعدل الصوفية به شيئاً بعد إقامة الفرائض واجتناب المحارم .

وبه يأمرون المريد والسالك لطريقهم ، ويأخذون عليه العهد بالمداومة عليه ، والملازمة له ، مع شرائط وآداب لهم في طريقهم ، الذكر لله تعالىٰ أهمها وآكدها .

ثم إن الذكر على أنواع كثيرة :

**منها** : بل هو أشرفها وأفضلها : قول ( لا إلـٰه إلا الله ) ؛ فإنها تجمع معاني الأذكار وثمراتها الباطنة والظاهرة ، وبها يؤمر أهل البداية ، وإليها يرجع أهل النهاية .

**ومن أفضل أنواع الذكر وأجمعها** : قول : ( سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ) .

**ومن أنواع الذكر الفاضلة** : قول : ( سبحان الله وبحمده ) .

**ومن أنواع الذكر الفاضلة** : قول : ( لا حول ولا قوة إلا بالله ) .

**ومن أنواع الذكر الكثيرة الخير والبركة ، العظيمة الفضل والثواب** : الاستغفار والصلاة والسلام على النبي المختار [صلى الله عليه وسلم] .

ويأتي الكلام على فضائل هـٰذه الأنواع ، وفضائل الذكر مطلقاً إن شاء الله تعالىٰ .

وقال الشيخ ابن عطاء الله في كتابه « مفتاح الفلاح » : ( الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق .

وقيل : ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان ، وسواء في ذلك ذكر الله ، أو صفة من صفاته ، أو حكم من أحكامه ، أو فعل من أفعاله ، أو استدلال على شيء من ذلك ، أو دعاء ، أو ذكر رسله ، أو أنبيائه ، أو أوليائه ، أو من انتسب إليه ، أو تقرب إليه تعالىٰ بوجه من الوجوه .

فالمتفقه ذاكر ، والمدرس ذاكر ، والمتفكر ذاكر ، والواعظ ذاكر ، والممتثل ما أمر به الله تعالىٰ ذاكر ، والمنتهي عما نهى الله عنه ذاكر .

والذكر قد يكون باللسان ، ويكون بالجنان ، أو بأعضاء الإنسان .

وذكر اللسان هو ذكر الحروف بلا حضور ، وهو الذكر الظاهر .

وله فضل عظيم ، شهدت بذلك الآيات والأخبار والآثار .

فمنه المقيد بالزمان أو بالمكان ؛ كالذكر في الصلاة ، وعقبها ، والحج ، وقبل النوم ، وبعد اليقظة ، وقبل الأكل ، وبعده ، وعند ركوب الدابة ، وطرفي النهار ، وغير ذلك .

ومنه مطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا وقت ولا حال .

ـ فمنه ما هو ثناء على الله ؛ كـ( سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ) .

ـ ومنه ما هو دعاء ومناجاة ؛ مثل : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . . . الآية [البقرة : ٢٨٦] ، وكذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر المناجاة أشد تأثيراً في قلب المبتدىء .

ـ ومنه ما هو ذكر فيه رعاية ؛ مثل قولك : ( الله معي ) ، ( الله شاهدي ) ، ( الله ناظر إلي ) ، وهو يورث الحضور مع الله تعالىٰ ، وحفظ الأدب معه ، والتحرز من الغفلة .

وكل ذكر له نتيجة وفائدة تخصه ، ويعطي الذاكر ما في قُوَّته .

والذكر مع الاستعداد هو الداعي إلى الفتح .

وحقيقة الذكر كما قال الغزالي هو ( استيلاء المذكور على القلب ) اهـ بتصرف فيه [٤ـ٥] .

وقال بعض المشايخ القدماء : ( المذكور واحد ، والذكر مختلف .

وأصله إجابة الحق من حيث اللوازم ، وذكر الراجين على وعده ، والخائفين على وعيده ، والمتوكلين على ما كشف لهم من كفايته ، والمراقبين على مقدار علمهم باطلاعه عليهم ، والمحبين على قدر تصفح النعماء ) اهـ بتصرف فيه .

وقال الإمام النووي في « الأذكار » ـ أيضاً ـ : ( ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات ، مستقبل القبلة ، متخشعاً متذللاً ، بسكينة ووقار ، مطرقاً رأسه .

ولو ذَكَر على غير هٰذه الأحوال . . جاز .

ويكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً ؛ كالمسجد ، وأن يكون فمه نظيفاً ، ويستاك ، ويغتسل إن كان غير نظيف .

وينبغي أن يكون مقصوده حضور القلب ؛ لأنه المراد من الذكر . . فليحرص على تحصيله ، ويعقل معناها ، وإذا فاته شيء من المؤقت بوقت أو صلاة أو حال من الأحوال . . فينبغي أن يقضيَه .

واعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها ـ واجبة كانت أو مستحبة ـ لا يحسب شيء منها ، ولا يُعتَد به . . حتىٰ يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع ، لا عارض له ) اهـ بتصرف فيه [١٣ـ١٥] .

وكتاب « الأذكار » هٰذا كتاب عظيم ، ومن الأصول الكبار المعتمدة .

قال سيدنا السيد العارف بالله ، القطب عبد الرحمٰن بن محمد السقاف : ( من لم يطالع « الأذكار » ما هو ذَكَر ) اهـ

وكذلك كتاب « مفتاح الفلاح » للشيخ الإمام ابن عطاء الشاذلي ، صاحب « الحكم » ، كتاب جليل ، عظيم النفع والفائدة .

وكذلك كتاب « عدة الحصن الحصين » ، من الكتب العظيمة النافعة الجامعة .

فمن أراد الإحاطة بعلوم الذكر وآدابه ، وثمراته وأوقاته وأحواله . . فليقف على هٰذه الكتب ، وكذلك كتاب ( الأذكار والدعوات ) من « الإحياء » .

وأما فضل الذكر . . فقد ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار ما يطول

ذكره ، ويتعذر حصره . . فلنذكر ما تيسر من ذلك وسهل .

قال الله تعالىٰ : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١-٤٢] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ . . . الآية [آل عمران : ١٩١] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ . . . الآية [النساء : ١٠٣] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ( له وجهان :

**أحدهما** : أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له .

**والوجه الآخر** : أكبر من كل عبادة سواه ) .

إلى غير ذلك من الآيات .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم »[1] .

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » ( ٢/ ٢٥٢ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ذاكر الله في الغافلين . . كالحي بين الأموات » .

وقال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالىٰ : « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرَّكَتْ بي شفتاه »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجىٰ له من عذاب الله . . من ذكر الله » قالوا : يا رسول الله ؛ ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا أن تضرب بسيفك حتىٰ ينقطع ، ثم تضرب به حتىٰ ينقطع ، ثم تضرب به حتىٰ ينقطع »[2] .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالىٰ »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الذكر لله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ، ومن إعطاء المال سحّاً »[4] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والوَرِق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلىٰ ، قال : « ذكر الله »[5] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أكثروا ذكر الله حتىٰ يقولوا مجانين »[6] .

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٨١٥ ) .
(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٣/ ٥ـ٦ ) .
(٣) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٨١٨ ) .
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « المصنف » ( ٢٩٤٥٦ ) . سحّاً : صبّاً .
(٥) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٦٧٣ ) .
(٦) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر «الإحسان» (٨١٧) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سبق المفرِّدون » قالوا : وما المفرِّدون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً »[1] .

وفي رواية قال : « المستهتَرون بذكر الله تعالىٰ ، يضع الذكر عنهم أثقالهم . . فيأتون الله يوم القيامة خفافاً »[2] .

قوله ( المفرِّدون ) : هو بفتح الفاء وكسر الراء .

و( المستَهتَرون ) ـ بفتح المثناتين فوق ـ هم : المولعون بالذكر ، المداومون عليه ، لا يبالون ما يقال فيهم ، وما فعل بهم .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « ما مَنَّ الله تعالىٰ على عبد أفضل من أن يلهمه ذكره »[3] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها ، وآخر يذكر الله تعالىٰ . . كان الذاكر لله أفضل »[4] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « لا يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها »[5] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من لم يكثر ذكر الله . . فقد برىء من الإيمان »[6] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع اليوم مَن أهل الكرم » ، فقيل : ومن أهل الكرم يا رسول الله ؟

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم ( ٤/٢٦٧٦ ) .
(٢) أخرج هذه الرواية الترمذي ( ٣٥٩٦ ) .
(٣) أخرجه البزار في ( ٩/٣٣٦ ) .
(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٦/١١٦ ) .
(٥) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٢٠/٩٣ ) .
(٦) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ١٠/٧٩ ) .

قال : « أهل مجالس الذكر في المساجد »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم اجتمعوا في مجلس ، فتفرقوا ولم يذكروا الله . . إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة »[2] .

وفي حديث آخر : « إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان عليهم حسرة يوم القيامة »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل . . إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله في من عنده »[4] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة . . من قال ( لا إلـه إلا الله ) خالصاً من قلبه »[5] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال : ( لا إلـه إلا الله ) مخلصاً . . دخل الجنة » قيل : وما إخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله عز وجل »[6] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قال : ( لا إلـه إلا الله ) . . نفعته يوماً من دهره ، يصيبه قبل ذلك ما أصابه »[7] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الذكر : ( لا إلـه إلا الله ) ،

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٨١٦ ) .
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في « الزهد » ( ص١٤٩ ) .
(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/٦٦٨ ) .
(٤) أخرجه مسلم ( ٣٩/٢٧٠٠ ) .
(٥) أخرجه الإمام البخاري ( ٩٩ ) ، وأحمد ( ٢/٣٧٣ ) .
(٦) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٢/٥٦ ) .
(٧) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ١/١٠٩ ) .

وأفضل الدعاء ؛ ( الحمد لله ) »[١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه ، فيموت على ذلك . . إلا حرمه الله على النار ، ( لا إلـٰه إلا الله ) »[٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « قال موسىٰ : يا رب ؛ علمني شيئاً أذكرك به ، أدعوك به ، قال : قل : لا إلـٰه إلا الله ، قال : يا رب ؛ كل عبادك يقولون هـٰذا ، قال : قل : لا إلـٰه إلا الله ، قال : إنما أريد شيئاً تخصني به ، قال : يا موسىٰ ؛ لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ، و( لا إلـٰه إلا الله ) في كفة . . مالت بهن لا إلـٰه إلا الله »[٣] .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم [أنه] قال : « إن لله تبارك وتعالىٰ عموداً من نور بين يدي العرش ، فإذا قال العبد : ( لا إلـٰه إلا الله ) . . اهتز ذلك العمود ، فيقول الله تبارك وتعالىٰ : اسكن ، فيقول : كيف أسكن ولم تغفر لقائلها ؟ فيقول : إني قد غفرت له . . فيسكن عند ذلك »[٤] .

وأما قول ( لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ) . . فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها : أن الله تعالىٰ ينظر إلى قائلها ، وتعدل له عتق نسمة ، وأنه لا يسبقها عمل ، ولا تبقىٰ معها سيئة[٥] ، وأنها خير ما قاله عليه الصلاة والسلام ، وخير

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٨٤٦ ) .
(٢) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٢٠٤ ) .
(٣) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٣/ ١٩٢ ) .
(٤) أخرجه بنحوه الديلمي في « الفردوس » ( ١/ ١٨٨ـ١٨٩ ) .
(٥) أخرج الطبراني في « الكبير » ( ٨/ ١١٥ ) : عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : ( لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير ) . . لم يسبقها عمل ، ولم تبق معها سيئة » .

ما قاله النبيون عليهم الصلاة والسلام[1] .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم في ( سبحان الله وبحمده ) . . أنها أحب الكلام إلى الله تعالىٰ[2] .

وأنها : أفضل الكلام[3] .

وأنها : يكتب بها لقائلها مئة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة[4] .

وأنها : أحب إلى الله تعالىٰ من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله[5] .

وأن الله تعالىٰ يحط بها عن قائلها ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر[6] .

---

(١) أخرج عبد الرزاق ( ٤/٣٧٨ ) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : ( لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ) » .

(٢) أخرج ابن حبان عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحب الكلام إلى الله أربع : ( سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر ) » . انظر « الإحسان » ( ١٨١١ ) .

(٣) أخرج ابن خزيمة ( ٢/ ١٨٠ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الكلام أربعة : ( سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر ) » .

(٤) أخرج الطبراني في « الكبير » ( ١٢/٤٣٦ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « . . . ومن قال : ( سبحان الله وبحمده ) . . كتبت له مئة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة . . . » .

(٥) أخرج الطبراني في « الكبير » ( ٧٧٩٥ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من هاله الليل أن يكابده ، أو بخل بالمال أن ينفقه ، أو جبن العدو أن يقاتله . . فليكثر من ( سبحان الله وبحمده ) ؛ فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل » .

(٦) أخرج البخاري ( ٦٠٤٢ ) : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال : ( سبحان الله وبحمده ) في يوم مئة مرة . . حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

وأن « مـن قـال : ( سبحـان الله وبحمـده ، سبحـان الله العظيـم ؛ أستغفر الله ، وأتوب إليه ) . . كتبت لقائلها كما قالها ، ثم علقت بالعرش ، لا يمحوها ذنب يعمله صاحبها . . حتىٰ يلقى الله تعالىٰ يوم القيامة وهي مختومة كما قالها »[1] .

وورد فـي : ( سبحـان الله ، والحمـد لله ، ولا إلـٰـه إلا الله ، والله أكبر ) : أنهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها[2] .

وورد : أنها موجبة للجنة[3] .

وأنها : غراس الجنة .

وأنها : أحب الكلام إلى الله تعالىٰ[4] .

وأنها : أفضل الكلام[5] .

وأنها : تعدل مئة رقبة ، ومئة فرس مسرجة ملجمة في سبيل الله تعالىٰ ، ومئة بدنة مقلدة متقبلة ، ولا تذر ذنباً ، ولا يسبقها عمل[6] .

---

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ١٢/ ١٧٤ ) .

(٢) أخرج ابن ماجه ( ٣٨١٣ ) : عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكَ بـ( سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر ) ؛ فإنها ؛ يعني : يَحططن الخطايا ، كما تحط الشجرة ورقها » .

(٣) ذكر المنذري في « الترغيب والترهيب » ( ٢/ ٢٨٣ ) : عن أبي المنذر الجهني رضي الله عنه قال : قلت : يا نبي الله ؛ علمني أفضل الكلام ، قال : « يا أبا المنذر . . . . وأكثر من قول : ( سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ) ؛ فإنها سيد الاستغفار ، وإنها ممحاة للخطايا » أحسبه قال : « موجبة للجنة » .

(٤) تقدم في حديث سابق .

(٥) تقدم في حديث سابق .

(٦) أخرج أحمد ( ٦/ ٤٢٥ ) : عن أم هانىء بنت أبي طالب قالت : جئت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ؛ إني امرأة قد ثقلت ، فعلمني شيئاً أقوله وأنا =

وأنها : تجزىء عن القرآن .

وجاء في : ( لا حول ولا قوة إلا بالله ) : أنها كنز من كنوز الجنة[1] ، وباب من أبواب الجنة[2] .

وأنها : غراس الجنة[3] .

وأنها : تبقىٰ بها النعم على قائلها .

وأنها : مع ( لا منجىٰ من الله إلا إليه ) . . يكشف الله بها سبعين باباً من الضر ، أدناها الفقر[4] .

---

= جالسة ، قال : « قولي : ( الله أكبر ) مئة مرة ؛ فإنه خير لك من مئة بدنة مجللة متقبَّلة ، وقولي : ( الحمد لله ) مئة مرة ؛ فإنه خير لك من مئة فرس مسرجة ملجمة حملتيها في سبيل الله ، وقولي : ( سبحان الله ) مئة مرة ؛ هو خير لك من مئة رقبة من ولد إسماعيل تعتقينهن ، وقولي : ( لا إلـٰه إلا الله ) مئة مرة ؛ لا تذر ذنباً ، ولا يسبقها عمل » .

(١) أخرج البخاري ( ٣٩٦٨ ) ، ومسلم ( ٢٧٠٤/ ٤٥ ) : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : . . . . . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا موسىٰ ـ أو يا عبد الله بن قيس ـ ألا أدلك علىٰ كلمة من كنز الجنة؟ » قلت : ما هي يا رسول الله؟ قال : « ( لا حول ولا قوة إلا بالله ) » .

(٢) أخرج الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ٣٢٣ ) : عن قيس بن سعد بن عبادة : أن أباه دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخدمه ، قال : فأتىٰ عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم وقد صليت ركعتين ، فضربني برجله وقال : « ألا أدلك علىٰ باب من أبواب الجنة؟ » قلت : بلىٰ يا رسول الله ، قال : « ( لا حول ولا قوة إلا بالله ) » .

(٣) تقدم في حديث سابق .

(٤) أخرج الترمذي ( ٣٦٠١ ) : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثر من قول : ( لا حول ولا قوة إلا بالله ) ؛ فإنها كنز من كنوز الجنة » .

قال مكحول : فمن قال : ( لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا منجىٰ من الله إلا إليه ) . . كَشَفَ عنه سبعين باباً من الضرّ ، أدناهن الفقر .

وفي بعض الروايات : زيادة ( ما شاء الله ) قبلها .

وسيأتي ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار آخر الشرح .

ولسيدنا الناظم في « أذكار الصباح والمساء » نبذة مباركة ، رتبها بترتيب مليح عجيب . . فينبغي قراءتها كما رتبها ، فلنذكرها ، وهي :

أن يقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين . ( ثلاثاً ) ( ثلاثاً ) .

رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون . ( ثلاثاً ) .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ١١٥ـ١١٨] . ( مرة ) .

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم : ١٧ـ١٩] . ( مرة ) .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ( ثلاثاً ) .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢١ـ٢٤] . ( مرة ) .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الصافات : ٧٩ـ٨١] . ( مرة ) .

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . ( ثلاثاً ) .

باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . ( ثلاثاً ) .

اللهم ؛ إني أمسيت منك[1] في نعمة وعافية وستر . . فأتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة . ( ثلاثاً ) .

اللهم ؛ إني أمسيت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك : أنك أنت الله ، لا إلـٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك . ( أربعاً ) .

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويكافىء مزيده ( ثلاثاً ) .

آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت ، واستمسكت بالعروة الوثقىٰ ، لا انفصام لها ، والله سميع عليم . ( ثلاثاً ) .

رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً . ( ثلاثاً ) .

حسبي الله ، لا إلـٰه إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . ( سبعاً ) .

اللهم ؛ صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . ( عشراً ) .

اللهم ؛ إني أسألك من فجاءة الخير ، وأعوذ بك من فجاءة الشر .

---

(١) هـٰذا في المساء ، وعند الصباح يقول : ( أصبحت منك ) ، وكذا يستبدل كل ما يدل على المساء بما يدل على الصباح في كل الأماكن .

اللهم ؛ أنت ربي لا إلـه إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي . . فاغفر لي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم ؛ أنت ربي لا إلـه إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله . . كان ، وما لم يشأ . . لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً .

اللهم ؛ إني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ؛ إن ربي على صراط مستقيم .

يا حي يا قيوم ؛ بك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

اللهم ؛ إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .

اللهم ؛ إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة .

اللهم ؛ إني أسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة في ديني ودنياي وأهلي ومالي .

اللهم ؛ استر عوراتي ، وآمن روعاتي .

اللهم ؛ احفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي .

اللهم ؛ أنت خلقتني وأنت تهديني ، وأنت تطعمني وأنت تسقيني ، وأنت تميتني وأنت تحييني .

أمسينا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين .

اللهم ؛ بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير ، أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله رب العالمين .

اللهم ؛ إني أسألك خير هٰذا اليوم : فتحه ، ونصره ، ونوره ، وبركته ، وهداه .

اللهم ؛ إني أسألك خيره وخير ما فيه ، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه .

اللهم ؛ ما أمسىٰ بي من نعمة أو بأحد من خلقك . . فمنك وحدك ، لا شريك لك . . فلك الحمد ولك الشكر على ذلك .

وإن كان مساء قال أمسينا ، وعكسه في الصباح .

ويقول صباحاً ومساءً ـ أيضاً ـ : سبحان الله وبحمده . ( مئة مرة ) .

سبحان الله العظيم وبحمده ( مئة مرة ) .

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـٰه إلا الله ، والله أكبر . ( مئة مرة ) .

ويقول صباحاً فقط : لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ( مئة مرة ) اهـ

ولنثبت أيضاً هـٰهنا راتب سيدنا الناظم المشهور ، الذي أمر بقراءته بعد صلاة العشاء ، ويقرؤه هو ، ويُقرأ بحضرته ، حضراً وسفراً ، قعوداً ومشاة .

وهو أن يقرأ :

## فاتحة الكتاب

[﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾]

## وآية الكرسي

[﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ، البقرة : ٢٥٥] .

و﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٥-٢٨٦] ( مرة ) .

ثم :

لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ( ثلاثاً ) .

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إلـه إلا الله ، والله أكبر ( ثلاثاً ) .

سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ( ثلاثاً ) .

ربنا اغفر لنا وتب علينا ؛ إنك أنت التواب الرحيم ( ثلاثاً ) .

اللهم صل على محمد ، اللهم صل عليه وسلم ( ثلاثاً ) .

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق . ( ثلاثاً ) .

بآسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم . ( ثلاثاً ) .

رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً . ( ثلاثاً ) .

بآسم الله ، والحمد لله ، الخير والشر بمشيئة الله . ( ثلاثاً ) .

آمنا بالله واليوم الآخر ، تبنا إلى الله باطناً وظاهر . ( ثلاثاً ) .

يا ربنا اعف عنا ، وامح الذي كان منا . ( ثلاثاً ) .

يا ذا الجلال والإكرام ؛ مِتْنا على دين الإسلام . ( سبعاً ) .

يا قوي يا متين ؛ اكف شر الظالمين . ( ثلاثاً ) .

أصلح الله أمور المسلمين ، صرف الله شر المؤذين . ( ثلاثاً ) .

يا علي يا كبير ، يا عليم يا قدير ، يا سميع يا بصير ، يا لطيف يا خبير . ( ثلاثاً ) .

يا فارج الهم ، يا كاشف الغم ، يا من لعبده يغفر ويرحم . ( ثلاثاً ) .

نستغفر الله رب البرايا ، نستغفر الله من الخطايا . ( أربعاً ) .

لا إلـه إلا الله . ( مئة مرة )[1] .

وتمامها : محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، وعظم ومجد ، وعلى آله المطهرين ، وأصحابه المهتدين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

ثم سورة الإخلاص . ( ثلاثاً ) .

---

(١) قال الحبيب علوي بن أحمد الحداد في « شرح الراتب » (ص ٣٢٦) : («قول صاحب الراتب نفع الله به : لا إلـه إلا الله لا إلـه إلا الله هكذا تهليلتان في نفس واحد ، وأقله خمس وعشرون لاينقص ليتم بذلك خمسون تهليلة بلا نقصان ولا حد لأكثره ولو ألوفاً )اهـ

ثم المعوذتين . ( مرة ـ مرة ) .

ثم يطلب فاتحة الكتاب لسيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، وأصوله وفروعه ، وجميع السادة آل أبي علوي .

ثم فاتحة الكتاب لجميع السادة الصوفية أينما كانوا .

ثم فاتحةً لصاحب الراتب سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي .

ثم فاتحةً للوالدَين والأموات ، وإلى حضرة النبي [محمد] صلى الله عليه وسلم .

ثم ما تيسر من الدعاء .

فإذا تم الدعاء . . يقول ـ برفع الصوت ـ : اللهم ؛ إنا نسألك رضاك والجنة ، ونعوذ بك من سخطك والنار . ( ثلاثاً ) .

وبذلك تم الراتب المبارك الميمون ، العظيم الفائدة .

وقد سمعت بعض أهل الصلاح والعلم يقول : إن سيدنا عبد الله بن علوي الحداد صاحب الراتب يقول : إن من قرأ الراتب [ولا] سيما الجلالة[1] ـ بأدب وحضور ويقين ونية ، وتمم الجلالة ألفاً . . لا بد وأن يظهر عليه شيء من الأنوار والفتوح .

قال الراوي : ( وقد عمل بذلك أخ لي . . فظهر له وعليه شيء من أنوار الله تعالىٰ ) اهـ

* * *

(١) المقصود بالجلالة هنا قوله : ( لا إلـه إلا الله ) .

وأما قوله نفع الله به :

| [٢٧] وَقُـمْ إِذَا هَجَـعَ ٱلنُّـوَّامُ مُجْتَهِـداً | وَكُلْ قَوَاماً وَلاَ تَغْفُلْ عَنِ ٱلأَدَبِ |
|---|---|

يعني : واستيقظ وانتصب ودم قائماً مصلياً قانتاً لله ربك وخالقك . . إذا نام أهل النوم والغفلة بالليل ، ورقدوا حال كونك بالغاً غاية الطاقة والإمكان .

فـ( **القيام** ) **لغة** : اليقظة والانتصاب .

يقال : قام قوماً وقومة وقياماً وقامة ؛ أي : انتصب . . فهو قائم من قُوَّم وقُوَّام وقُيَّام . والقَومة المرة ، ويقال : أقام فلاناً . . ضد أجلسه .

والقَيُّوم والقَيَّام : الذي لا نِدَّ له من أسماء الله تعالىٰ .

والقيوم : هو القائم بذاته ، وبما سواه[1] ، وهو الله تعالىٰ وتقدس .

والقيام لله ـ في اصطلاح الصوفية ـ : هو الاستيقاظ من نوم الغفلة ، والنهوض عن سِنَة الفترة ، عند الأخذ والسير إلى الله تعالىٰ .

والقيام بالله تعالىٰ ـ عندهم ـ هو : الاستقامة عند البقاء بعد الفناء ، والعبور على المنازل كلها .

والقيامة هي الانبعاث بعد الموت إلى الحياة . قاله القاشاني[2] .

فـ( **الهجوع** ) : هو النوم بالليل ، والنوم هو : الرقاد والنعاس .

والمنام : اسم ، مصدر نام نوماً ، وهو طبيعة تعتري الحيوان ، تتعطل به حواسه . قاله بعضهم .

وقال غيره : النوم عبارة عن رجوع الحرارة الغريزية إلى الباطن ؛

---

(١) كذا العبارة في النسخ ، ولم نتبين معناها ، وفيها نظر .

(٢) « معجم اصطلاحات الصوفية » ( ١٥٩ ) و( ١٦٣ ) .

للاتضاح . . فلذلك يتبعها الروح النفساني وقواها ؛ ليتم ذلك الفعل .

وقال بعضهم : النوم حال يعرض للحيوان ، من استرخاء الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة من الجسد إلى الرأس .

فإذا صعدت الأبخرة من المعدة إلى الدماغ ، وحصل فتور . . فهو السِّنَة .

فإن عم الاستيلاء حاسة البصر . . فهو الغفوة ، والنوم الخفيف .

والنعاس : هو بين النوم واليقظة .

وإن عم جميع الجسد ، وحل بالقلب ، وأزال الذهن والعقل . . فهو النوم الثقيل .

والهجيع من الليل : الطائفة . والهَجِع : الغافل الأحمق ، وكذا الهَجْع والمهجع والهجعة .

و( **المجتهد** ) : هو البالغ الغاية في الشيء .

يقال : جهد واجتهد . . إذا جد ، ويقال : اجهد جهدك ؛ أي : ابلغ غايتك وجهد الطاقة .

أوصى الناظم نفع الله به بقيام الليل ، وبالاستكثار منه ، والمحافظة عليه ؛ لأنه دأب الصالحين ، وعمل المتقين المحسنين .

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٥ـ١٨] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٢ـ٤] .

ثم قال تعالىٰ ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وقال تعالىٰ ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وقال سبحانه وتعالىٰ في وصف المؤمنين : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٦ـ١٧] .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة ، فينادي مناد فيقول : أين الذين كانت تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون ـ وهم قليل ـ فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب »(١) .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٤] .

وقال عز وجل ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر : ٩] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل : ٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة : ٤٥] ، قيل : هي قيام الليل ، يستعان بالصبر عليه ؛ مجاهدةً للنفس .

وقيل في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، هو : قيام الليل .

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٣/ ١٦٩ ) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل يصلي حتىٰ تتفطر قدماه[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة . . صلاة الليل »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون الرب تبارك وتعالىٰ من عبده في جوف الليل ، فإن استطعت أن تكون مصلياً لله تعالىٰ في ذلك الوقت . . فكن »[4] .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « قالت أم سليمان بن داوود لسليمان : ( يا بني ؛ لا تكثر النوم بالليل ؛ فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة ) »[5] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا جميعاً . . كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات »[6] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بقيام الليل ؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم »[7] .

وفي رواية : « ومطردة للداء عن الجسد »[8] .

---

(١) **تتفطر قدماه** : تتشقق .

(٢) أخرجه بنحوه مسلم ( ٢٠٣/١١٦٣ ) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٣٠٦/٤ ) .

(٤) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٣٥٧٩ ) .

(٥) أخرجه ابن ماجه ( ١٣٣٢ ) .

(٦) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٤٦١/١ ) .

(٧) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٤٥١/١ ) ، وابن خزيمة ( ١٧٦/٢ ) .

(٨) أخرجه الترمذي ( ٣٥٤٩ ) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتىٰ أصبح ، قال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » ، أو قال : « في أذنه »[١] .

زاد ابن ماجه : قال الحسن : ( إن بوله والله ثقيل ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من امرىء تكون له بالليل صلاة ، فيغلبه عليها نوم . . إلا كتب له أجر صلاته ، وكان نومه عليه صدقة »[٢] .

وفي رواية : « ما من عبد يحدث نفسه بقيام ساعة من الليل ، فينام عنها . . إلا كان نومه صدقة تصدق الله بها عليه ، وكتب له أجر ما نوىٰ »[٣] .

وورد : « ركعتان في جوف الليل . . كنز من كنوز البر » .

وورد : صلاة في مسجدي تعدل عشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام تعدل مئة ألف صلاة ، والصلاة بأرض الرباط تعدل ألفي صلاة ، وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل ، لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل »[٤] .

وورد : « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة »[٥] .

وورد : « لا بد من صلاة بليل ، ولو حلب شاة »[٦] .

وورد أن الرب تبارك وتعالىٰ يعجب من الرجل يثور من وِطائه ولحافه ،

---

(١) أخرجه البخاري ( ٣٠٩٧ ) ، ومسلم ( ٧٧٤/ ٢٠٥ ) .
(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٤٥٥ ) ، وابن خزيمة ( ٢/ ١٩٥ ) .
(٣) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٢٥٨٨ ) .
(٤) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ( ١/ ٢٤٣ ) ، وعزاه لأبي الشيخ ابن حيان في كتاب « الثواب » .
(٥) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٧/ ٥١ ) .
(٦) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة ( ٦٦٠٨ ) .

من بين أهله وحِبِّه ، إلى صلاته! فيقول الله تعالىٰ لملائكته : انظروا إلى عبدي ، ثار عن فراشه ووِطائِهِ ، من بين حبه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقاً[1] مما عندي[2] .

وفي رواية : قد أعطيته ما رجا ، وأمنته مما يخاف[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى في ليلة بمئة آية . . لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى في ليلة بمئتي آية . . كتب من القانتين المخلصين »[4] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من قرأ عشر آيات في ليلة . . كتب له قنطار ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها »[5] .

وفي رواية أخرىٰ : « ومن قرأ أربع مئة آية . . كتب من العابدين ، ومن قرأ خمس مئة آية . . كتب من المحافظين ، ومن قرأ ست مئة آية . . كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثمان مئة آية . . كتب من المخبتين ، ومن قرأ ألف آية . . أصبح له قنطار ، والقنطار ألف ومئتا أوقية ، الأوقية خير مما بين السماء والأرض ـ أو قال خير مما طلعت عليه الشمس ـ ومن قرأ ألفي آية . . كان من الموجِبين الجنة »[6] اهـ

و( الموجِب ) : الذي أتىٰ بفعل يوجب له الجنة .

---

(١) **شفقاً** : شفقة .

(٢) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٢٥٥٨ ) .

(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » ( ٩/ ١٠١ ) .

(٤) أخرجه ابن حبان بلفظ : « من قام بعشر آيات . . لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمئة آية . . كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية . . كتب من المقنطرين » انظر « الإحسان » ( ٢٥٧٢ ) .

(٥) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٢/ ٥٠ ) .

(٦) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٨/ ١٨٠ ) .

قال بعضهم : ( ومن سورة ( تبارك الملك ) إلى آخر القرآن ألف آية ) .

وورد : « ما من رجل تعلم القرآن ، ثم صلى ساعة من ليل . . إلا أوصت به تلك الليلة الماضية الليلة المستأنفة : أن ينتبه لساعته ، وأن تكون عليه خفيفة »[1] .

قال سيدنا الناظم نفع الله به : ( لو لم يَرِد في فضل الليل وفضل قيامه إلا قوله صلى الله عليه وسلم : « إن في الليل لساعة ، لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالىٰ خيراً من أمر الدنيا والآخرة . . إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة »[2] وهو حديث صحيح . . لكفىٰ

فتأمل رحمك الله تعالىٰ في هـٰذا الحديث والحديث الآخر ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر ، فيقول : هل من داع فأستجيبَ له ؟ هل من سائل فأُعطيَه؟ هل من مستغفر فأغفرَ له ؟ »[3] ) اهـ . . فلعله ينشرح صدرك لقيام الليل إذا تأملت ، وينتفي عنك الكسل والإكثار من النوم ، الذي فيه ذهاب بركة العمر .

واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ، ولا سيما بعد النوم ، وإنما يصير خفيفاً بالاعتياد والمداومة ، والصبر على المشقة والمجاهدة في أول الأمر .

ثم بعد ذلك . . ينفتح باب الأنس بالله تعالىٰ ، وحلاوة المناجاة له ، ولذة الخلوة به عز وجل ، وعند ذلك . . لا يشبع الإنسان من القيام ، فضلاً عن أن يستثقله أو يكسل عنه ، كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله تعالىٰ ،

---

(١) أخرجه البزار من حديث طويل ( ٧/ ٩٨ ) .
(٢) أخرجه مسلم ( ٧٥٧/ ١٦٦ ) .
(٣) أخرجه بنحوه مسلم ( ٧٥٨/ ١٧٠ ) .

حتىٰ قال قائلهم : ( إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه . . إنهم لفي عيش طيب ) .

وقال : ( منذ أربعين سنة ما غمني شيء إلا طلوع الفجر ) .

وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

وإن عجزت عن الكثير من القيام بالليل . . فلا تعجز عن القليل منه .

قال الله تعالىٰ : ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [المزمل : ٢٠] ؛ أي : في قيام الليل .

وما أحسن وأجمل بالذي يقرأ القرآن الكريم بالغيب أن يقرأ كل ليلة في قيامه شيئاً منه على التدريج ، حتىٰ يكون له في قيام الليل ختمة في كل شهر ، أو في كل أربعين ، أو أقل أو أكثر ، والقليل الدائم . . خير من الكثير المنقطع .

قال عليه الصلاة والسلام : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »[١] .

وليتخذ القارىء هٰذا المذكور ورداً يواظب عليه ، ويقضيه إذا فاته ، حتىٰ تعتاد النفس المواظبة عليه ، وتتمرن على المداومة عليه .

واعلم أنه لم يواظب صلى الله عليه وسلم في قيامه على قراءة مخصوصة ، وأكثر ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم المواظبة عليها من الركعات ( إحدىٰ عشرة ركعة ) ، وقد ورد عنه السبع ، والتسع ، والثلاث عشرة . اهـ[٢] كلامه .

وله رضي الله عنه ونفع به في قيام الليل المقام الأرفع .

---

(١) أخرجه البخاري ( ٦٠٩٩ ) ، ومسلم ( ٧٨٣/٢١٨ ) .

(٢) « رسالة المعاونة والمظاهرة » ( ٤٢ ) .

وكان في ابتداء أمره يطوف على مساجد تريم كل ليلة ، حتىٰ إنه ربما نام في مجاز حمام مسجد آل باعلوي .

وله وقائع في ذلك ، وهو إلى الآن[1] نفع الله به قليل النوم ، أو لا ينام أصلاً ، ويعجبه أهل الهمة والنشاط في قيام الليل من المنتمين إليه وغيرهم ، ويعينهم على ذلك ، ويدعوهم إليه بالحال والمقال ، بل والمال .

وليس ذلك بالعجيب منه ؛ فإنه قد حاز قصب السبق في جميع مقامات الدين ، ولم نر ولم نسمع مثل حاله ومقامه ؛ فإنه ـ نفع الله به ـ على القدم النبوي المحمدي في جميع عباداته وعاداته ، وله الوراثة الكاملة من جده صلى الله عليه وسلم .

واعلم أن لتيسير القيام بالليل أسباباً كثيرة ، ظاهرة وباطنة .

**فمنها** : معرفة فضيلة قيام الليل ، وقوة الإيمان بها ، والتفكر فيها ، وفيما نقلناه في هـٰذا التعليق من الآيات والأخبار كفاية .

قال بعض العارفين : ( إن لله تعالىٰ نفحات تصيب القلوب المتيقظة ، وتخطىء القلوب النائمة ) .

وقال بعض العارفين : ( إن الله تعالىٰ ينظر بالأسحار إلى قلوب المستيقظين . . فيملؤها أنواراً ، وتنتشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين )اهـ[2] بمعناه .

**ومن الأسباب الميسرة لقيام الليل**[3] : أكل الحلال .

قال بعضهم : ( كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام الليل سنة ) .

---

(١) أي وقت كتابة المؤلف هـٰذا الشرح .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ١/٣٥٨ ) .

(٣) انظر الأسباب المعينة على قيام الليل في « إحياء علوم الدين » ( ١/٣٥٦ ) وما بعد .

**ومنها** : قلة الأكل ، وتخفيف البطن من ثقل الطعام ، ويأتي الكلام على فضائل قلة الأكل إن شاء الله تعالىٰ .

**ومن الأسباب الميسرة لقيام الليل** : نوم القيلولة ؛ فإنها سنة للاستعانة بها عليه .

**ومنها** : تقليل الحركة والتعب بالنهار ؛ فإن كثرة تعب الجوارح مجلبة للنوم .

**ومن الأسباب لذلك** : ترك المعاصي .

قال سفيان الثوري رحمه الله تعالىٰ : ( حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب ، رأيت رجلاً بكاء ، فقلت : هـٰذا مراءٍ ) ؛ يعني : أساء الظن به .

**ومن الأسباب الميسرة لقيام الليل** : خوف القلب من الله تعالىٰ ، وذكر النار ، والرجاء في الله تعالىٰ ، والشوق إلى الجنة .

قال بعضهم : ( إذا ذكرت النار .. اشتد خوفي ، وإذا ذكرت الجنة .. اشتد شوقي ، فما أقدر أن أنام ) .

وقال ذو النون المصري [من الكامل] :

مَنَعَ القُرَانُ بوعده ووعيده ... مُقَلَ العيون بليلها أن تهجعا

أي : أن تنام بالليل .

وقال آخر [من الوافر] :

أطار الخوف نومهمُ فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع

وأنشدوا أيضاً [من الخفيف] :

يا طويل الرقاد والغفلات ... كثرة النوم تورث الحسرات

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ : سهوت ليلة عن وردي ونمت ، فإذا أنا في المنام بجارية أحسن ما يكون ، وفي يدها رقعة ، فقالت :

أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلي الرقعة ، فإذا فيها مكتوب [من الوافر] :

أألهتــك اللــذائــذ والأمــانــي | عن البيض الأوانس في الجنان[1]
تعيــش مخلــداً لا مــوت فيهــا | وتلهـو فـي الجنـان مـع الحسـان
تَنَبَّــهْ مــن منــامــك إنَّ خيــراً | مــن النــوم التهجــدُ بــالقُــرَانِ

وقال شيخنا الناظم نفع الله به في « رسالة المعاونة » له : ( اعلم أن من صلى بعد العشاء . . فقد قام من الليل .

وقد كان بعض السلف يصلي ورده من أول الليل .

ولـٰكنَّ في القيام بعد النوم إرغاماً للشيطان ، ومجاهدة للنفس ، وسراً عجيباً ، وهو التهجد الذي أمر الله تعالىٰ به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

واعلم أنه يقبح بطالب الآخرة أن لا يكون له قيام من الليل .

قال الشيخ إسماعيل الجبرتي رحمه الله تعالىٰ : جُمِع الخيرُ كله في الليل ، وما عُقِدت لولي ولاية إلا بالليل .

وقال سيدي الشيخ العيدروس عبد الله بن أبي بكر رحمه الله تعالىٰ ونفع به : من أراد الصفاء الرباني . . فعليه بالانكسار في جوف الليل .

**ويتلخص من مجموع الأحاديث** : أنه ينبغي ويستحب إذا قمت من الليل أن تمسح النوم عن وجهك بيدك ، وتقول : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور .

وتقرأ : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ . . . إلى آخر السورة [آل عمران : ١٩٠] .

---

(١) الأوانس ـ جمع آنسة ـ وهي : الجارية إذا كانت طيبة النفس ، تحب قربك وحديثك .

ثم تستاك ، وتتوضأ وضوءاً كاملاً .

ثم تصلي ركعتين خفيفتين .

ثم تصلي بعدهما ثمان ركعات ، تطوِّلهن ، تسلم من كل ركعتين ، أو من كل أربع ، أو تجمعهن بتسليمة واحدة ؛ فكل ذلك قد ورد .

ثم إن رأيت أنه بقي عندك نشاط . . فتنفل ما بدا لك .

ثم صل ثلاث ركعات بنية الوتر ، بتسليمة أو بتسليمتين ، وتقرأ في الأولىٰ : سورة ( سبح اسم ربك الأعلى ) ، وفي الثانية : ( قل يا أيها الكافرون ) ، وفي الثالثة : ( الإخلاص والمعوذتين ) .

ولا تحسب أن الوتر الذي هو إحدىٰ عشرة ركعة شيء وهـٰذه الركعات شيء آخر ؛ كلا إنه لم يرد من قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما قصصنا عليك . . فاعلم ذلك ، والله واسع عليم ) اهـ باختصار أوله [٤٠-٤٣] .

وأما قوله رضي الله عنه : ( **وكل قواماً ولا تغفل عن الأدب** ) يعني : وأطعَم واقتَت ما يعيشك ويقيمك بالعدل ، ولا تترك الأدب في الأكل وحسن التناول ، ولا تَسْهَ عنه ، وعن اتباع العلم فيه ؛ لأن الأكل بالأدب وصدق النية عبادة .

و( **القَوام** ) ـ بفتح القاف ـ هو : العدل ، وما يعاش به .

و( القِوام ) ـ بكسر القاف ـ : نظام الأمر ، وعماده ، وملاكه .

وأما ( القُوام ) ـ بضم القاف ـ فهو : داء في قوائم الشاة .

ويقال : ( **غفل** ) عن الشيء غفولاً ؛ أي : تركه وسها عنه .

و( **الأدب** ) : الظَّرْف ، وحسن التناول .

يقال : أدُب ـ بضم الدال ـ أدباً . . فهو أديب ، وأدَّبه : علّمه .

وقد مضى الكلام على الأدب ، ويأتي ذكر شيء منه إن شاء الله تعالىٰ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٧٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون ؛ فإنه جزء من النبوة »[١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خير الأمور أوساطها »[٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإذا كان لا بد فاعلاً . . فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسِه »[٣] .

وفي رواية : « وثلث للذِّكر بدل النفس » .

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في قوله صلى الله عليه وسلم : « لقيمات » : ( هـٰذه صيغة جمع للقلة ، وهو ما دون العشر )[٤] .

قال شيخنا الناظم : ( سبيل الاقتصاد في الأكل أن تمسك عن الطعام وأنت تشتهيه ، ولا تتناوله حتىٰ تشتهيه شهوة صادقة ؛ بحيث أنك تشتهي كل طعام )اهـ[٥]

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في مِعىً واحد ، والكافر والمنافق يأكل في سبعة أمعاء »[٦] .

---

(١) ذكره الديلمي في « الفردوس » ( ١/١٠٣ ) .
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ( ٣٥١٢٨ ) .
(٣) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٢٣٦ ) ، والترمذي ( ٢٣٨٠ ) .
(٤) « ميزان العمل » ( ٨٠ ) .
(٥) « رسالة المعاونة والمظاهرة » ( ٨٩ ) .
(٦) أخرجه البخاري ( ٥٠٧٩ ) ، ومسلم ( ٢٠٦١/ ١٨٤ ) .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ : ( ليس المراد زيادة عدد أمعاء المنافق والكافر على أمعاء المؤمن ، بل المراد أن شهوة الكافر سبعة أضعاف شهوة المؤمن )اهـ[1] بمعناه .

وقال أيضاً في كتاب « ميزان العمل » : ( الأحب الأكل في سُبُع البطن ، فإن غلب النهم . . ففي الثلث ، وأظن أن المد ثلث في حق الأكثرين ، وإن كان قد يختلف .

وبالجملة . . فلا بد أن يكون دون الشبع ) اهـ [٨٠] .

وفي الحديث : « أبغضكم إلى الله كل نؤوم أكول شروب » .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ : ( لا يوافي القيامةَ عملٌ يُرَىٰ أفضلُ من ترك فضول الطعام ، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في أكله )[2] .

وقالت [أم المؤمنين] عائشة رضي الله عنها : ( أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشبع ، إن القوم لما شبعت بطونهم . . جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا )[3] .

وكان بعض شيوخ الصوفية يقول عند الأكل : ( معاشر المريدين ؛ لا تأكلوا كثيراً ، فتشربوا كثيراً ، فترقدوا كثيراً ، فتخسروا عند الموت كثيراً )[4] .

وذلك لأن في كثرة النوم ضياع العمر الذي هو رأس مال العبد .

والنوم موت ، وفيه بلادة الطبع ، وقساوة القلب . والدواء الذي لا داء

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٨٢ ) .
(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٨٣ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٨٦ ) .
(٤) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٨٦ ) .

فيه : أن لا تأكل الطعام حتىٰ تشتهيه شهوة صادقة ، وأن ترفع يدك وأنت تشتهيه قبل الشبع .

وكان الحسن يقول : ( المؤمن مثل العنيزة ، يكفيه الكف من الحشف ، والقبضة من السويق ، والجرعة من الماء ، والمنافق مثل السبع الضاري ، بلعاً بلعاً ، وسرطاً سرطاً[1] ، لا يطوي بطنه لجاره ، ولا يؤثر أخاه بفضله ، وَجِّهوا هٰذا الفضول أمامكم )[2] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً لعائشة رضي الله عنها : « إياك والإسراف ؛ فإن أكلتين في اليوم من السرف ، وأكلة واحدة في يومين : إقتار ، وأكلة في يوم : قوام بين ذلك » .

وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا تغدىٰ . . لم يتعش ، وإذا تعشىٰ . . لم يتغد .

وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة واحدة[3] .

حكي عن رويم بن أحمد الصوفي رحمه الله أنه قال : ( منذ عشرين سنة لم يخطر بقلبي ذكر الطعام حتىٰ يحضر )اهـ[4]

وهٰذا يشبه حال سيدنا وشيخنا الناظم ، أخبرني رضي الله عنه : أنه منذ سنين لم يجع ، ولم يشته الطعام ، بل إذا أُحضر له . . أكل أو ترك ، ويقول لأهله : إذا حصل غداء وأنا غير نائم فاعرضوه علي ، وإن كنت راقداً . . فلا توقظوني .

---

(١) **سرط الشيء سرطاً** : ابتلعه .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٩٠ ) .

(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٩١ ) .

(٤) انظر كتاب ( كسر الشهوتين ) من « إحياء علوم الدين » ( ٣/ ٧٩ـ٩٩ ) ؛ ففيه جميع ما هنا وزيادات لا بد لطالب الآخرة منها .

واعلم أن الأدب عظيم الموقع في الدين ، بل هو الأصل الذي عليه المدار ، حتىٰ قال الشيخ رويم لابن خفيف رحمهما الله تعالىٰ : ( يا بني ؛ اجعل علمك ملحاً ، وأدبك دقيقاً ) .

وقال أبو حفص : ( التصوف كله أدب ، ومن ضيع الأدب.. فهو بعيد من حيث يرجو القرب ، ومردود من حيث يظن القَبول ) .

وعن سعيد بن المسيب : ( من لم يعرف ما لله تعالىٰ عليه في نفسه ، ولم يتأدب بأمره ونهيه.. كان من الأدب في عزلة ) .

وقد سبق الكلام على الأدب عموماً عند قول سيدنا الناظم ( ... يا ذا الفضل والأدب ) .

والآداب كثيرة ؛ فآداب في الأقوال ، وآداب في الأحكام ، وآداب في العبادات ، وآداب في العادات .

**فمن العادات** : الأكل ، ولـٰكنه ذريعة إلى الدِّين .

فينبغي أن يظهر عليه أنوار الآداب الدينية ، وسننه الشرعية ، فيصير بذلك من العبادات والوسائل الصالحات ، مدفعة للسيئات ، مجلبة للحسنات ، وإن كان من أكبر الشهوات ، وأوفى الحظوظ النفسيات ؛ فإنما الأعمال بالنيات وصدق الطويات ، ولـٰكن ذلك موضع غرور للنفس.. فليحذر . وبالله التوفيق ، وعليه التكلان .

قال السُّهرَوَرْدي : ( تناول الطعام أصل كبير ، يحتاج إلى علوم كثيرة )[1] .

وقال حجة الإسلام رحمه الله تعالىٰ : ( مقصد ذوي الألباب : لقاء الله تعالىٰ في دار الثواب ، ولا طريق إلى ذلك.. إلا بالعلم والعمل ،

---

(١) « عوارف المعارف » ( ٢٠٠ ) .

ولا يمكن المداومة عليهما . . إلا بسلامة البدن ، ولا تصفو سلامة البدن . . إلا بتناول قدر الحاجة من الأطعمة ، فمن هنا قال بعض الصالحين : إن الأكل من الدِّين )[1] .

قال : ( فأول آداب الأكل أن يكون الطعام حلالاً في نفسه ، طيباً في جهة مكسبه ، موافقاً للسنة والورع ، لم تدخله مداهنة ، ولا كان بسبب مكروه في الشرع ، ولا بحكم هوىً .

وهٰذا هو الحلال المطلق ، ثم ما دونه في المرتبة على حسب الوقت والحال ، وليحذر من الحرام والشبهة القوية ؛ فكل لحم نبت من سحت . . فالنار أولىٰ به ، كما في الحديث[2] .

فكون الطعام حلالاً طيبًا هو الأصل ، وهو من الفرائض المحتومة ، وأصول الدين المعلومة .

**ومن آداب الأكل** : غسل اليدين قبل الأكل وبعده ؛ فقد ورد أنه ينفي الفقر واللمم[3] .

وورد النهي عن النوم وفي اليد ريح الطعام من غير غسل .

**ومنها** : أن لا يأكل متكئاً ، ولا مضطجعاً ، ولا قائماً ، بل يجلس على رجله اليسرىٰ ناصباً اليمنىٰ ، أو يجثو على ركبتيه جالساً على ظهر قدميه .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٢/٢ ) .

(٢) أخرج الترمذي ( ٦١٤ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « . . . يا كعب بن عجرة ؛ إنه لا يربو لحم من سحت . . إلا كانت النار أولىٰ به » .

(٣) أخرج القضاعي في « مسند الشهاب » ( ١/٢٠٥ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الوضوء قبل الطعام بركة ، وبعده ينفي اللمم » . والمقصود بالوضوء هنا غسل اليدين فقط .

ومنها : أن ينوي به التقوِّي على طاعة الله تعالىٰ ، ولا يقصد التنعم والتلذذ .

وعلامة ذلك أن يقلل الأكل ، وأن لا يأكل إلا بعد الجوع الصادق ، ومن فعل ذلك . . لم تصبه علة ؛ لأن أصل كل علة البردة ؛ أي : التخمة .

ومن آداب الأكل : كثرة الأيدي على الطعام ؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده ، وقال : « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي » .

وقال : « اجتمعوا على طعامكم [واذكروا اسم الله عليه] . . يبارك لكم فيه »[1] .

ومن الآداب : أن يبدأ باسم الله في أوله ، ويختم بحمد الله )[2] .

وللذكر وحضور القلب في الأكل أثر كبير ، لا يسع إهماله ، وكذلك الفكر ، وذكر الله تعالىٰ شفاء ودواء لكل علة في القلب والجسد ، وهو آكد آداب الأكل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان ليستحل الطعام الذي لم يذكر اسم الله عليه »[3] .

وورد : « فإذا أكل أحدكم طعاماً . . فليذكر اسم الله عليه ؛ فإن نسي في أوله . . فليقل باسم الله أوله وآخره »[4] .

ولما أكل النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما . . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « خبز ولحم وتمر وبسر ورطب »

---

(١) أخرجه أحمد ( ٣/ ٥٠١ ) .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٣ـ٥ ) .

(٣) أخرجه أبو عوانة ( ٥/ ١٦٠ ) .

(٤) أخرجه أبو داوود ( ٣٧٦٧ ) ، والترمذي ( ١٨٥٨ ) ، وابن ماجه ( ٣٢٦٤ ) .

ودمعت عيناه ـ وكان أتىٰ لهم بذلك أبو أيوب ـ « والذي نفسي بيده ؛ إن هـٰذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة » ، فكبر ذلك على أصحابه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « بل إذا أصبتم مثل هـٰذا فضربتم بأيديكم . . فقولوا : باسم الله ، فإذا شبعتم . . فقولوا : الحمد لله ، الذي هو أشبعنا ، وأنعم علينا فأفضل ؛ فإن هـٰذا كفاف هـٰذا . . »[1] الحديث .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالىٰ ليرضىٰ عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها »[2] .

و( الأَكلة ) ـ بفتح الهمزة ـ : المرة الواحدة من الأكل ، وقيل : بضمها وهي اللقمة .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من أكل طعاماً ، ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هـٰذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة . . غفر له ما تقدم من ذنبه »[3] .

وفي رواية : قال : « الحمد لله الذي أطعمني وأشبعني وأسقاني وأرواني . . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[4] .

**ومن آدابه** : أن يأكل باليمين ، ويصغر اللقمة ، ويجوِّد مضغها ، ولا يمد يده إلى لقمة أخرىٰ حتىٰ يبتلع ما في فيه .

**ومن آدابه** : أن لا يذم مأكولاً ، بل إن أعجبه . . أكله ، وإلا . . تركه .

**ومنها** : أن يأكل مما يليه ، ولا يدير يده في الإناء كله إلا لفاكهة . . فله ؛ لأنها ليست نوعاً واحداً .

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٢٣٦٩ ) ، وابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٢١٦ ) .
(٢) أخرجه مسلم ( ٢٧٣٤/٨٩ ) .
(٣) أخرجه الترمذي ( ٣٤٥٨ ) .
(٤) أخرجه أبو يعلىٰ ( ١٣/ ٢٢١ ) .

ومنها : أن لا يأكل من ذروة القصعة ؛ أي : أعلاها ، ولا من وسط الطعام ، بل يأكل من استدارة الرغيف ، ولا يقطعه بالسكين ، ولا يوضع عليه وعاء ولا غيره . . إلا ما يؤكل به .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أكرموا الخبز ؛ فإنه من بركات السماء »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا وقعت لقمة أحدكم . . فليأخذها فليمط ما كان بها من أذىً ، ولا يدعها للشيطان »[2] .

ومنها : أن لا يمسح يده بالخبز ، ولا ينفخ في الطعام الحار ؛ فإنه منهي عنه ، بل يصبر إلى أن يسهل أكله .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يا علي ؛ ابدأ طعامك بالملح ، واختم بالملح ؛ فإن الملح شفاء من سبعين داء ؛ منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الأضراس » .

ويأكل من التمر وتراً ، إحدىٰ عشرة ، أو إحدىٰ وعشرين ، أو ما اتفق ، ولا يجمع بين التمر والنوىٰ في نحو طبق ، ولا في كفه ، بل يضعه من فيه على ظهر كفه ، ثم يلقيه ، وكذا كل ما له عجم وثُفْل[3] .

وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة ، بل يتركه مع الثفل ؛ حتىٰ لا يلبس على غيره فيأكله .

ولا يكثر الشرب في أثناء الطعام ، إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه ، وإذا شرب فيأخذ نحو الكوز بيمينه ، وينظر فيه قبل الشرب ، ولا يتنفس فيه ،

---

(١) أخرج الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ١٣٦ ) : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أكرموا الخبز ، وإن من كرامة الخبز أن لا ينتظر به » .

(٢) أخرجه مسلم ( ٢٠٣٣/ ١٣٤ ) ، وابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٢٤٩ ) .

(٣) **العَجَم** : النوىٰ . **الثُّفل** : البقية .

ولا يتجشأ فيه ، ويشرب في ثلاثة أنفاس ، يسمي في أولها ، ويحمد في آخرها ، ويقول بعد الشرب : الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا ، ويشربه مصاً لا عبّاً .

**ومن آداب الأكل** : لعق الأصابع والإناء ؛ أي : مصها بعده .

فقد جاء فيه أنه صلى الله عليه وسلم : ( كان يأكل بأصابعه الثلاث : بالإبهام والتي تليها والوسطىٰ ، ثم يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها : الوسطىٰ ، ثم التي تليها ، ثم الإبهام )[1] .

وجاء فيه عنه صلى الله عليه وسلم : « من أكل في قصعة ثم لحسها . . استغفرت له القصعة »[2] .

بل جميع هٰذه الآداب المذكورة دلت عليها أخبار وآثار لم نذكرها ؛ إيثاراً للاختصار ، ذكر ذلك حجة الإسلام رحمه الله[3] .

**ومن آداب الأكل المتأخرة عنه**[4] : لقط فتات الطعام ؛ فقد ورد أن : مَن فعله . . عاش في سعة ، وعوفي في ولده[5] .

وفي رواية : « أمن من الفقر والبرص والجذام ، وصرف عن ولده الحمق » .

**ومنها** : أن يتخلل بعده ، ويتمضمض بعد الخلال ؛ ففيه أثر عن أهل البيت ، ولا يبتلع ما يجري من بين أسنانه بالخلال ، بل يرميه ؛ فإنه منهي عن بلعه ، ولا بأس بما يلوكه بلسانه .

---

(١) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٢٥١ ) .
(٢) أخرجه أحمد ( ٥/ ٧٦ ) ، والترمذي ( ١٨٠٤ ) .
(٣) انظر آداب الطعام في « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ٣ ) وما بعدها .
(٤) أي : عن فعل الأكل .
(٥) ذكره الديلمي في « الفردوس » ( ٣/ ٥٨٨ ) .

ويقال : إن من لعق القصعة ؛ أي : مسحها أو غسلها وشرب ماءها . . كان له عتق رقبة ، وإن التقاط الفتات مهور الحور العين .

وينبغي أن لا يقوم عن المائدة حتىٰ ترفع .

وإن أكل شبهة . . فليقل : الحمد لله على كل حال ، اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ، ويكون ذلك بحضور قلب تام ، وليكثر بعده من الاستغفار والحزن على ما أكل ؛ ليطفيء بدموعه وحزنه حر النار .

وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويضحك ولا يحزن ، وقد ورد ـ كما سبق ـ : « كل لحم نبت من حرام . . فالنار أولىٰ به » .

وإن أكل حلالاً . . قال : الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وتتنزل البركات ، اللهم ؛ أطعمني طيباً ، واستعملني صالحاً .

وليقل إذا شرب لبناً : اللهم ؛ بارك لنا فيما رزقتنا ، وزدنا منه .

وإن أكل غيره . . قال : اللهم ؛ بارك لنا فيما رزقتنا ، وارزقنا خيراً منه .

وليقرأ بعد الطعام : ( لإيلاف قريش ) ، و( قل هو الله أحد ) .

* * *

وأما قوله رضي الله عنه :

| [٢٨] وَٱلْوَالِدَانِ لَهُمْ حَقٌّ يَقُومُ بِهِ مَنْ يَتَّقِي ٱللهَ وَٱلْمُدْلُونَ بِٱلنَّسَبِ |
|---|

فـ( **الحق** ) ـ واحد الحقوق ـ وهو : الواجب .

و( **النسب** ) والنسبة : القرابة .

وحق الوالدين أعظم الحقوق بعد حق الله تعالىٰ وحق رسوله صلى الله عليه وسلم .

والحق على قدر الرابطة ، وأخص روابط المخالطة : القرابة ، وأخص القرابة : الرحم ، وأمسها : الولادة .

فيتضاعف الحق فيها ، ولا يقوم به إلا من وفقه الله تعالىٰ لتقواه ؛ لأن بر الوالدين مما أمر الله به ، وحث عليه ، ورَغَّب فيه ، وندب إليه ، ونهىٰ عن تركه وإغفاله ، وحذر منه ، وتوعد عليه ، بل قرن الإحسان إلى الوالدين مع توحيده تعالىٰ وعبادته ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقرن سبحانه شكرهما بشكره ، فقال تعالىٰ : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان : ١٤] .

وقوله نفع الله به : و( **المدلون بالنسب** ) : عطف على قوله : ( والوالدان )، والمعنىٰ : والمدلون بالنسب لهم حق يقوم به من يتقي الله .

و( **التقوىٰ** ) : امتثال ما أمر الله به ، واجتناب ما نهىٰ عنه ؛ حذراً وخوفاً منه تعالىٰ .

والقيام بحقوق المدلين بالنسب ـ وهي القرابة التي هي أخص الروابط ـ داخل في حد التقوىٰ . . فالقرابة لها حق مؤكد ، لٰكن حق الرحم المَحْرَم آكد وحق الوالدين آكد ، من حق الرحم المحرم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجزي ولد والده . . إلا أن يجده مملوكاً ، فيشتريه ، فيعتقه »[1] .

وروي : أن رجلاً قال : يا رسول الله ؛ ما حق الوالدين على ولدهما ؟ قال : « هما جنتك ونارك »[2] .

وفي « الصحيح » : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد ، فقال : « أحي والداك ؟ » قال : نعم ، قال : « ففيهما فجاهد »[3] .

وفي رواية : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما »[4] .

وفي حديث آخر عن بعض الصحابة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أستشيره في الجهاد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألك والدان ؟ » قلت : نعم ، قال : « الزمهما ؛ فإن الجنة تحت أرجلهما »[5] .

وورد : « الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت . . فأضع ذلك الباب أو احفظه »[6] .

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤٢٤ ) .
(٢) أخرجه ابن ماجه ( ٣٦٦٢ ) .
(٣) أخرجه البخاري ( ٢٨٤٢ ) ، ومسلم ( ٢٥٤٩/٥ ) .
(٤) أخرجه مسلم ( ٢٥٤٩/٦ ) .
(٥) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ٢٨٩/٢ ) .
(٦) أخرجه الترمذي ( ١٩٦١ ) بلفظه ، وابن حبان بلفظ : « الوالد أوسط أبواب الجنة ، فحافظ علىٰ ذلك إن شئت أو دع » . انظر « الإحسان » ( ٤٢٥ ) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف » قيل : من يا رسول الله ؟! قال : « من أدرك والديه عند الكبر أحدَهما أو كليهما . . ثم لم يدخل الجنة »اهـ(١)

وقوله : ( رغم أنفه ) ؛ أي : لصق بالرغام ، وهو : التراب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بِرُّوا آباءكم . . تَبَرَّكُمْ أبناؤكم ، وعِفُّوا . . تَعِفَّ نساؤكم »(٢) .

وورد : « من أدرك والديه أو أحدهما فلم يَبَرَّهما . . دخل النار ، فأبعده الله وأسحقه ، قلت : آمين »(٣) .

وفي « الصحيح » : أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : قَدِمَتْ عليَّ أمي وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ قال : « نعم صلي أمك »(٤) .

وقولها : ( وهي راغبة ) ؛ أي : طامعة فيما عندي .

فانظر كيف أمرها بصلتها وهي مشركة . . تعلم عُظْم حق الوالدين .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ [لقمان : ١٥] .

نهىٰ عن طاعتهما في الشرك بالله ، وأمر بصحبتهما معروفاً مع شركهما .

قال حجة الإسلام رحمه الله تعالىٰ : ( أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة في الشبهات ، وإن لم تجب في الحرام المحض ؛ لأن ترك

---

(١) أخرجه مسلم ( ٢٥٥١/٩ ) .
(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ١٧٠ ) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » ١٢/ ٨٣ ) .
(٤) أخرجه البخاري ( ٢٤٧٧ ) ، ومسلم ( ١٠٠٣/ ٥٠ ) .

الشبهة ورع ، ورضا الوالدين حتم ، فكيف طاعتهما في ترك النفل ؛ كالمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام ؛ لأن المبادرة إليه نفل ؛ إذ هو على التراخي ، وكالخروج لطلب العلم الغير الواجب ، بخلاف طلب علم الفرض من الصلاة والصوم . . إذا لم يكن في البلد من يعلمه )اهـ[1] بمعناه .

وعن أنس رضي الله عنه قال : أتىٰ رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه ، قال : « هل بقي من والديك أحد ؟ » قال : أمي . قال : « جاهد لله في برها ، فإذا فعلت ذلك . . فأنت حاج ومعتمر ومجاهد »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَن بر والديه . . طوبىٰ له ، زاد الله في عمره »[3] .

وورد : «رضا الله في رضا الوالدين ، وسخط الله في سخط الوالدين»[4] .

وروي عن الله تعالىٰ أنه قال : من أصبح مرضياً لوالديه مسخطاً لي . . فأنا عنه راض ، ومن أصبح مسخطاً لوالديه مرضياً لي . . فأنا عنه ساخط[5] .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ٢١٨ ) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الصغير » ( ١/ ١٤٤ ) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/ ١٧٠ ) .

(٤) أخرجه بلفظ ( الوالد ) ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤٢٩ ) .

(٥) كذا قال المصنف ، ولم نقف عليه . وفي هذا النص نظرٌ واضح كما لا يخفى .
نقول : والذي يظهر من عبارة المصنف رحمه الله أنه يأخذ عن « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ ، والذي فيه : قال صلى الله عليه وسلم : «من أصبح مرضياً لأبويه . . أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ، ومن أمسىٰ . . مثل ذلك ؛ وإن كان واحداً . . فواحدٌ . ومن أصبح مسخطاً لأبويه . . أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسىٰ . . مثل ذلك ، وإن كان واحداً . . فواحدٌ ، وإن ظَلَما ، وإن ظَلَما ، وإن ظَلَما» . قال العراقي : رواه البيهقي في «الشعب» [٦/ ٢٠٦]=

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . . إذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله ؛ هل بقي من بر أبوي شيء أَبَرُّهما به بعد موتهما ؟ فقال : « نعم ؛ الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما »[1] .

وفي رواية زيادة قال الرجل : ما أكثر هـٰذا وأطيبه يا رسول الله! قال : « فاعمل به »اهـ[2]

قال شيخنا الناظم : ( وكما يجب على الإنسان أن يبر والديه في حياتهما . . كذلك ينبغي له أن يَبَرَّهما بعد وفاتهما .

وفي الدعاء للميت والاستغفار له والتصدق عنه نفع كثير ، فينبغي للإنسان أن لا يغفل عن ذلك في حق الوالدين خصوصاً ، وفي حق غيرهم من الأقارب وذوي الحقوق عليه والمسلمين عموماً .

ثم إنه ينبغي ويستحب للوالدين أن يعينوا أولادهم على برهم : بالمسامحة ، وترك المضايقة والاستقصاء في الحقوق ، سيما في هـٰذه الأزمنة التي قلَّ فيها البر ، وكثر العقوق ؛ ليخلصوا من الإثم والعقوبة ، ويحصل للوالدين الثواب الجزيل من الله تعالىٰ .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « رحم الله والداً أعان ولده على بره »[3] .

وليحذر الوالدان كل الحذر من الدعاء على ولدهما العاق ؛ فإن ذلك

---

= من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال الزبيدي : رواه ابن عساكر في «التاريخ» [٣٣/ ٣٦٥] ، وتكلم عليه الحافظ ابن حجر في «اللسان» [٣/ ٣٧٦] . انظر «إتحاف السادة المتقين» [٦/ ٣١٤ـ٣١٥] . . ففيه المزيد من الأدلة والتخريج . والله أعلم .

(١) أخرجه أبو داوود ( ٥١٤٢ ) .

(٢) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤١٨ ) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ( ٢٥٤١٥ ) .

يزيده ضرراً وفساداً ، أو يتضرر بذلك آخراً ، بلْ ينبغي أن يدعوَا له ؛ فقد يصلحه الله تعالىٰ ببركة دعائهما .

وللولد حقوق على الوالد ؛ كالإعانة على البر ، وتحسين الأدب ، وتعريف الخير والشر ، وتعظيم أمور الدين ، والاستهانة بأمور الدنيا ، وإيثار أمور الآخرة ، وهدايتهم إلى الأخلاق الحسنة والخصال الجميلة ، وتحسين الأسماء ، واختيار الأمهات المباركات ، من أهل الخير والصلاح ، والتسوية بينهم في العطية )اهـ[1] بتصرف .

وفي « الصحيح » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أمك » قال : ثم من ؟ قال : « أبوك »اهـ[2]

قال شيخنا : ( ولعل السبب في تضعيف بر الوالدة على الوالد : ما تقاسيه الوالدة من تعب الحمل ومشاقه ، ومشقة الوضع ، ومؤنة الرضاع والتربية ، ومزيد الحنانة والشفقة )[3] . والله أعلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »[4] .

وورد : « ملعون من عق والديه »[5] .

---

(١) « النصائح الدينية » ( ٢٨٤_٢٨٥ ) .
(٢) أخرجه البخاري ( ٥٦٢٦ ) ، ومسلم ( ١/٢٥٤٨ ) .
(٣) « النصائح الدينية » ( ٢٨٣ ) .
(٤) أخرجه بلفظ : « وشهادة الزور » بدل : « واليمين الغموس » البخاري ( ٢٥١٠ ) ، ومسلم ( ٨٨/ ١٤٤ ) .
(٥) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٨/ ٢٣٤ ) .

وورد : « لعن الله من سب والديه »[١] .

وجاء في بعض الأحاديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم لقن شاباً كان عاقاً لوالدته الشهادةَ ، فلم يستطع أن يقولها ، حتى استرضىٰ له والدته . . فنطق بها[٢] .

وجاء في بعض الحكايات : أن رجلاً كان يشرب الخمر ، فإذا نهته أمه . . يقول لها : إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار ، فلما مات . . بقي ينشق عنه القبر وقت موته كل يوم وينهق ثلاث نهقات ، ثم ينطبق عليه القبر .

وأما قول سيدنا الناظم : ( والمدلون بالنسب ) : فالمراد بهم سائر الأرحام والقرابات .

وقد ورد في فضائل صلة الرحم والتحذير من قطعها ما يكاد يتعذر ضبطه .

فمن ذلك : أن صلة الرحم أحب الأعمال إلى الله تعالىٰ بعد الإيمان ، وأن قطيعة الرحم أبغض الأعمال إلى الله بعد الإشراك[٣] ، وأن من

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤٤١٧ ) .

(٢) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ( ٣/٢٢٦ ) ، وقال : رواه الطبراني وأحمد مختصراً .

(٣) أخرج أبو يعلىٰ ( ١٢/٢٢٩ ) : عن رجل من خثعم قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه ، فقلت : أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال : « نعم » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال : « الإيمان بالله » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ ثم مه؟ قال : « ثم صلة الرحم » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ ثم مه؟ قال : « ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال : « الإشراك بالله » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ ثم مه؟ قال : « ثم قطيعة الرحم » . قال : قلت : يا رسول الله ؛ ثم مه؟ قال : « ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف » .

وصلها . . وصله الله ، وأن من قطعها . . قطعه الله[1] ، وأن من قطعها . . حرم الله عليه الجنة ، وأن أسرع الخير ثواباً : البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة : البغي وقطيعة الرحم[2] .

وأنه لا يقبل عمل قاطع الرحم[3] ، وأن أبواب السماء مرتجة ـ أي مغلقة ـ دون قاطع الرحم[4] .

وأن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم[5] .

وأن قاطع الرحم ملعون في ثلاثة مواضع من كتاب الله تعالىٰ .

وأن واصل الرحم يبسط له في رزقه ، ويزاد في عمره[6] .

---

(١) أخرج البخاري ( ٤٥٥٢ ) ، ومسلم ( ١٦/٢٥٥٤ ) : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق الخلق ، حتىٰ إذا فرغ منهم . . قامت الرحم فقالت : هـٰذا مقام العائذ من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ ، قالت : بلىٰ ، قال : فذاكِ لكِ » .

(٢) أخرج الطبراني في « الأوسط » ( ١٨/٦ ) : عن جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون ، فقال : « يا معشر المسلمين ؛ اتقوا الله وصلوا أرحامكم ؛ فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة رحم . . . » .

(٣) أخرج أحمد ( ٢/ ٤٨٣ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة ، فلا يقبل عمل قاطع رحم » .

(٤) أخرج الطبراني في « الكبير » ( ١٥٨/٩ ) : عن الأعمش قال : كان ابن مسعود جالساً بعد الصبح في حلقة ، فقال : أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا ؛ فإنا نريد أن ندعو ، وأبواب السماء مرتجة دون قاطع رحم .

(٥) أخرج البيهقي في « الشعب » ( ٢٢٣/٦ ) : عن رسول الله قال : « . . . لا تنزل الرحمة علىٰ قوم فيهم قاطع رحم » .

(٦) أخرج البخاري ( ١٩٦١ ) ، ومسلم ٢٠ ( ٢٠/٢٥٥٧ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سره أن يبسط له في رزقه ، أو ينسأ له في أثره . . فليصل رحمه » .

وأن صلة الرحم مَحبة في الأهل ، مَثْراة في المال[1] ، ويدفع بها ميتة السوء ، ويدفع بها المكروه والمحذور ، وأن الله تعالىٰ يعمر بها الديار ، ويثمِّر بها الأموال .

فكل ذلك ورد .

ولا يغب عنك أن أخص الأرحام الوالدان والأولاد ، كما سبق .

وقد قال الله تعالىٰ في الزجر عن قطيعة الرحم : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد : ٢٥] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٢ـ٢٣] .

وجاء في الحديث : « إن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لا يجدها عاق ، ولا قاطع رحم . . . » الحديث[2] .

وورد : أن من يتصدق على الأجانب مع علمه بحاجة أقاربه إلى صدقته . . لا يقبل الله صدقته[3] ، وأن الصدقة على الأجانب صدقة ، والصدقة على الأقارب اثنتان : صدقة وصلة[4] .

---

(١) أخرج الحاكم في « المستدرك » ( ٤/١٧٨ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « . . . فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر » .

(٢) أخرجه بنحوه الطبراني في « الأوسط » ( ٦/١٨ ) .

(٣) أخرج الطبراني في « الأوسط » ( ٨/٣٤٦ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « . . . يا أمة محمد ؛ والذي بعثني بالحق لا يقبل الله يوم القيامة صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلىٰ صدقته ويصرفها إلىٰ غيرهم ، والذي نفسي بيده . . لا ينظر الله إليه يوم القيامة » .

(٤) أخرج ابن حبان : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلىٰ ذي الرحم اثنتان : صدقة وصلة » . انظر « الإحسان » ( ٣٣٤٤ ) .

وورد : « ابدأ بمن تعول : أُمَّك وأباك ، وأختَك وأخاك ، وأدناك فأدناك »[1] .

وورد : « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح »[2] ، وهو : الذي يضمر العداوة لقريبه المحسن إليه .

وورد : « ليس الواصل بالمكافي ، ولكن الواصل هو الذي إذا قَطَعَتْ رحمه وصلها »[3] .

وتفصيل حقوق القرابة والرحم تحتاج إلى بسط وتطويل ، وقد صنف في ذلك الشيخ أحمد بن حجر المكي رحمه الله تعالىٰ كتاباً أسماه : « أسنى المطالب في صلة الأرحام والأقارب » .

* * *

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٣٣٤١ ) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/٦٦٨).

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٥٦٤ ) .

(٣) أخرجه أحمد ( ٢/ ١٩٠ ) .

وأما قوله نفع الله به آمين :

[٢٩] وَٱلْجَارَ وَٱلصَّحْبَ لاَ تَنْسَ حُقُوقَهُمُ     وَٱخْتَرْ مُصَاحَبَةَ ٱلأَخْيَارِ وَٱنْتَخِبِ

( **الجار** ) : هو المجاور ، وجمعه جيران ، وجيرة ، وأجوار . وقد يطلق على الناصر والحليف . و( الجِوار ) ـ بكسر الجيم وفتحها ـ : القرب .

و( **الصحب** ) : المعاشرون والملازمون .

يقال : صَحِبَهُ صحابة وصحبة ؛ أي : عاشره . وهم أصحاب ، وأصاحيب ، وصحاب ، وصحابة ، وصحب . واستصحبه : دعاه إلى الصحبة ولازمه .

قال القاضي أبو بكر بن الطيب : ( لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول : ( صحابي ) مشتق من الصحبة ، جار على كل من صحب قليلاً أو كثيراً ؛ كيوم وساعة ، ولـكن في العرف الحادث لا يستعمل إلا فيمن كثرت صحبته )اهـ[١]

وكلامه من حيث تعريف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك خلاف بين العلماء ، والمشهور فيه هو ما وافق اللغة .

قال البخاري : ( من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو رآه من المسلمين . . فهو صحابي ) .

وقال أحمد ابن حنبل رحمه الله : ( أصحابه كل من صحبه يوماً أو ساعة )[٢] .

---

(١) « الكفاية في علم الرواية » ( ٥١ ) .

(٢) « الكفاية في علم الرواية » ( ٥١ ) .

وقال سعيد بن المسيب : ( لا بد من الإقامة معه سنة ، والغزو غزوة )اهـ[1]

**فائدة :**

يجب أن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم ، وترتيبهم ، وأنهم عدول أخيار ، لا يجوز سبهم ولا القدح في واحد منهم ، وأن الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان الشهيد ، ثم علي المرتضىٰ ، رضي الله عنهم وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين ، ثم بقية العشرة ، ثم بقية أهل بدر ، ثم بقية أهل بيعة الرضوان .

وقد قال تعالىٰ ـ وكلامه حق لا يتبدل ـ : ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ ﴾ . . إلى قوله تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ الآية [التوبة : ٨٨ـ١٠٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ . . . الآية [الفتح : ٢٩] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهَ اللهَ في أصحابي ، فمن آذاهم . . فقد آذاني ، ومن آذاني . . فقد آذى الله تعالىٰ ، ومن آذى الله تعالىٰ . . يوشك أن يأخذه »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا أصحابي ؛ فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً . . ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه »[3] .

---

(١) « الكفاية في علم الرواية » ( ٥٠ ) .
(٢) أخرجه بنحوه أحمد ( ٤/ ٨٧ ) ، والترمذي ( ٣٨٦٢ ) .
(٣) أخرجه أحمد ( ٣/ ٦٣ ) .

وأما قول الناظم نفع الله به : ( **لا تنس** ) : فالنسيان : الترك ، وضده الحفظ .

يقال : نسي الشيء نَسْياً .

ونِسياناً ونِساوة بكسر أولهما .

والنَّسوة ـ بالفتح ـ هي : الترك للعمل .

وقوله : ( **واختر** ) ، و( **انتخب** ) ، وانتق : بمعنىً واحد .

و( **مصاحبة الأخيار** ) : معاشرتهم وملازمتهم .

و( **الأخيار** ) : كثيرو الخير .

يقال : خار يخير ؛ أي : صار ذا خير ، وخار الله لك في الأمر : جعل لك فيه الخير ، ويقال : فلان خَيرَةُ الناس وفلانةٌ خيرُهُم . والخير : هو الأمر الحسن ، أو الذي فيه منفعة عاجلة وآجلة ، ويأتي مصدر خار صنع ، وأَفْعَل تفضيل محذوف الهمزة ؛ لكثرة دوره ، واسماً للمال ، واسم جنس شامل لكل كمال ونفع وأمر ملائم ، ويقال للإيمان : خير . والأمن والعافية خير .

أوصىٰ جزاه الله خيراً بحفظ حقوق الصحب ، وحقوق الجار ، ويدخل فيهم : الزوج والزوجة ، وبصحبة أهل الخير والصلاح . . فلنذكر شيئاً مما جاء وورد في ذلك .

**فأما حق الجار** : فقد عظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالغ في حفظ حقه وحرمته وعدم إذايته جداً .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وفي « الصحيح » عنه صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن ، والله

لا يؤمن ، والله لا يؤمن » ، قيل : يا رسول الله ؛ قد خاب وخسر ، من هو ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » ، قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « شره »[1] .

وفي رواية : « غشمه وظلمه »[2] .

وفي رواية : « والذي نفسي بيده . . لا يؤمن عبد حتىٰ يحب لجاره ـ أو لأخيه ـ ما يحب لنفسه »[3] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من آذىٰ جاره . . فقد آذاني ، ومن آذاني . . فقد آذى الله تعالىٰ ، ومن حارب جاره . . فقد حاربني ، ومن حاربني . . فقد حارب الله تعالىٰ » .

وفي حديث آخر : « كم من جار متعلق بجاره ويقول : يا رب ؛ سل هـٰذا لِمَ أغلق بابه ، ومنعني فضله »[4] .

وفي « الصحيح » : « ما زال جبريل يوصيني بالجار . . حتىٰ ظننت أنه سيورِّثه »[5] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يأخذ عني هـٰؤلاء الكلمات . . فليعمل بهن ، أو يعلِّم من يعمل بهن » فقال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدي . . فعد خمساً ، فقال : « اتق المحارم . . تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم لك . . تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك . . تكن مؤمناً ، وأحب للناس

---

(١) أخرجه البخاري ( ٥٦٧٠ ) ، ومسلم بنحوه ( ٤٦/ ٧٣ ) .

(٢) أخرجه أحمد ( ١/ ٣٨٧ ) .

(٣) أخرجه بنحوه البخاري ( ١٣ ) ، ومسلم ( ٤٥/ ٧١ ) .

(٤) أخرجه هناد في « الزهد » ( ٢/ ٥٠٨ ) .

(٥) أخرجه البخاري ( ٥٦٦٨ ) ، ومسلم ( ٢٦٢٥/ ١٤١ ) .

ما تحب لنفسك.. تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[2].

وورد: «أتدري ما حق الجار؟ إذا استعانك.. أعنته، وإذا استقرضك.. أقرضته، وإذا افتقر.. عدت عليه، وإذا مرض.. عدته، وإذا أصابه خير.. هنأته، وإذا أصابته مصيبة.. عزيته، وإذا مات.. اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإذا اشتريت فاكهة.. فأهد له؛ فإن لم تفعل.. فأدخلها سراً، ولا يخرج ولدك ليغيظ بها ولده»[3].

وفي بعض الروايات: «وإن استعانك.. أعنته، وإن احتاج.. أعطيته».

وفي بعضها: «أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده.. لا يبلغ حق الجار.. إلا من رحم اللهُ تعالىٰ»[4].

وقد ورد: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت.. فقد أحسنت، وإذا سمعت جيرانك يقولون: قد أسأت.. فقد أسأت»[5].

وورد: «لا يمنع أحدكم جاره أن يضع خشبة في حائطه أو جداره»[6]، وذهب بعض أهل العلم إلى وجوب ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٥).
(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/٢٥٩).
(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧/٨٣).
(٤) أخرجه البيهقي تتمة للحديث السابق.
(٥) أخرجه ابن حبان، انظر «الإحسان» (٥٢٦).
(٦) أخرجه بنحوه مسلم (١٦٠٩).

وورد : « الجار المقبل ببابه . . أعظم حقاً من النائي ببابه » .

**وأما حقوق الصحب والإخوان في الله تعالىٰ** . . فلا بد من القيام بها إذا صحت الصحبة والأخوة ، وانعقدت وتحققت . . فحينئذ تقتضي حقوقاً كثيرة ثقيلة ، لا يطيقها إلا محقق صادق ، ولا يقوم بها إلا موفق موافق ، حتىٰ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن مصاحبة من صاحبك . . تكن مسلماً »[1] .

وقال : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

بل الحقوق التي تجب لعامة المسلمين لا يكاد يقوم بها إلا تقي صالح ، مؤيد مسدد .

**فمن حقوق الصحب** : أن تنزله منزلة نفسك في مالك وولدك ، أو تؤثره علىٰ نفسك . . وهو أعلىٰ .

وأقل ذلك وأدناه : أن تقوم بحاجته بعد نفسك .

**ومنها** : أن تتفقد أوقات حاجاته ، ولا تغفل عن أحواله ، كما لا تغفل عن أحوال أولادك ونفسك ، وتسعىٰ في حاجاته فرحاً مستبشراً ، ابتداءً بلا طلب منه .

**ومنها** : السكوت عن عيوبه ، وعن مماراته ، وعن أسراره . . فلا تفشها لأحد ، وعن القدح في أهله وأحبابه ، وعن ذكر قدح غيره فيه ، بل كل ما يكرهه . . فتسكت عنه ، إلا ما وجب النطق به ، وأن تنطق بما يحب أن تنطق به ؛ مما جاز النطق به كالثناء عليه بما هو فيه من الخير ، وإعلامه بأنك تحبه ، وكذا تثني على كل من يحب الثناء عليه من أهله وأولاده وأفعاله ، من غير إفراط ، وتذب عنه في غيبته كهو حاضر ، وكما تحب أن يذب

---

(١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ( ١/ ٣٧٢ ) .

عنك ، مع الإخلاص ، وأن ترشده إلى ما ينفعه في دينه ودنياه ، وتنبهه على عيوبه بالتصريح فيما بينك وبينه سراً فيما كان غافلاً عنه منها ، وبالتعريض باللطف فيما هو عالم به منها : إذا كان نصحك مؤثراً .

**ومنها** : العفو عن زلاته ، وقبول عذره .

**ومنها** : الدعاء له في حياته وبعد وفاته . . كما تدعو لنفسك من غير فرق .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يدعو في سجوده لتسعين من إخوانه .

**ومنها** : الثبات والدوام على المحبة له إلى الموت وبعد الموت ، وأن تراعي أقاربه وأصدقاءه في حياته وبعد وفاته ، ولا تسمع بلاغات الناس فيه ، ولا تصادق أحداً من أعدائه .

**ومنها** : أن لا تكلفه شيئاً من مهماتك ، ولا تكلفه التواضع لك ، والتفقد لأحوالك . . بل تقصد بمحبته الله تعالىٰ لا حظوظ نفسك ، وأن لا تخفي عنه شيئاً من أسرارك ، وأن لا ترىٰ لك فضلاً عليه ، بل ترىٰ له الفضل عليك .

**وعلى الجملة** : فكل ما يجب عليك لعامة المسلمين من الحقوق أو يستحب . . ففعل ذلك مع الصديق والصاحب والزوجات آكد وجوباً ، وأكثر استحباباً ، وسيأتي ذكر حقوق المسلمين عموماً عند قول سيدنا الناظم :

( وخالق الناس بالخُلْق الجميل . . . ) إلى آخر البيتين .

ومن أراد معرفة حقوق الصحب والإخوان وآدابها وشرائطها . . فلينظر ذلك من كتاب ( الصحبة ) من كتاب « إحياء علوم الدين »[1] .

وقد ذكر مهم ذلك بالنسبة لأهل هٰذا الزمان سيدنا الناظم في كتابه :

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ١٥٧ ) وما بعده .

« النصائح الدينية »[1] ، وما ذكرته هنا فمستمد من الكتابين .

ومن الصحب والجار : الزوجة والزوجات .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] .

فلهن على الأزواج حقوق واجبة ، وعليهن حقوق واجبة ، وهي مستوفاة في ( ربع النكاح ) من كتب الفقه . . فيجب تعلم ذلك على المتزوج .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيراً »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « خيركم : خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي »[3] .

وورد : « من كانت عنده امرأتان ، فلم يعدل بينهما . . جاء يوم القيامة وشقه ساقط »[4] .

وجاء أن : « حق المرأة على الزوج أن يطعمها ويكسوها ، ولا يضرب ولا يقبح ، ولا يهجر إلا في البيت »[5] .

وورد : « أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ، ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها ، فمات ولم يؤد إليها حقها . . لقي الله تعالىٰ وهو زان »[6] .

---

(١) « النصائح الدينية » ( ٣٠٣ـ٣١١ ) .
(٢) أخرجه البخاري ( ٣١٥٣ ) ، ومسلم ( ١٤٦٨/ ٦٠ ) .
(٣) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤١٧٧ ) .
(٤) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٢٠٣ ) .
(٥) أخرجه بنحوه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٤١٧٥ ) .
(٦) أخرجه بنحوه أحمد ( ٤/ ٣٣٢ ) .

وورد أن : « [من حق] الزوج [على الزوجة أن] لو سالت منخراه دماً أو قيحاً فلحسته المرأة بلسانها . . ما أدت حقه »[1] .

وورد : « لو صح لبشر أن يسجد لبشر . . لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ؛ لعُظْم حقه عليها »[2] .

وأما اختيار صحبة الأخيار والأبرار من المتقين والعلماء بالله والزاهدين وأولياء الله تعالى المؤمنين ومخالطتهم وملازمتهم . . فمن أفضل الغنائم ، وأجزل الفوائد ، وأجل القرب ، وأوفى العوائد ، وذلك لأن المرء مع من أحب في الدنيا والآخرة ، ولأن علم القلوب لا يصاد إلا من الصحبة ؛ فإن من تحقق بحالة . . لم يخل منها حاضروه ، ولأن المؤمن مرآة أخيه .

ومن المعلوم أن الناقص برؤية الكامل ينتعش ، ويزداد همة لم تكن له قبل ، كما قال بعضهم : ( كنا إذا فترنا . . نظرنا إلى محمد بن واسع ، فعَمِلْنا عليه أسبوعاً )اهـ[3]

وهـٰذا موجود بحمد الله في شيخنا الناظم نفع الله تعالىٰ به ؛ فإنا نجد همة لم نعهدها بوصول كتاب منه ، فضلاً عن رؤيته ، وهـٰذه وراثة محمدية ؛ فمن أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : ذكر الله .

فعن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] هو محمد وأصحابه [صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم] .

ومعناه : أن من سمع به عليه الصلاة والسلام . . ذكر الله تعالىٰ ، فضلاً عن رؤيته .

فالمشاهدة ترفع الهمة ، وتقوي العزمة ، وقد قال الشيخ أبو هادي

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/٢٠٦ ) .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » تتمة للحديث السابق .

(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ١٨٤ ) .

لأصحابه : ( إذا أراد الله تعالىٰ رفع المريد إلى رتبة أعلى من رتبته . . خلق له همة أعلى من همته ) اهـ بمعناه ، ولأن صحبتهم من المحبة في الله تعالىٰ ولله .

والمحب لرجل لا يخلو :

ـ إما أن يحبه لميل طبعه إليه ، وأنسه به ، وإعانته له على معاشه . . فتلك محبة نفسية طبعية ، ليست لله تعالىٰ .

ـ وإما أن يحبه لإعانته له على معصيته . . فهي محبة شيطانية ، من خطوات الشيطان ، ليست لله ولا في الله .

ـ وإما أن يحبه لأنه يعينه على دينه وطاعة ربه ، أو لأنه يحب الله ويعمل بطاعته . . فتلك هي المحبة لله وفي الله .

ولا يكون ذلك إلا مع أهل الخير والصلاح ، والمرء على دين خليله . . فلينظر . . . كما في الحديث .

وفي الحديث الصحيح : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ كيف ترىٰ في رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء مع من أحب »[1] .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم : « لا يحب رجل قوماً . . إلا حشر معهم »[2] .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « إن لقمان قال لابنه : يا بني ؛ عليك بمجالسة العلماء ، واسمع كلام الحكماء ؛ فإن الله تعالىٰ ليحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر »[3] .

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري ( ٥٨١٦ ) ، ومسلم ( ١٦٥/٢٦٤٠ ) .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ( ٦/ ٢٩٣ ) .

(٣) أخرجه بنحوه مالك في « الموطأ » ( ٢/ ١٠٠٢ ) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل : يا رسول الله ؛ أي جلسائنا خير ؟ قال : « من تذكركم اللهَ تعالىٰ رؤيتُه ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكركم بالآخرة عمله » [1] .

وهٰذه الأحوال وجودها من علامات المتأهلين للمشيخة ، والصوفيةُ رضي الله عنهم ورزقنا محبتهم.. لهم خصوصية في الصحبة ، ولهم اختصاص عن غيرهم في حكم الشيخ والمشيخة ، والإرادة والمريد ، وشروط لذلك ، وآداب له ، وأفردوا لذلك تصانيف ، ومن أحسن ما صنف في ذلك : « رسالة المريد » لشيخنا وسيدنا الناظم .

ومنهم من قال : إن الشيخ شرط صحة .

ومنهم من قال : شرط كمال .

ومنهم من قال : ليس بشرط .

ومنهم من فصل فيه .

قال ابن عباد رحمه الله تعالىٰ :

( شيخ التعليم لازم لكل سالك .

وشيخ التربية لازم لتعين الكمال ، أو لذي بلادة واستعصاء [2] نفس .

وشيخ التربية طريقة المتأخرين ، وشيخ التعليم طريقة المتقدمين ) .

وقال زروق في « شرح المباحث » : ( علامات التحقق في رتبة المشيخة ثلاثة أشياء :

استقامة الظاهر بالتقوىٰ والاتباع ، وإن طرأ ما ينقص في بعض الأحوال.. فلا يضر ذلك المريد .

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ ( ٤/٣٢٦ ) .

(٢) في ( هـ ) و( ب ) : ( استقصاء ) ، وكلاهما بمعنىً .

**الثاني** : أن تسري فيك إشارته ، وتتسع لك بالمعاني عبارته ، وتشهد له ذاتك بالتقديم ، وسرك بالتعظيم .

**الثالث** : أن تجد الراحة برؤيته ، والزيادة بطاعته ، والإعانة بتوجهه ) اهـ

وهٰذه الصفات موجودة في سيدنا وشيخنا الناظم بغايات كمالها ، مع الزيادات التي لا يحاط بها ، وكذا التي في الحديث السابق آنفاً .

وإن أردت شفاء غليلك بعلوم المشيخة والإرادة والمريد ، وشروط ذلك . . فعليك بكتاب « رسالة المريد » لشيخنا الناظم .

وقال الشيخ زروق أيضاً في « شرح المباحث » : ( وحق الشيخ على المريدين ثلاثة أشياء :

حرمته شاهداً وغائباً .

وإلقاء النفس والروح والقلب والجسم والوجود كله بين يديه .

والسمع والطاعة له بلا اعتراض ولا تعليل .

وحقهم على الشيخ ثلاثة أمور :

النصيحة .

ووجود الاهتمام في حصول المقصد ، والتهمم بالواقع .

وإحداقه نحوهم : ببصيرته ؛ ليعرف الزيادة والنقصان ، وبهمته ؛ ليضع ويرفع ) اهـ

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم : « لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي »[1] .

---

(١) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٥٤ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من الجليس السوء »[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالىٰ : « وجبت محبتي : للمتحابين فِيَّ ، والمتجالسين فِيَّ ، والمتزاورين فِيَّ ، والمتباذلين فِيَّ »[2] .

وفي حديث آخر : أن « لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش ، وكلتا يدي الله يمين ، على منابر من نور ، وجوههم من نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين » ، قيل : يا رسول الله ؛ من هم ؟ قال : « هم المتحابون بجلال الله تبارك وتعالىٰ »[3] .

وفي حديث آخر : « لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[4] .

وفي « الصحيح » : « مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء . . كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، [وإما أن تجد منه ريحاً طيبة] ، ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة »[5] .

وورد : « من أراد الله به خيراً . . رزقه خليلاً صالحاً ؛ إن نسي . . ذكَّره ، وإن ذكر . . أعانه »[6] .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ٣/ ٣٨٧ ) .
(٢) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٥٧٥ ) .
(٣) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ١٢/ ١٣٤ ) .
(٤) أخرجه أحمد ( ٥/ ٣٤٣ ) .
(٥) أخرجه البخاري ( ٥٢١٤ ) ، ومسلم ( ٢٦٢٨/ ١٤٦ ) .
(٦) أخرجه بنحوه البيهقي في « الكبرىٰ » ( ١٠/ ١١١ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « جالسوا من تذكركم اللهَ رؤيته ، ومن يزيد في علمكم كلامه ، ومن يرغبكم في الآخرة عمله »[1] .

وقيل في معنىٰ ذلك :

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردىٰ فتردىٰ مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارَن يقتدي

وفي بعض الأخبار عن الله تعالىٰ : « وكل خِدْن[2] لا يوافقك على مسرتي . . فلا تصحبه ؛ فإنه لك عدو ، يقسي قلبك ، ويباعدك عني » .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

واعلم أنه لا يقدر على القيام بحقوق الأقارب والأصحاب والجيران . . إلا عبد حسن الخلق ، وكذا حقوق سائر الناس ؛ لأن حسن الخلق هو الخصلة الجامعة لجميع المحاسن في الأفعال والأقوال، وبه يحصل التوالف والتوافق ، ومن ثم . . عَظُمت في الدين فضيلته ، وهو الذي مدح الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم : أن « من أكمل المؤمنين إيماناً : أحسنهم خلقاً ، وألطفهم بأهله »[3] .

وورد : « إن المؤمن لَيُدرِكُ بحسن خلقه درجة الصائم القائم »[4] .

---

(١) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٥٧ ) .

(٢) **الخدن** : الصديق .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ١١٩ ) .

(٤) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ١٢٨ ) .

وورد : « إن العبد ليدرك بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل ، وإنه لضعيف العبادة ، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم »[١] .

وورد : أن حسن الخلق أفضل الأعمال ، وأنه أثقل شيء في ميزان المؤمن[٢] ، وأن صاحبه أحب العباد إلى الله تعالىٰ ، وأقربهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم[٣] ، وأنه أحسن الناس إسلاماً ، وأكملهم إيماناً[٤] .

وورد : « ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » .

وورد عن الله تعالىٰ : إن كلمتي سبقت لمن حسَّن خلقه : أن أظله تحت عرشي ، وأن أسقيه من حظيرة قدسي[٥] ، وأن أدنيه من جواري[٦] ؛ أي : قربي .

* * *

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » ( ١/ ٢٦٠ ) .

(٢) أخرج ابن حبان : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أثقل شيء في الميزان : الخلق الحسن » . انظر « الإحسان » ( ٤٨١ ) .

(٣) أخرج ابن حبان : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحبكم إلى الله ، وأقربكم مني : أحاسنكم أخلاقاً . . . » . انظر « الإحسان » ( ٤٨٢ ) .

(٤) أخرج أحمد ( ٥/ ٩٩ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « . . . وإن خير الناس إسلاماً : أحسنهم خلقاً » .

(٥) **حظيرة القدس** : الجنة . كما في « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير .

(٦) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٦/ ٣١٥ ) .

ولما كانت فضيلته بهٰذه المنزلة الرفيعة.. أشار إليه الناظم بقوله نفع الله به:

| | |
|---|---|
| [٣٠] وَخَالِقِ ٱلنَّاسَ بِٱلْخُلْقِ ٱلْكَرِيمِ وَلاَ | تَعْتِبْ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلاَ تَعِبِ |
| [٣١] وَأَنْصِفْ وَلاَ تَنْتَصِفْ مِنْهُمْ وَنَاصِحْهُمُ | وَقُـمْ عَلَيْهِـمْ بِحَـقِّ ٱللهِ وَٱنْتَـدِبِ |

يعني: وعاشر الناس وصاحبهم بطبيعة حسنة، وسجية مليحة؛ كما في الحديث: «وخالق الناس بخلق حسن».

ولا تلحق بهم لؤماً ووصمة وعيباً، بل اشتغل بعيوبك عن عيوبهم، واعذرهم بما تعذر به نفسك.

وقوله: (وأنصف ولا تنتصف منهم)... إلى آخره؛ يعني: وأوفهم ما لهم عليك من الحقوق الواجبة - وسنذكرها قريباً - ولا تستوف حقك كاملاً، ولا تستخدمهم، ولا تكلفهم شيئاً من مؤنتك وحاجاتك، ولا تضمر لهم ما لا تظهر؛ كغشك لهم، وحقدك عليهم، وحسدك لهم، وسوء ظنك بهم، وغاية النصح: أن لا تكتم شيئاً ترىٰ في إظهاره نفع أو دفع شيء من غش وسوء ظن. وغير ذلك.

وادعهم إلى القيام بواجبات الله تعالىٰ، ومرهم بها، وانههم عن التقصير فيها، وعن ارتكاب معاصيه، وانتصب لذلك، واثبت عليه، وتكفل به، وسارع فيه.

و(الخُلق) - بضم الخاء - هو: السجية والطبيعة.

قال الإمام حجة الإسلام: (هو هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة)اهـ[1]

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٣).

وقال الشيخ زروق : ( وهو عبارة عن الوصف الثابت للعبد ، الجاري منه في معاملة الخَلْق ، وهو مَلْك النفس عند الشهوة والغضب ، ومظهر ذلك : أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به ، ومدار ذلك على أربع : كف الأذىٰ ، واحتماله ، وبذل الندىٰ ، والإنصاف من النفس ) اهـ

و( **الجميل** ) : هو الحسن والجمال .

يقال : جَمُل . . فهو جميل . وتجمل : تزين .

و( **العتب** ) : الملام .

و( **العيب** ) : النقص .

ويقال : ( **تناصفوا** ) ؛ أي : استوفىٰ بعضهم من بعض . وانتصف واستنصف من فلان ؛ أي : استوفىٰ حقه كاملاً . والإنصاف : العدل .

وحقيقة العدل : إعطاء الحق من غير مناقصة .

ويقال : الإنصاف هو الاعتراف بالحق من غير توقف .

ويقال : الإنصاف من شيم الأشراف .

و( **حق الله** ) تعالىٰ : ما وجب له .

ويطلق الحق على الواجب ، وعلى العدل ، وعلى ضد الباطل ، وعلى الصدق ، وعلى القرآن ، وعلى الإسلام ، وعلى الموت ، وعلى الأمر المقضي ، وعلى الملك ، وعلى المال ، وعلى الموجود الثابت ، وهو اسم من أسماء الله تعالىٰ .

و( **نَدَب** ) إلى الأمر : دعا إليه ، وحث عليه . والمنتدِب ـ أيضاً ـ : المجيب .

ويقال : انتدب لفلان ؛ أي : عارضه في كلام . وانتدب لمن فعل كذا ؛ أي : تكفل له وسارع .

ولما ذكر الناظم نفع الله به حق الوالدين والمدلين بالنسب والقرابة والجار والصحب.. تكلم على حقوق الناس عامة ، وأشار إليها بهٰذين البيتين : ( وخالق الناس. . . ) إلى آخرهما .

ومدار ذلك كله في حقوق الجميع على بذل المعروف لهم ، وكف الأذىٰ عنهم ، واحتماله منهم ، ويدرك ذلك بالعلم والجود والصبر .

وتفصيل حسن المعاشرة والقيام بحقوق الخلق يطول ، وقد ذكر منهما في كتابيه : « رسالة المعاونة » ، و« النصائح الدينية » ما لا يسع أحداً جهله ، بل ويستغني به عن غيره .

وقال في حكمه المنثورة : ( مثل الأُخوَّة في الله مثل الشجرة ، تسقىٰ بماء التزاور ، وتثمر التعاون على البر والتقوىٰ ، فإذا لم تسق الشجرة.. يبست ، وإذا لم تثمر. . قطعت[1] .

وقال : من عول في إسقاط حقوق إخوانه على قبول العذر.. كان أقل ما يلقاهم به : الغش والمكر .

أكرم إخوانك إكراماً تستطيع الدوام عليه[2] .

لا تصحب إلا من تستطيع القيام بحقوقه )اهـ[3]

وقال القلانسي ـ لما سئل على أي شيء بنىٰ مذهبه ـ : ( لا نطالب أحداً بواجب حقنا ، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس ، ونلزمها التقصير في جميع ما تأتي )اهـ

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ : ( أصولنا سبعة أشياء :

---

(١) « الحكم » ( ١٩ ) .

(٢) « الحكم » ( ٢١ ) .

(٣) « الحكم » ( ٢٠ ) .

التمسك بكتاب الله تعالىٰ ، والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذىٰ ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق ).

وقد أطال حجة الإسلام رحمه الله تعالى النَّفَس في حقوق الصحبة في كتاب « الإحياء »[1] . . فلنذكر طرفاً من ذلك :

قال صلى الله عليه وسلم : « حق المسلم على المسلم ستة » فقيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : « إذا لقيته . . فسلم عليه ، وإذا دعاك . . فأجبه ، وإذا استنصحك . . فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله . . فشمته ، وإذا مرض . . فعده ، وإذا مات . . فاتبعه »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، ولا يَكْذِبه ، التقوىٰ هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر : أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه »[3] .

ذكر في هٰذا الحديث جملة من الحقوق .

وسنورد جملة من الأحاديث المنبهة على حقوق المسلمين .

وعنه عليه الصلاة والسلام : « أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محسنهم ، وأن تستغفر لمذنبهم ، وأن تدعو لمدبرهم ، وأن تحب تائبهم »[4] .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ١٧٥ ) وما بعد .
(٢) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٦/ ٥٢٩ ) .
(٣) أخرجه بنحوه مسلم ( ٢٥٦٤/ ٣٢ ) .
(٤) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ١/ ٣٧٢ ) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يستكمل العبد الإيمان حتىٰ يكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق عند الإقتار ، والإنصاف من نفسه ، وبذل السلام »[1] .

وسَأَل موسىٰ عليه الصلاة والسلام ربه تعالىٰ فقال : ( أَيْ رب ؛ أَيُّ عبادك أعدل ؟ ) قال : من أنصف من نفسه .

وورد : « إن الله تعالىٰ يحب السهل الطلق »[2] .

وورد : « إن من موجبات الرحمة : بذل السلام ، وحسن الكلام »[3] .

وورد : « إن النار محرمة على اللَّيِّن الهيِّن ، السهل القريب »[4] .

وورد : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ، ويرحم صغيرنا »[5] .

وورد : « رأس العقل التودد إلى الناس ، واصطناع المعروف إلىٰ كل بر وفاجر »[6] .

وورد : « من أقال عثرة مسلم . . أقال الله عثرته »[7] .

وورد : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم »[8] .

---

(١) أخرجه الديلمي في « الفردوس » ( ٥/ ١١٥ ) .
(٢) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ( ٢/ ١٥٣ ) .
(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » ( ٢٢/ ١٨٠ ) .
(٤) أخرجه بنحوه الطبراني في « الأوسط » ( ٨/ ١٥٦ ) .
(٥) أخرجه بنحوه الترمذي ( ١٩١٩ ) .
(٦) أخرجه بنحوه البيهقي في « الكبرىٰ » ( ١٠/ ١٠٩ ) .
(٧) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٢/ ٥٢ ) .
(٨) أخرجه بنحوه البخاري ( ١٠ ) ، ومسلم ( ٤١/ ٦٥ ) .

وورد : « لا يحل لامرىء أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه »[1] .

وورد : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً »[2] .

وورد : « من لم يهتم بأمور المسلمين . . فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ورسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين . . فليس منهم »[3] .

وورد : « رأس الدين النصيحة »[4] .

وفي « الصحيح » : « لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[5] .

وورد : « من غش المسلمين . . فليس منهم »[6] .

وورد أن : « إصلاح ذات البين أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة »[7] .

وورد : « من ستر مسلماً . . ستر الله عليه في الدنيا والآخرة »[8] .

وورد : « من تتبع عورة أخيه المسلم . . تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته . . يفضحه ولو كان في جوف بيته »[9] .

وورد : « والذي نفسي بيده . . لا تدخلوا الجنة حتىٰ تؤمنوا ،

---

(١) أخرجه بنحوه ابن المبارك في « الزهد » ( ٢٤٠ ) .
(٢) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » ( ١٠/ ٢٤٩ ) .
(٣) أخرجه بنحوه الطبراني في « الأوسط » ( ٧/ ٢٧٠ ) .
(٤) تقدم تخريجه .
(٥) تقدم تخريجه .
(٦) تقدم تخريجه .
(٧) أخرجه بنحوه أحمد ( ٦/ ٤٤٤ ) .
(٨) أخرجه بنحوه البخاري ( ٢٣١٠ ) ، ومسلم ( ٥٨/٢٥٨٠ ) .
(٩) أخرجه بنحوه الترمذي ( ٢٠٣٢ ) .

ولا تؤمنوا حتىٰ تحابوا ، أَوَلاَ أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ » قالوا : بلىٰ يا رسول الله . قال : « أفشوا السلام بينكم »[١] .

وورد : « تمام تحياتكم بينكم المصافحة »[٢] .

وورد : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان . . إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا »[٣] .

وورد : « من رد عن عرض أخيه . . كان له حجاباً من النار »[٤] .

وورد : « من قضىٰ حاجة لأخيه . . فكأنما خدم الله عمره »[٥] .

وورد : « من فرج عن مغموم ، أو أعان مظلوماً . . غفر الله تعالىٰ له ثلاثاً وسبعين مغفرة » .

وورد : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير : حسن الظن بالله تعالىٰ ، وحسن الظن بعباده . وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر : سوء الظن بالله تعالىٰ ، وسوء الظن بعباد الله تعالىٰ » .

وورد : « من عاد مريضاً . . قعد في مخارف الجنة[٦] ، حتىٰ إذا قام . . وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى الليل »[٧] .

وورد : « من شيع جنازة . . فله قيراط من الأجر ، فإن وقف حتىٰ دفن . . فله قيراطان »[٨] ، القيراط : مثل أحد .

---

(١) أخرجه مسلم ( ٥٤/٩٣ ) .

(٢) أخرجه هناد في « الزهد » ( ٢٢٦ ) .

(٣) أخرجه الترمذي ( ٢٧٢٧ ) .

(٤) أخرجه البيهقي في « الكبرىٰ » ( ٨/١٦٨ ) .

(٥) أخرجه بنحوه الديلمي في « الفردوس » ( ٣/ ٥٤٥ ) .

(٦) **المخارف** : الطرق .

(٧) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ( ٣/ ٥٩٤ ) .

(٨) أخرجه مسلم ( ٩٤٥/٥٢ ) .

وورد : « من عزىٰ مصاباً . . كان له مثل أجره »[١] .

وورد : « رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في غصن شوك أماطه من طريق المسلمين »[٢] .

وورد : « الكلمة الطيبة صدقة »[٣] .

وورد : « من هجر أخاه فوق ثلاث . . أدخله الله النار ، إلا أن يتداركه الله برحمته »[٤] .

وورد : « من آذىٰ مسلماً . . فقد آذاني ، ومن آذاني . . فقد آذى الله »[٥] .

وورد : « لو أهدي إلي ذراع أو كراع . . لقبلت ، ولو دعيت إلى ذراع أو كراع . . لأجبت »[٦] .

وورد : « من اصطنع إليكم معروفاً . . فكافئوه ، فإن لم تقدروا على ذلك . . فادعوا له ، حتىٰ تعلموا أنكم قد كافأتموه »[٧] .

وورد : « لا تنزع الرحمة إلا من شقي »[٨] .

وورد : « من لا يرحم . . لا يرحم »[٩] .

---

(١) أخرجه الترمذي ( ١٠٧٣ ) .
(٢) أخرجه بنحوه مسلم ( ١٢٩/١٩١٤ ) .
(٣) أخرجه البخاري ( ٢٨٢٧ ) ، ومسلم ( ٥٦/١٠٠٩ ) .
(٤) أخرجه بنحوه الطبراني في « الكبير » ( ٣١٥/١٨ ) .
(٥) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٦١/٤ ) .
(٦) أخرجه بنحوه الترمذي ( ١٣٣٨ ) .
(٧) أخرجه ابن حبان ، انظر « الإحسان » ( ٣٤٠٨ ) .
(٨) أخرجه الترمذي ( ١٩٢٣ ) .
(٩) أخرجه البخاري ( ٥٦٥١ ) ، ومسلم ( ٦٦/٢٣١٩ ) .

وورد : « فمن كان أخوه تحت يده . . فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه »[1] ؛ يعني : المملوك .

وفي رواية : « ولا يكلفه إلا ما يطيق » .

وورد : « إذا رأيتَ أمتي هابت أن تقول للظالم يا ظالم . . فقد تُوُدِّع منهم »[2] .

وورد : « الساعي على الأرملة والمسكين . . كالمجاهد في سبيل الله » ، وأحسبه قال : « وكالقائم لا يَفتُر ، وكالصائم لا يفطر »[3] .

وفي « الصحيح » : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هٰكذا » وأشار بالسبابة والوسطىٰ ، وفرج بينهما[4] .

وورد : « لا خير فيمن لا يضيف »[5] .

وفي « الصحيح » : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . فليكرم ضيفه »[6] .

وورد : « أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن ، كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجة »[7] .

وورد : « من مشىٰ في حاجة أخيه . . كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة ، ومحا عنه سبعين سيئة ، إلى أن يرجع من حيث فارقه ، فإن قضيت

---

(١) أخرجه الترمذي ( ١٩٤٥ ) ، وبنحوه مسلم ( ٣٨/١٦٦١ ) .
(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ٤/١٠٨ ) .
(٣) أخرجه البخاري ( ٥٦٦١ ) .
(٤) أخرجه البخاري ( ٤٩٩٨ ) .
(٥) أخرجه أحمد ( ٤/١٥٥ ) .
(٦) أخرجه البخاري ( ٥٦٧٢ ) ، ومسلم ( ٤٧/٧٤ ) .
(٧) تقدم تخريجه .

على يديه . . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإن مات فيما بين ذلك . . دخل الجنة » .

فهٰذه الأحاديث تنبه على حقوق المسلمين عموماً ، وآداب المعاشرة والمخالطة معهم .

ولا شك أن ما وجب لعامة المسلمين . . وجب بالأولىٰ للوالدين ، والأولاد ، والقرابة المدلين بالنسب ، والمسلم الجار ، والأخ في الله تعالىٰ ، والصاحب ، والزوجة .

وقد سبق جملة من هٰذه الأحاديث في هٰذا الشرح ، وإنما أعدتها هنا للمناسبة .

* * *

وأما قوله نفع الله به ورضي عنه :

[٣٢] وَٱحْذَرْ مُصَاحَبَةَ ٱلأَشْرَارِ وَٱلْحُمَقَىٰ وَٱلْحَاسِدِينَ وَمَنْ يَلْوِي عَلَى ٱلشَّغَبِ

فـ( **الحَذر والحِذر** ) : هو الاحتراز .

و( **المصاحبة** ) : الملازمة ، والمعاشرة ، والمخالطة ، والمجالسة .

و( **الأشرار** ) : ضد الأخيار . والشر : نقيض الخير .

و( **الأحمق** ) : قليل العقل ، والحماقة ، والحموقة ، والحمق : وضع الشيء في غير محله ، مع العلم بقبحه .

ويقال : حَمُق حُمْقاً وحِماقاً ، وقوم حمقاء ، وحُمُق ، وحُمَاقىٰ وحُماق .

والأحمق : فاسد السلوك صحيح الغرض ، والمجنون : فاسد الغرض والتخيل . وضد الأحمق : الكَيِّس ذو التدبير الحسن .

والحمق فرع البله ، ومنشأ البله : بطء الفهم وقلة الإحاطة بصواب الأفعال .

وأما ( **الحاسد** ) : فهو المتمني زوال النعمة .

و( **الشغب** ) : تهييج الشر ؛ كالتشغيب . وشغبهم ـ بفتح الغين وكسرها ـ وشغب بهم وعليهم : هيج الشر . وشاغبه : شارَّه .

فهٰؤلاء أربعة أصناف من الخلق ، حذر الناظم نفع الله به من صحبتهم .

فأما الأشرار : فلا خير في صحبتهم ؛ لأن مشاهدتهم تهون الشر على القلب ، وتبطل نفوره عنه ، والطبع مجبول على التشبه والاقتداء بالمُجالَس والمصاحَب ، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري .

ومن الشر : الحرص البالغ على الدنيا وجمعها ، وكيف لا ، وحبها رأس كل خطيئة ؟! فمجالسة الحريص على الدنيا وصحبته سم قاتل .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النجم : ٢٩].

وقال سبحانه : ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان : ١٥] .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إلى الله بالبعد عنهم ، واطلبوا رضا الله بسخطهم »(١)

وقال بعضهم : ( صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ) ، أو كما قال .

وأما الأحمق : فصحبته شر محض ، معدومة العائدة والفائدة ؛ لأن الحماقة نوع من الجنون ؛ إذ الجنون ـ كما قال حجة الإسلام ـ فساد الغرض ، والحمق فساد السلوك ؛ إذ هو فساد الروية فيما يؤدي إلى غاية المطلوب ، حتىٰ ينتهج غير السبيل الموصل ، وغرض الأحمق صحيح ؛ فقد يريد النفع فيضر .

وأما الجنون : فهو فساد التخيل فيما ينبغي أن يُؤْثِر ، حتىٰ إنه يؤثر غير المُؤْثَر .

فصحبة الأحمق شر وضرر ووبال . . فاحذر منه وجانبه .

وقد قال سيدنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه :

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٧/ ٥٧ ) .

ولا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردىٰ ... حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هُوَ ماشاه
وللشيء على الشيء ... مقاييس وأشباه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

وعدو عاقل . . خير من صديق أحمق .

وقيل : مقاطعة الأحمق قربان إلى الله تعالىٰ[1] .

وأما الحاسد : ففرَّ منه فرارك من الأسد ؛ لأنه عدو لنعم الله ، ساخط لقضاء الله ، غير راض بقسمة الله تعالىٰ ؛ إذ الحاسد هو المتمني زوال نعمة الله تعالىٰ عن عبده ، وإن لم تنتقل إليه .

وأي مصيبة في الدين والدنيا تزيد على هٰذه ؟! وأي خبث أخبث من هٰذا الخلق ؟!

فكيف تصحب من هٰذا حاله ؟!

وقد مضى الكلام علىٰ ذم الحسد عند قول سيدنا الناظم :

( ونزه الصدر من غش ومن حسد . . . )

وأما ذو التهييج للشر . . فهو أبغض الخلق إلى الله تعالىٰ ـ كما في الحديث ـ وهو شر الخلق ، كما في الحديث الآخر .

كيف وهو لا ينفك عن : الكذب والخيانة والغيبة والغل والحسد والنفاق . . فهل من خير في صحبة من هٰذا وصفه ؟!!

لا ، بل ينبغي أن يعادىٰ ويبغض ؛ إذ هو قد سعىٰ في [قطع] ما أمر الله به

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ١٧١ ) .

أن يوصل ، وهو من الذين يبغون في الأرض بغير الحق .

وقد قال بعض العلماء : ( لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئاً من دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئاً من أمر دينه فيقبل منك ، والثالث : فاهرب منه ) .

وقال الإمام السيد جعفر الصادق رحمه الله تعالىٰ : ( لا تصحب خمسة :

١ـ الكذاب ؛ فإنك منه على غرور ، وهو مثل السراب ، يقرب منك البعيد ، ويبعد منك القريب .

٢ـ والأحمق ؛ فإنك لست منه على شيء ، يريد أن ينفعك فيضرك .

٣ـ والبخيل ؛ فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه .

٤ـ والجبان ؛ فإنه يسلمك ويفر عنك عند الشدائد .

٥ـ والفاسق ؛ فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها .

فقيل : ما أقل منها ؟ قال : الطمع فيها ، ثم لم ينلها ) .

وقال الأستاذ السيد أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالىٰ : ( أوصاني صفيي فقال : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله تعالىٰ ، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالباً من معصية الله تعالىٰ ، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله تعالىٰ ، ولا تصطَفِ لنفسك إلا من تزداد به يقيناً ، وقليل ما هم ) اهـ

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالىٰ : ( اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الخلق :

الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ) .

وهؤلاء الثلاثة هم الجلساء السوء .

* * *

قال زروق في « شرح المباحث » : ( جليس الشر : من فيه إحدىٰ ثلاث خصال :

[الأولىٰ] : الرضا عن النفس ، بحيث يرى الحق له علىٰ غيره ، مع الاستصغار للغير ، وهٰذه صفة الجبابرة الغافلين .

**الثانية** : الاسترسال في الغيبة ، وتزكية النفس ، واحتقار الذنب مع تعظيم ذنب الغير ، فلا يقيل عثرة ، ولا يعذر في حالة ، وهٰذه صفة القراء المداهنين .

**الثالثة** : وجود الدعاوي والطمع ، وحب الرياسة والبدع ، وهٰذه صفة المتصوفة الجاهلين ) اهـ مع تصرف .

وقال بشر رحمه الله : ( الإخوان ثلاثة : أخ لآخرتك ، وأخ لدنياك ، وأخ لتأنس به ) .

قال بعضهم : ( فلا تراع في الأول من الثلاثة إلا الدين ، ولا في الثاني إلا حسن الخلق ، ولا في الثالث إلا السلامة من شره ) اهـ

وقال ابن أبي الحواري : ( قال لي أستاذي أبو سليمان ـ رحمهما الله تعالىٰ ـ : لا تصحب إلا أحد رجلين : رجل ترتفق به في أمر دنياك ، أو رجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك ، والاشتغال بغير هٰذين . حمق كبير )اهـ[1]

* * *

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ١٧٢ ) .

أما قول سيدنا الناظم رضي الله تعالىٰ عنه :

[٣٣] وَحَالِفِ ٱلصَّبْرَ وَٱعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَهُ مُـرٌّ وَآخِـرَهُ كَـٱلشَّهْـدِ وَٱلضَّـرَبِ

فـ( المحالفة ) ـ بالمهملة ـ : الملازمة .

يقال : حالفه . . إذا لازمه .

و( الصبر ) ـ بفتح الصاد ـ : يطلق على نقيض الجزع ، وعلى الحبس ، وهو حبس النفس عن تعاطي أقوال وأفعال اختيارية مضادة للشريعة والحقيقة ، موافقة للجبلة والطبيعة .

أو يقال : الصبر حبس القلب على حكم الرب .

أو يقال : ترك الشكوىٰ عند هجوم البلوىٰ .

أو يقال : تجرع البلوىٰ بغير دعوىٰ .

أو يقال : إسرار المحنة ، وإظهار المنة .

يقال : صَبَرَ يصبر . . فهو صابر ، وصبير ، وصبور . والصِّبر بكسر الصاد والصُّبر بضمها : كلاهما ناحية الشيء .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : ١٧٥] ؛ أي : ما أجرأهم ، أو ما أعملهم بعمل أهلها .

وشهر الصبر : شهر رمضان .

والصبور من أسماء الله تعالىٰ : هو الذي لا يعاجل العصاة بالعقوبة والنقمة ، بل يعفو ويؤخر .

وقوله ( مُرٌّ ) ـ بضم الميم ـ : ضد الحلو .

يقال : مَرَّ يَمَرُّ مرارة ، ويطلق على الداوء المعروف .

و( الشَّهد ) : العسل .

و( الضَّرَب ) : العسل الأبيض .

يقال : استضرب العسلُ . . إذا ابيض وكثف .

فقوله : ( وحالف الصبر . . . ) إلخ يشير به إلى أن المؤمن يحتاج إلى الصبر في عموم أحواله ، ودوام أوقاته ، وأن العبد إذا لازم الصبر ، وصبر على مخالفة النفس ، وداوم على ذلك . . صار ما يجده من المرارة والشدة في غاية الحلاوة والسهولة ، سنة الله تعالىٰ جرت بذلك ، ويُعرَف ذلك بالتجربة والذوق .

قال ـ أعني سيدنا الناظم ـ في « رسالة المريد » : ( أول الطريق صبر ، وآخره شكر ، وأولها عناء ، وآخرها هناء ، وأولها تعب ونصب ، وآخرها فتح وكشف ووصول إلى نهاية الأرب ، وذلك معرفة الله تعالىٰ ، والوصول إليه ، والأنس به ، والوقوف في كريم حضرته مع ملائكته بين يديه تعالىٰ )اهـ[1]

وسبيله إلى ذلك : النظر في فضائل الصبر ، وما جاء فيه عن الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وقوة الإيمان بذلك ، وتعوُّد الصبر بالتصبر ، واحتمال المشقة مدة مديدة ، وتضعيف باعث الهوىٰ بقطع مادة ما يهواه ، والتغيب عما يهواه ، وكف الباطن عن التحدث به والفكر فيه .

واعلم أن الصبر ـ كما قال حجة الإسلام ـ ضربان :

( ضَرْب بدني ؛ كتحمل المشاق ، وهو إما بالفعل ؛ كتعاطي الأعمال الشاقة ، إما عبادة أو غيرها ، وإما بالاحتمال ؛ كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم ، وذلك قد يكون محموداً إذا وافق الشرع .

---

(١) « رسالة آداب سلوك المريد » ( ٣٤ ) .

ولـٰكن المحمود هو **الضَّرْب الثاني** ، وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوىٰ .

ثم هـٰذا الضَّرْب إن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج . . سمي عفة .

وإن كان صبراً على احتمال مكروه . . [اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر] .

فإن كان المكروه مصيبة . . سمي صبراً ، ويضاده حالة تسمى الجزع والهلع .

وإن كان في احتمال الغنىٰ . . سمي ضبط النفس ، ويضاده حالة تسمى البطر .

وإن كان في حرب ومقاتلة . . سمي شجاعة ، ويضاده الجبن .

وإن كان في كظم غيظ وغضب . . سمي حلماً ، ويضاده التذمر .

وإن كان في نائبة من نوائب الزمان وهي مضجرة . . سمي سعة الصدر ، ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر .

وإن كان في إخفاء كلام . . سمي كتمان سر ، ويسمىٰ صاحبه كتوماً .

وإن كان في فضول العيش . . سمي زهداً ، ويضاده الحرص .

وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ . . سمي قناعة ، ويضاده الشَّرَه )[1] .

ومعنى الصبر : ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوىٰ ، وليس للملائكة صبر ؛ لطهارتهم وعلوهم ، ولا للبهائم ؛ لدنوها وخساستها .

فالصبر الحقيقي من خصائص الإنسان ، ومعناه : ترك كل حركة مذمومة ظاهراً وباطناً .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٦٧ ) .

واعلم أن أكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ، بل الصبر الإيمان كله ، كما ورد .

وورد أيضاً : « الصبر نصف الإيمان »[1] .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ؟ فقال : « الصبر والسماحة »[2] .

وقِيل : أوحى الله عز وجل إلى داوود عليه الصلاة والسلام : تخلق بأخلاقي ، وإن من أخلاقي أني أنا الصبور .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان الصبر رجلاً . . لكان كريماً ، والله يحب الصابرين » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من يصبر . . يصبره الله ، وما أعطي أحد [من] عطاءٍ خيرٌ وأوسع من الصبر »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصبر معوَّل المؤمن ، والصبر أمير جنود المؤمن » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « في الصبر على ما تكره خير كثير »[4] .

قال سيدنا الناظم رحمه الله تعالىٰ : ( **فيحتاج العبد إلى الصبر** عند نزول البلايا ؛ كمثل موت الأحبة ، وأذى الخلق ، وقلة ذات اليد ، والأمراض . . بأن لا يجزع ، ولا يشكو إلى الخلق ، بل يرجع إلى الله تعالىٰ بحسن ظنه به ، ودعائه له ، وتضرعه إليه ، ويعتقد أنه أرحم به من نفسه ، وأن في ذلك خِيرة ، وله فيه خير كثير من الثواب العظيم ، كما ورد : « لا يصيب المؤمنَ

---

(١) أخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ( ١/ ١٢٦ ) .

(٢) أخرجه من حديث طويل أحمد ( ٤/ ٣٨٥ ) .

(٣) أخرجه مسلم ( ١٠٥٣/ ١٢٤ ) .

(٤) أخرجه من حديث طويل البيهقي في « الشعب » ( ٢/ ٢٨ ) .

من وصب ولا نصب ولا هم ، حتى الشوكة يشاكها . . إلا كفر الله بها من سيئاته »[1] .

**ويحتاج المؤمن إلى الصبر** عند فعل الطاعات ، بأن لا يكسل عنها ، ويؤديها كاملة تامة ، كما أمره الله تعالىٰ ، ولا يرائي بها .

**ويحتاج المؤمن إلى الصبر** في كف نفسه عن المعاصي والمحرمات ، فيصبر عنها ، وعن ذكرها بباطنه ، والميل إليها .

**ويحتاج المؤمن إلى الصبر** عن الشهوات المباحات بقصد التمتع والتلذذ ؛ فإن الاسترسال في ذلك يجر إلى الشبهات والمحرمات ، ويهيج الحرص على الدنيا ، والإيثار لها ، ونسيان الآخرة )اهـ[2] بتصرف فيه .

وقال في ( تائيته ) لَمَّا عدد مقامات اليقين ، وذكر منها الصبر فقال [في « ديوانه » ١١٦] :

وصبر جميل عند كل بلية ... وأمر ونهي أو ركون لشهوة

فهٰذه مظان الحاجة إلى الصبر .

وقد قال بعض العارفين : ( أهل الصبر على ثلاث مقامات :

**أولها** : ترك الشكوىٰ ، وهٰذه درجة التائبين .

**والثانية** : الرضا بالمقدور ، وهٰذه درجة الزاهدين .

**والثالثة** : المحبة لما يصنع به المولىٰ ، وهٰذه درجة الصديقين )اهـ[3]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ( الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه :

---

(١) أخرجه بنحوه مسلم ( ٢٥٧٣/ ٥٢ ) .
(٢) « النصائح الدينية » ( ٣٩٢ـ٣٩٣ ) .
(٣) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٦٩ ) .

صبر على أداء فرائض الله ، وله ثلاث مئة درجة .

وصبر عن محارم الله ، وله ست مئة درجة .

وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولىٰ ، فله تسع مئة درجة )[1] .

قال حجة الإسلام رحمه الله : ( وإنما فضلت هٰذه ؛ لأنه لا يقدر على الصبر على بلاء الله تعالىٰ إلا ببضاعة الصديقين ، وهو حسن اليقين )[2] .

قال في « اللمع » عن بعضهم : ( الصبر على ثلاثة[أوجه] :

**متصبر** : وهو من صبر في الله ، فمرة يصبر ، ومرة يعجز .

**وصابر** : وهو من يصبر في الله ، ولله ، ولا يجزع ، ولٰكن يمكن منه الجزع[3] .

**وصبار** : وهو الذي صبر في الله ، ولله ، وبالله ، لو وضع عليه جميع البلاء . . لم يعجز إلا من حيث الخلقة )[4] .

قال داوود عليه الصلاة والسلام : يا رب ما جزاء من يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه أن ألبسه ثوب الإيمان فلا أنزِعه عنه أبداً اهـ

فالصبر مقام عظيم من مقامات الدين ، حتىٰ قال بعضهم : ( لكل شيء جوهر ، وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر ) .

وقال الجنيد رحمه الله تعالىٰ : ( إن الله تعالىٰ أكرم المؤمنين بالإيمان ، وأكرم الإيمان بالعقل ، وأكرم العقل بالصبر ) اهـ

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٧٢ ) .

(٢) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٧٢ ) .

(٣) في « اللمع » : ( ولا يجزع ، ولا يتمكن منه الجزع ، ويتوقع منه الشكوىٰ ) .

(٤) « اللمع » ( ٧٦ـ٧٧ ) .

وقال بعضهم : ( الصبر والعلم متلازمان ، وهما البرزخ والفرقان بين الروح والنفس ) .

وقد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعاً ، وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إليه ، وجعلها ثمرة له .

فاستنطقْ آيات القرآن تتلىٰ عليك ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ، وما توفيقي إلا بالله .

واعلم أن الدعاء عماد الدين ، ونور السماوات والأرضين ، وسلاح المؤمن ـ كما في الحديث[1] ـ وهو مفتاح الحاجة ، وملجأ المضطرين ، ومتنَفَّس ذوي المآرب والحاجات .

وقد أمر الله به :

قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف : ٥٥ـ٥٦] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدعاء مخ العبادة »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « الدعاء هو العبادة »[3] .

وورد عنه عليه الصلاة والسلام : « لا يدعو اللهَ داع إلا استجاب له ، فإما أن يعجل له ما سأل ، وإما أن يدفع عنه من البلاء أعظم من ذلك ، وإما

---

(١) أخرج الحاكم في « المستدرك » ( ١/٦٦٩ ) : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض » .

(٢) أخرجه الترمذي ( ٣٣٧١ ) .

(٣) أخرجه الترمذي ( ٢٩٦٩ ) .

أن يدخر له في الآخرة ما هو أفضل وأكمل »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يهلك مع الدعاء هالك »[٢] ، « والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل »اهـ[٣]

فمن أجل ذلك ختم سيدنا الناظم رحمه الله تعالىٰ وصيته بالدعاء والتضرع إلى الله تعالىٰ ، وإظهار الفاقة والتبري من الحول والقوة إليه ، مع الاعتماد عليه .

* * *

---

(١) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٢/ ٤٨ ) .

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٦٧١ ) .

(٣) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٦٦٩ ) .

فقال رضي الله عنه :

[٣٤] يَا رَبِّ إِنَّكَ مَقْصُودِي وَمُعْتَمَدِي      وَمُرْتَجَايَ لِدُنْيَايَ وَمُنْقَلَبِي

فقوله : ( يا ) : حرف نداء للبعيد مسافة ، أو جلالة ورفعة شأن ، وهو المراد هنا ، ويحتمل أنها هنا للتقريب ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

والنكتة فيه إرادة تعظيم شأن المدعو ؛ إذ قد تجيء لنداء القريب لمعنىً من المعاني ، نحو هٰذا .

وقوله ( رب ) أي : خالقي ، ومالكي ، وسيدي ، والقائم بالأمور لي ، ومستحق عبادتي ، ومن رباني بإحسانه ، وغذاني بامتنانه ، وعودني خيره ، ووجه إلي أمره .

فالرب هو الله تعالىٰ ومعناه : المعبود ، والخالق ، والمربي ، والمصلح ، والسيد ، والقائم بالأمور ، ومستحق الشيء .

ولا يطلق الرب بالألف واللام على غير الله تعالىٰ .

وقوله : ( مقصودي ) أي : معتمدي الذي أقصدك ، وأقصد إليك ، وأقصد لك .

و( معتمدي ) أي : متكلي ، وملتجئي ، ومقصودي ، ومرجعي .

و( مرتجاي ) أي : الذي أرتجيه وأُسَرُّ بذكره ، وبوعده ، وأظن فيه الظن الجميل .

( لدنياي ) : لحالي الداني القريب ، الذي قبل الموت .

و( منقلبي ) أي : حالي الآخرة بعد الموت ، ومنصرفي إلى الآخرة ، ومصدري إليها .

ولنذكر شيئاً يسيراً مما جاء في حال المنقلب والدار الآخرة ؛ تتميماً للفائدة ، وتقوية للإيمان ؛ ليقوى الاستعداد لذلك ، وقد أشار إليه شيخنا صاحب الوصية في بعض القصائد له [في « ديوانه » ٤٠٠ من الوافر] :

وما الدنيا بباقية ولكن نفارقها بموت وانتقال
إلى قبر مهول فيه يُلقى علينا التُّرْبُ معْ لَبِنٍ ثقال

إلى آخر ثمانية أبيات منها ، فانظره من كلامه المنظوم[1] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرنَ ، وحنىٰ جبهته ، وأصغىٰ سمعه ، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ . . . » الحديث . رواه الترمذي [٢٤٣١] ، وقال : حديث حسن ، وابن حبان في « صحيحه » [٨٢٣] ، وأحمد [١/٣٢٦] ، والطبراني [ص ١/٤٩] .

وروى البخاري [٤٣٤٩] ومسلم [٤٤٦٣] : « يا أيها الناس ؛ إنكم محشورون إلى الله تعالىٰ حفاة عراة غرلاً ، ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] » . . . الحديث .

( الغُرل ) ـ بضم الغين المعجمة ، جمع أغرل ـ وهو : الأقلف .

وروى الترمذي ، وقال : حسن صحيح : « لن تزول قدما عبد يوم

---

(١) والأبيات المشار إليها هي :

ودود فيه يأكلنا فتبلىٰ محاسننا وحسبك ما نُصالي
ونبقىٰ في القبور إلىٰ نشور بنفخ الصور في يوم السؤال
ونُوقَف موقفاً صعباً ثقيلاً وتأتي كل نفس للجدال
ويُنصَب ثَمَّ ميزان لوزن وكُتْب باليمين وبالشمال
مناقشة وتفتيش فإما مصير للنعيم أو النكال
ألا لا يستريح ومن وراه كهٰذا اليوم إلا ذو خبال

القيامة حتىٰ يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » .

وروى البخاري [٦٢٠٨] ومسلم [٢٧/٢٢٩٢] : « حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه . . فلا يظمأ أبداً » .

وروى البخاري [٥٩٤٥] ومسلم [٣٣٤/١٩٨] : « اخْتَبَأْتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » .

وفي رواية للبزار [٤٦١/٩] بإسناد جيد : « وأُعطيت الشفاعة ، وهي نائلة من أمتي من لا يشرك بالله شيئاً » .

وورد : « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة »[١] .

وورد : « يدخل الجنة بشفاعة رجلٍ من أمتي مِثلُ ربيعة ومضر »[٢] .

ورویٰ مسلم [٢٨٤٢] : « يؤتىٰ بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » .

وروى البخاري : « إن في النار سبعين ألف واد ، في كل واد سبعون ألف شعب ، في كل شعب سبعون ألف جُحر ، في كل جُحر حية . . تأكل وجوه أهل النار »[٣] .

وفي رواية : « في كل شعب سبعون ألف دار ، في كل دار سبعون ألف بيت ، في كل بيت سبعون ألف بئر ، في كل بئر سبعون ألف ثعبان ، في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب . . . » الحديث .

---

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ( ١٠/ ٣٨٢ ) وعزاه للبزار .
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ( ٣٢٣٤٣ ) .
(٣) الحديث بنحوه في « التاريخ الكبير » ( ٨/ ١٢٤ ) .

وورد في تفسير : ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء : ٥٦] : أنها تأكل أهلها في كل يوم سبعين ألف مرة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ، اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] ، وموضع سوط في الجنة . . خير من الدنيا وما فيها . . » الحديث إلى آخره ، رواه الترمذي [٢٣٩٢] ، والنسائي [ك ٦/٣١٧] ، وابن ماجه [٤٣٣٥] ، وروى البخاري [٣٠٧٢] ومسلم [٢/٢٨٢٤] بعضه .

وفي « صحيح مسلم » [١٨٩/٣١٢] : أن الرب تبارك وتعالىٰ يقول لأدنىٰ أهل الجنة منزلة : « أترضىٰ أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا ؟ » ، فيقول : رضيت ، فيقول له : لك ذلك ومثلُه ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هٰذا لك وعشرة أمثاله ، ولك ما اشتهت نفسك ، ولذت عينك . . فيقول : رضيت رب . . . » الحديث .

وروىٰ مسلم [١٨١/٢٩٧] : « إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ . . يقول الله تعالىٰ : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، وتنجينا من النار! قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم » ، ثم تلا : ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] .

* * *

وأما قوله رضي الله عنه :

[٣٥] فَٱغْفِرْ وَسَامِحْ عُبَيْداً مَا لَهُ عَمَلٌ      بِٱلصَّالِحَاتِ وَقَدْ أَوْعَىٰ مِنَ ٱلْحُوَبِ

أي : فاستر وغط .

يقال : ( غفر ) الله له ذنبه غفراً ، ومغفرة ، وغفراناً ، وغفوراً . . غطىٰ عليه وستره .

ويقال : استغفره من ذنبه ؛ أي : طلب منه غفره .

والغفار : من أسماء الله تعالىٰ ، ومعناه : كما في « مقصد حجة الإسلام » رحمه الله : ( الذي أظهر الجميل ، وستر القبيح ، ومنه[1] الذنوب )[2] .

و( الغفور : بمعناه ، غير أنه ينبىء عن شمول المغفرة وتمامها وكمالها ، والغفار : ينبىء عن تكررها وكثرتها )[3] .

وقوله : ( وسامح ) أي : جد ، وتكرم ، وتساهل ، والتسامح : التساهل وعدم التضييق .

يقال : سمح ـ بضم الميم ـ سماحة وسماحاً .

وقوله ( عبيد ) ـ تصغير عبد ـ وهو : المملوك ، ويجمع على جموعات كثيرة ؛ كـ : عَبيد ، وأَعْبُد ، والمعنىٰ : فاستر وتكرم على عُبَيدك الراجي فضلك دون سواك .

وهـٰذا الاعتراف منه لفنائه عن نفسه ، وشهوده لربه ، وهو مقام

---

(١) الضمير في ( منه ) عائد إلى القبيح الذي ستره الله على العبد .
(٢) « المقصد الأسنىٰ » ( ٦٢ ) .
(٣) « المقصد الأسنىٰ » ( ٨٥ ) .

العبودية ، وليس شيء أشرف من العبودية لله تعالىٰ ، ولا اسم أتم للمؤمن من العبودية لله تعالىٰ .

قال الله تعالىٰ : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ١] .

﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾ [النجم : ١٠] .

فلو كان اسم أشرف منه . . لسماه به في هٰذه المواضع التي هي أشرف أوقاته في الدنيا .

( والعبودية أتم من العبادة ، كما قال الشيخ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالىٰ .

فالعبادة للعوام ، والعبودية للخواص ، والعبودة لخواص الخواص .

العبادة لمن له علم اليقين ، والعبودية لمن له عين اليقين ، والعبودة لمن له حق اليقين .

العبادة لأصحاب المجاهدات ، والعبودية لأرباب المكابدات ، والعبودة صفة أهل المشاهدات )اهـ[1]

وقال ابن عطاء : ( العبودية في أربع خصال : الوفاء بالعهود ، والحفظ للحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر عن المفقود ) .

وقيل : من علامات العبودية . . ترك التدبير ، وشهود التقدير .

وقيل : العبودية شهود الربوبية .

نقل ذلك الأستاذ القشيري في « رسالته »[2] .

قال ابن عباد رحمه الله : ( ومقام الحرية أعلى من مقام العبودية ؛ لأن مقام العبودية لا يخلو من تفرقة ) .

---

(١) « الرسالة القشيرية » ( ١٥٤ ) .

(٢) « الرسالة القشيرية » ( ١٥٤-١٥٥ ) .

ولا حرج أن يقال : التمحض في العبودية هو حقيقة الحرية ،

كما قال ابن الفارض [في « ديوانه » ٦٦] :

وكل مقام عن سلوك قطعته عبودية حققتها بعبودةِ

وقال في « الرسائل » : ( حاصل إشاراتهم أن العبودية صفة قائمة بالعبد ، تحمله على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، والرضا بالأقدار ) اهـ

وقال الجنيد رحمه الله تعالىٰ : ( آخر مقام العارفين . . الحرية ) .

وقوله : ( **ما له عمل بالصالحات** ) يعني : ما يرىٰ لنفسه عملاً بالخصال الصالحات ، وذلك لما يرىٰ من تقصيره في حق مولاه ، ولو بلغ في العبادة غاية منتهاه ، وذلك لكمال معرفته بربه ، وعلو منزلته في قربه ، بل يرىٰ ويشهد فضلاً مطلقاً ، ومنة سابقة .

وقوله : ( **وقد أوعىٰ من الحوب** ) أي : جمع من الآثام ، أو من الأحزان ، أو من التوجعات ، أو الهموم .

فـ( الحُوَب ) ـ جمع حوبة ـ وهي والحُوب : الإثم ؛ كالحابة والحاب .

يقال : حاب بكذا حوباً ـ بفتح الحاء وضمها ـ وحَوبة وحِيابة . . أي : أَثِم .

ويطلق الحوب على الحزن ، والوحشة ، والجهد ، والمسكنة ، والوجع ، ويطلق على الأبوين ، والأخت ، والبنت ، والقرابة ، والرقة ، والهم ، والحاجة ، والحالة ، والفن ، والنوع .

والحُوب ـ بضم الحاء ـ : النفس ، والبلاء ، والمرض ، والهلاك .

والتحوب : التوجع . والحَوباءُ : النفس أيضاً .

ويقال : أحوب ؛ أي : صار إلى الإثم .

* * *

فأما قوله رضي الله عنه ونفع به :

[٣٦] لَـٰكِنَّهُ تَائِبٌ مِمَّا جَنَاهُ وَقَدْ أَتَاكَ مُعْتَرِفاً يَخْشَىٰ مِنَ ٱلْغَضَبِ

فالضمير في ( لـٰكنه ) : عائد على ( عُبَيد ) ، و( لـٰكن ) : حرف ، معناه : الاستدراك ، وهو أن تثبت لما بعدها حكماً مخالفاً لما قبلها ، وهو هنا التوبة والاعتراف والرجوع .

وقوله : ( تائب ) أي : راجع .

يقال : تاب إلى الله تعالىٰ توبة وتوباً ومتاباً . . أي رجع عن المعصية . . فهو تائب وتوَّاب .

قال في « منثور الخطاب » :

( التوبة : الندم على ما أجرم .

التوبة : الأسف على ما سلف .

التوبة : استشعار الخلل ، عما عمل من الزلل .

التوبة : تلهف القلب ، لما سبق من الذنب .

التوبة : دوام البكا ، لما سبق من الخَطا ) اهـ

ومعنىٰ تاب الله عليه : وفقه للتوبة ، أو رجع عليه بفضله وقبوله ، أو رجع به من التشديد إلى التخفيف .

والتواب : من أسماء الله تعالىٰ ، قال في « المقصد » : ( معناه : الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرىٰ )[1] .

وقوله : ( جناه ) أي : جره إليه .

---

(١) « المقصد الأسنىٰ » ( ١١٦ ) .

يقال : جنى الذنب عليه يجنيه جناية ؛ أي : جره .

و( **قد** ) : حرف معناه التحقيق[1] .

( **أتاك** ) : جاءك معترفاً مقراً منقاداً .

( **يخشىٰ** ) : يخاف .

يقال : خشيه خشية وخَشْياً وخشياناً . . إذا خافه ، فهو خاش .

والخشية : مهابة يصحبها تعظيم ؛ لأنها ـ كما قال بعضهم ـ أعلى من الخوف . . فهي أشد الخوف ، ولذلك خصت بالله تعالىٰ غالباً ، ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد : ٢١] .

وفرق بينهما أيضاً ؛ فإن الخشية تكون من عُظْم المختشىٰ وإن كان الخاشي قوياً ، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمراً يسيراً .

ويدل لذلك أن الخاء والشين والياء في تعاليها تدل على العظمة .

( **والغضب** ) : ضد الرضا ، وإنما يخشى الله من عباده العلماء ، فسيدنا الناظم من أكبر العلماء بالله ، بل هو أكبرهم .

والخشية دليل المعرفة بالله تعالىٰ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠] .

---

(١) ليس هـٰذا علىٰ إطلاقه ؛ إذ من معاني ( قد ) أنها عندما تدخل على الفعل المضارع تكون للتقليل ؛ نحو : قد يكون كذا . وعندما تدخل على الفعل الماضي . . فتكون للتحقيق ؛ نحو : قد كان كذا . والله أعلم .

قال الشيخ أبو نصر السراج رحمه الله في « اللمع » : ( الخشية من أوصاف المسارعين في الخيرات .

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ إلى قوله تعالىٰ : ﴿ سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٧ـ٦١] .

والخشية والإشفاق اسمان باطنان ، وهما من أعمال القلوب .

فالخشية سر في القلب خفي ، والإشفاق أخفىٰ من الخشية ، والله يعلم السر وأخفىٰ .

وقد قيل : إن الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يدي الله عز وجل )اهـ[١] مع بعض تصرف .

وقد جاء أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالىٰ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] هو الذي يسرق ويزني ويشرب ؟ فقال : « لا ، ولٰكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ، ويخاف أن لا يقبل منه »اهـ[٢]

ويدل له ـ كما قال بعضهم ـ قوله تعالىٰ بعد هٰذه الآية : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ . . . إلى آخرها [المؤمنون : ٦١] .

وشتان ـ كما قال عبد الله التميمي ـ بين تائب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات ، وتائب من رؤية الحسنات .

وقد سئل ذو النون المصري رحمه الله تعالىٰ عن التوبة ؟ فقال : ( توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، وتوبة خواص الخواص من كل شيء سوى المحبوب ) .

---

(١) « اللمع » ( ١١٦ ) .
(٢) أخرجه أحمد ( ٦/٢٠٥ ) .

واعلم : أن التوبة مقام عظيم من مقامات الدين ، وهو أول منزلة من منازل السالكين ، ومعناها الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه ، وليست قول العبد بلسانه أستغفر الله وأتوب إليه ، من غير ندم بالقلب ، ومن غير إقلاع عن الذنب ، بل هـٰذا دعاء وذكر لله تعالىٰ ، يحصل به لقائله ثواب ، كما يأتي ذكره آخر الكلام .

وليس هو بمجرده توبة كما يعتقده جماعة من العامة المغرورين المستدرجين .

ومن الاغترار ، والذنوب الكبار : الاحتجاج بالأقدار ؛ كقوله : كتب علي ، قضىٰ علي ؛ فإن ذلك أعظم من المعصية ، وهو من صفات المشركين .

قال الله تعالىٰ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۢ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍۢ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

ومن الاغترار والحمق : تمني المغفرة والجنة من غير سعي في الطاعات ، ومن غير ترك للسيئات ، ومن غير توبة صحيحة عنها ، إلى عالم الخفيات .

قال الله تعالىٰ : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ . . . إلى آخر الآية [ص : ٢٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . . . إلى آخر الآية [الجاثية : ٢١] .

ومن الجهل والغرور : الاعتماد على العمل والحول والقوة دون فضل الله ورحمته .

إذا عُلِمَ ذلك . . فللتوبة ثلاثة شروط :

**الأول** : الندم بالقلب على الذنوب السالفة .

**والثاني** : الإقلاع عن الذنب ، وهو تركه في الحال .

**والثالث** : العزم بالقلب على أنه لا يعود إلى الذنب ما عاش .

فإِنْ تعلَّق الذنب بالعباد . . زاد شرط رابع ، **وهو** : **رد المظالم** .

فإن كانت المظلمة في نفس . . وجب تمكينه من القصاص .

وإن كانت في مال . . وجب رده ، أو الإبراء منه .

فإن لم يكن حياً . . فوارثه .

وكذا يجب عليه إن ترك شيئاً من الفرائض اللازمة ؛ كالصلاة والزكاة أن يتدارك ما فاته بالقضاء حسب الاستطاعة ، ويعمم قصده في التوبة من جميع الذنوب ، وإن كانت صحيحة من ذنب دون ذنب .

وهٰذه الثلاثةُ : شروطُ تحقيق ؛ أعني بها : تعميم القصد ، ورد المظالم ، وأداء حقوق الله تعالىٰ .

وللتوبة أيضاً شروط كمال ثلاثة ، وهي :

التشمير بدلاً من التقصير .

والفرار من موارد الفتن خوف الانقلاب .

والحرص على تحصيل كمال زائد .

فمن فقد شروط الصحة السابقة . . فلا توبة له ، ومن فقد شروط التحقيق . . فهو عاص ، ويخشىٰ عليه الانقلاب ، ومن فقد شروط الكمال . . لم يجد لتوبته لذة ولا نتيجة .

ومن علامات الندم : طول الحسرة والحزن ، وغزارة الدمع .

ثم إذا فعل جميع ذلك . . فينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء ، يرجو القبول فضلاً من الله وكرماً ، ويخاف من عدم القبول مخافة أنه لم يحقق التوبة كما أمره الله تعالىٰ ، فيكون غير تائب من حيث لا يشعر .

وروي : أنه سئل سهل بن عبد الله التُّسْتَري رحمه الله تعالىٰ عن الرجل يتوب عن الشيء ويتركه ، ثم يخطر بعد بقلبه ، أو يراه ، أو يسمع به . . فيجد حلاوته ؟ فقال رحمه الله تعالىٰ : ( الحلاوة طبع البشرية ، وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوىٰ ، وينكره بقلبه ، ويلزم نفسه الإنكار ، ولا يفعله ، ويدعو الله أن ينسيه إياه ، ويشغله بغيره من طاعته .

وإن غفل عن الإنكار طرفة عين . . أخاف عليه أن تعمل الحلاوة في قلبه ، ولـكنه يلزم الإنكار والحزن ؛ فإنه لا يضره ) .

وكلامه رحمه الله كاف بالغ لكل من أراد صحة توبته . اهـ بتصرف في البعض .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ ﴾ . . . الآية [التحريم : ٨] .

والنصوح : الخالص عن الشوائب .

وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣٩] .

وقال جل وعلا : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى : ٢٥] .

وورد : « من تاب . . تاب الله عليه »[1] .

وورد : « إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »[2] .

قال بعض العارفين : ( إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد . . أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة ، وأنه لا يستأخر عنها طرفة عين . . فيبدو له من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها . . لخرج منها على أن يضم إلىٰ تلك الساعة ساعة أخرىٰ ؛ ليستعتب فيها ، ويتدارك تفريطه . . فلا يجد إليه سبيلاً .

وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالىٰ : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ : ٥٤] .

وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ [المنافقون : ١٠ـ١١] .

فقيل : الأجل القريب الذي يطلبه العبد معناه : أنه يقول عند كشف الغطاء : يا مَلَك الموت ؛ أخرني يوماً أعتذر فيه إلىٰ ربي وأتوب ، وأتزود صالحاً لنفسي . فيقول : فنيت الأيام ، فلا يوم . فيقول : أخرني ساعة . فيقول : فنيت الساعات ، فلا ساعة . فيغلق عنه باب التوبة ، فيغرغر بروحه . . . إلىٰ آخر ما ذكر .

ولمثل هـٰذا يقال : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ [النساء : ١٨] ، بل ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء : ١٧] .

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري ( ٢٥١٨ ) ، ومسلم ( ٥٦/٢٧٧٠ ) .

(٢) أخرجه الترمذي ( ٣٥٣٧ ) .

ومعناه : عن قرب عهد بالخطيئة ، بأن يتندم عليها ، ويمحو أثرها بحسنة قبل تراكم الرَّينِ على القلب . . فلا يُقبل المحو ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها »[1] ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود : ١١٤] .

وينبغي أن تكون الحسنة مناسبة للسيئة ، فيكفر سماع القبيح : بسماع القرآن ، ومس المصحف محدثاً : بكثرة القراءة فيه ، وإكرامه وتعظيمه ، وكتابته ووقفه ؛ لأن المرض يعالج بضده . . فالرجاء بذلك أصدق .

وقال لقمان عليه السلام: (يا بني ؛ لا تؤخر التوبة ؛ فإن الموت يأتي بغتة).

وفي الخبر : « إن أكثر صياح أهل النار من التسويف » ، وهو قول العاصي : سوف أتوب ، سوف أتوب .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ، ولمسيء النهار إلى الليل حتىٰ تطلع الشمس من مغربها »[2] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كفارة الذنب : الندامة »[3] .

وورد : « التائب من الذنب . . كمن لا ذنب له »[4] .

وورد : « لو عملتم الخطايا حتىٰ تبلغ عنان السماء ، ثم ندمتم . . لتاب عليكم »[5] .

---

(١) أخرجه الترمذي ( ١٩٨٧ ) ، والحاكم في « المستدرك » ( ١/ ١٢١ ) .
(٢) أخرجه بنحوه مسلم ( ٢٧٥٩/ ٣١ ) .
(٣) أخرجه البيهقي في « الشعب » ( ٥/ ٣٨٨ ) .
(٤) تقدم تخريجه .
(٥) أخرجه بنحوه ابن ماجه ( ٤٢٤٨ ) .

ولما تذاكر بعضهم في قول الله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] . . قال البعض : أرجو أن يكون المسلم أحسن حالاً عند الله ، ولقد بلغني : أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣] .

وقال سبحانه وتعالىٰ : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « طوبىٰ لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال : أستغفر الله في يوم سبعين مرة . . غفر الله له سبع مئة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة يذنب في يوم وليلة سبع مئة ذنب »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبركم بدائكم ودوائكم؟ ألا إن داءكم الذنوب ، ودواءكم الاستغفار »[٣] .

لٰكن قال شيخنا : ( من حدث نفسه بالتوبة من الذنب قبل الوقوع فيه . . دعاه إلى فعله ، ومثله مثل الذي يدنس ثوبه ليغسله ، بل الذي ينبغي له : أن يحترز من تدنيسه . . . إلخ )[٤] ، فليحذر الاغترار بفضائل التوبة والاستغفار .

وقال حجة الإسلام رحمه الله : ( في الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بثمانية أعمال . . كان العفو عنه مرجواً :

---

(١) أخرجه ابن ماجه ( ٣٨١٨ ) .

(٢) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ١/ ٤٤٢ ) .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) « الحكم » ( ١٨ـ١٩ ) .

أربعة من أعمال القلوب ، وهي : التوبة أو العزم على التوبة ، وحب الإقلاع عن الذنب ، وخوف العقاب عليه ، ورجاء المغفرة له .

وأربعة من أعمال الجوارح ، وهي : صلاة ركعتين فأكثر ، والاستغفار سبعين مرة وقول : سبحان الله وبحمده مئة مرة ، والصدقة ، والصوم ) .

وفي بعض الآثار : والوضوء ، ودخول المسجد .

والعملُ الصالح إن لم يكفر الذنب . . خففه .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1] [الزلزلة : ٧ـ٨] ) اهـ بتصرف فيه .

* * *

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٤/ ٤٦ـ٤٧ ) .

فأما قوله رضي الله تعالىٰ عنه ونفع به :

| [٣٧] فَإِنْ عَفَوْتَ فَفَضْلٌ مِنْكَ يَا صَمَدُ | فَجُـدْ عَلَـيَّ إِلَـٰهِـي وَأَزِلْ رَهَبِـي |
|---|---|

فـ ( **العفو** ) : هو الصفح ، وترك عقوبة المستحِق ، وهو : المحو أيضاً ، والمحو أبلغ من الستر .

والعَفُوُّ : من أسماء الله تعالى الحسنىٰ .

ومعناه ـ كما في « المقصد الأسنىٰ » [١١٧]ـ : ( الذي يمحو السيئات ، ويتجاوز عن المعاصي ، وهو قريب من الغفور ، إلا أنه أبلغ ؛ فإن الغفران ينبىء عن الستر ، والعَفْوَ ينبىء عن المحو ) .

وأما ( **الفضل** ) : فهو التطول والزيادة .

و( **الصمد** ) : من أسماء الله الحسنىٰ ، وهو ـ كما قال في « المقصد » [١١١]ـ : ( الذي يُصمَد إليه بالحوائج ، ويُقصَد إليه بالرغائب ) .

والصَّمْد ـ بسكون الميم ـ هو : القصد . والمُصَمَّد هو : المقصود .

ويطلق الصَّمَد ـ بفتح الصاد والميم ـ على السيد ، والدائم ، والرفيع ، والذي لا جوف له ، ويطلق على الرجل الذي لا يعطش ولا يجوع في الحرب ، وعلى القوم لا حرفة لهم ، ولاشيء يعيشون به .

( **فجد علي إلـٰهي** ) أي : أعطني العفو بفضلك .

و( **الجواد** ) : كثير العطاء ، وهو من أسماء الله تعالىٰ .

ويقال : أجاده كذا ؛ أي : أعطاه .

و( **الإلـٰه** ) : المعبود المستحِق للعبادة ، وهو الله تعالىٰ .

( **وأزل** ) أي : فرِّق .

( **رهبي** ) : خوفي .

يقال : رهب رهبة ورهباً ؛ أي : خاف .

* * *

وأما قوله رضي الله عنه ونفع به آمين :

| [٣٨] ثُمَّ ٱلصَّلاَةُ عَلَى ٱلْهَادِي وَعِتْرَتِهِ (مُحَمَّدٍ) مَا هَمَىٰ وَدْقٌ مِنَ ٱلسُّحُبِ |
|---|

ثم بعد ما سبق من الوصية ( **الصلاة** ) : وهي من الله تعالىٰ على رسوله : الرحمة المقرونة بالتعظيم وحسن الثناء ، ومن الآدمي : التضرع والدعاء بالخير ، ومن الملائكة : الاستغفار .

( **على الهادي** ) إلى الله تعالىٰ ، وإلىٰ طريق الله ، وإلى السعادة الكبرىٰ في الآخرة ، المرشد إلى ذلك ، المتقدم فيه ، صلى الله عليه وسلم .

و( **عترته** ) ـ بكسر العين وسكون المثناة الفوقانية ـ : نسله ، ورهطه ، وعشيرته الأدنَوْن .

ويقال تَعَتْوَرَ إذا تشبه بهم وانتسب إليهم .

( **محمد** ) : اسم عَلَم لمن كثرت خصاله الحميدة ، وسمي به نبينا صلى الله عليه وسلم بإلهام من الله تعالىٰ لجده عبد المطلب بذلك .

وذكر بعضهم : أنه لرؤيا السلسلة التي رآها المشهورة .

قال بعضهم : ( وقد سماه الله تعالىٰ بهـٰذا الاسم قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ) .

وهو أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وبه خُصَّت كلمة التوحيد ؛ لأنه أنسب لمقام المحبوبية .

قال بعضهم : ( وهو ألذ الأسماء بين العالمين ، وأشوقها إلى الصلاة والسلام على سيد المرسلين ) .

و( المحمد ) في اللغة : هو الذي يُحمَد حمداً بعد حمد ، وهو من صيغ المبالغة . . **فهو اسم مطابق لذاته صلى الله عليه وسلم ولمعناه** .

إذ ذاته محمودة على ألسنة العوالم من كل الوجوه ، وهو المحمود في الأرض والسماء ، والدنيا والأخرىٰ ، وهو خير وأفضل من حُمِد ، وصاحب المقام المحمود ، ولواء الحمد بيده ، وأمته الحامدة .

( ما همىٰ ) أي : ما صب وسقط .

( وَدْقٌ ) مطر وقطر .

قال الله تعالىٰ ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور : ٤٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « ما أنزل الله تعالىٰ من السماء كفاً من ماء . . إلا بمكيال ، ولا كفاً من الريح . . إلا بمكيال .

إلا يوم نوح ، فإن الماء طغىٰ على الخُزَّان ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة : ١١] .

ويوم عاد ؛ فإن الريح عتت على الخُزَّان ، قال الله : ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦] »[1] .

وعن عكرمة : ( ينزل الماء من السماء فيقع القطر على السحاب مثل البعير ) .

قال بعض العلماء : ( وكون المطر من السماء لا من الأرض هو الذي يدل عليه القرآن والحديث ، خلافاً لمن قال إنه أندية وأبخرة تصعد من البحر الذي بالأرض ، وينسب القول بذلك للمعتزلة ) اهـ

( من السحب ) ـ جمع سحاب ، ويجمع على سحائب ـ وهو : الغيم المذلل للرياح بين السماء والأرض ، تقلبه كيف شاءت بمشيئة الله تعالىٰ . . فيمطر .

وجاء عن عطاء : ( السحاب يخرج من الأرض ) .

---

(١) أخرجه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » ( ٦/ ٦٥ ) .

وعن خالد بن معدان : ( أنه ثمر بشجرة في الجنة ، فالسوداء منها : الثمرة التي قد نضجت ، التي تحمل المطر ، والبيضاء : التي لم تنضج ، لا تحمل المطر ) .

وقال كعب : ( السحاب غربال المطر ) .

وقال السدي : ( يرسل الله الريح فتأتي بالسحاب بين الخافقين )[1] .

* * *

---

(١) انظر : « الدر المنثور » ( ١/٨٦ ) .

وأما قوله رضي الله عنه آمين :

[٣٩] وَمَا تَرَنَّمَتِ ٱلْوَرْقَا عَلَىٰ فَنَنٍ      وَمَا تَمَايَلَتِ ٱلأَغْصَانُ فِي ٱلْكُثُبِ

فـ( **الرَّنَم** ) : هو الصوت ، و( **التَّرنيم** ) : تطريبه .

ويقال : رنَّم الحمام ، وتَرَنَّم ، وله رَنْمَة حسنة ، وتَرْنُومَة ؛ أي : تَرَنُّم .

و( **الرُّنُم** ) ـ بضم الراء والنون ـ : المغنيات المجيدات .

و( **الورقاء** ) : الحمامة .

و( **الفَنَن** ) : الغصن ، وجمعه أفنان ، وجمع الجمع أفانين .

و( **الأغصان** ) ـ جمع غصن ـ وهو : ما تشعب عن ساق الشجرة ، ودقاقها ، وغلاظها .

ويقال : أَغصَنَ العنقود ، وغصن ؛ أي : كثر حَبُّه .

و( **الكُثُب** ) ـ جمع كثيب ـ وهو : التل من الرمل .

ولنذكر شيئاً يسيراً جداً من أوصاف الهادي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأحواله ، وفضائله ، وخَلْقه ، وخُلُقه ، وغير ذلك ، وشيئاً يسيراً جداً من فضائل عترته الطاهرة ، وفضائل الصلاة عليه ؛ تيمناً بذلك ، وتتميماً للفائدة ، وختماً للشرح بهـٰذا الختام الفائح .

**فأما أوصافه عليه الصلاة والسلام ، ومناقبه ، وأحواله** : فهي البحر الذي لا ساحل له . . فلنذكر من ذلك نفثة ، ونستمد ذلك غالباً من « إحياء علوم الدين »[1] ، كما أن هـٰذا الشرح غالبه مستمد منه .

---

(١) « إحياء علوم الدين » ( ٢/ ٣٥٧ ) وما بعدها ، وقد ألف كثير من العلماء كتباً ورسائل في شمائل وصفات النبي الكريم العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ولعل أولاهم بالذكر هنا : =

( فهو ) صلى الله عليه وسلم أكرم خلق الله ، وأعلاهم رتبة ، وأجلهم قدراً ، وأحلمهم ، وأشجعهم ، وأعدلهم .

قد جمع الله له السيرة الفاضلة ، والسياسة التامة .

وهو أمي ، لا يقرأ ولا يكتب ؛ فعلَّمه جميع محاسن الأخلاق ، والطرق الحميدة ، وأخبار الأولين والآخرين ، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة ، والغبطة والخلاص في الدنيا ، ولزوم الواجب ، وترك الفضول ، مع أنه في بلاد الجهل صلى الله عليه وسلم .

وقد وصفه الله تعالىٰ في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول . . فقال : محمد رسول الله عبدي المختار ، لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولـٰكن يعفو ويصفح ، مولده بمكة ، وهجرته بطَيْبة ، وملكه بالشام . . . إلى آخره .

وكذلك نعته في الإنجيل .

وقال في القرآن : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وكان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطقاً ، وأحلاهم كلاماً ، ويقول : « أنا أفصح العرب » ، وإن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

= ـ العلامة الترمذي في : « شمائله » الشهيرة .

ـ والعلامة النبهاني في كتابه : « وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم » .

وقد وضع عليه العلامة عبد الله بن سعيد اللحجي شرحاً مباركاً سماه : « منتهى السول علىٰ وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم » . وهو من أوسع الشروح المطبوعة ، صدر عن « دار المنهاج » بجدّة ، وعليه نحيل القارىء الكريم إن أراد التوسع في تخريج ما ذُكِر ، والله الموفق .

وكان صلى الله عليه وسلم سمح المقالة إذا نطق ، ليس بمهذار[١] ، أوجز الناس كلاماً .

وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول ولا تقصير، كلام يتبع بعضه بعضاً ، بين كلامه توقف ، يحفظه سامعه ويعيه .

وكان عليه الصلاة والسلام جَهْوَري الصوت ، أحسن الناس نغمة .

وكان صلى الله عليه وسلم طويل السكوت ، لا يتكلم لغير حاجة .

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه ، ولربما ضحك حتىٰ تبدو نواجذه ، ما لم ينزل عليه القرآن ، أو تذكر له الساعة ، أو يخطب بخطبة عظة .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد .

وكان صلى الله عليه وسلم أحب الطعام إليه ما كثرت عليه الأيدي .

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما يجد من الثياب ، إزاراً وقميصاً ، أو رداء ، أو جبة ، أو غير ذلك .

وكان صلى الله عليه وسلم تعجبه الثياب الخضر .

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر لباسه البياض .

وكان له صلى الله عليه وسلم ثوب للجمعة خاصة ، سوىٰ ثيابه في غير الجمعة .

وكان عليه الصلاة والسلام ربما لبس الإزار الواحد ما عليه غيره ، يعقد طرفيه بين كتفيه ، وربما أَمَّ به الناس .

وكان عليه الصلاة والسلام أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع القدرة .

---

(١) ليس بمهذار : ليس في منطقه هذيان .

وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخاهم .

وكان عليه الصلاة والسلام في رمضان كالريح المرسلة ، لا يمسك شيئاً .

[وكان صلى الله عليه وسلم] أوسع الناس صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وأوفاهم عهداً ، وأكرمهم عشيرة ، من رآه بديهة . . هابه ، ومن خالطه . . أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .

وكان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم .

قال علي كرم الله وجهه : لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً ، وكنا إذا احمر البأس . . اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه : ( ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة . . إلا كان أول من يضرب ) .

قالوا : وكان قوي البطش ، ولما غشيه المشركون وكثروا . . نزل فجعل يقول :

أنـــا النبـــي لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

فما رئي يومئذ أشد منه .

وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعاً في علو منصبه ، كان يركب الحمار ، ويستردف خلفه ، وكان يعود المريض ، ويتبع الجنازة ، ويجيب دعوة المملوك ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويصنع حاجة بيته .

وكان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم ، لا يدعوه أحد . . إلا قال : لبيك .

وكان يجالس أصحابه بما جالسوه ، إن تكلموا في الآخرة أو في الدنيا أو في طعام ؛ رفقاً بهم ، وتواضعاً لهم ، وكانوا يضحكون بحضرته فيبتسم هو معهم ، ولا يزجرهم إلا عن حرام .

ولم يكن عليه الصلاة والسلام بالطويل البائن[١] ، ولا بالقصير ، بل كان ينسب إلى الربعة[٢] إذا مشىٰ وحده ، وإذا ماشىٰ غيره.. طاله ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما ، فإذا فارقاه.. نسبا إلى الطول وينسب إلى الربعة .

وكان صلى الله عليه وسلم أزهر اللون ، و( الأزهر ) : هو الأبيض الخالص الصافي .

وما كان يظهر للشمس من بدنه كان مشرباً بالحمرة ، وكان له وفرة[٣] إلى شحمة أذنيه ، وكان حسن الشعر ، ليس بالسبط[٤] ولا بالجعد القطط[٥] ، وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ، وكان أحسن الناس وجهاً ، لم يصفه واصفه إلا شبهه بالقمر ليلة البدر .

وكان عليه الصلاة والسلام واسع الجبهة ، أزج الحاجبين[٦] ، سابغهما[٧] ، أبلج الوجه[٨] ، وكانت عيناه نجلاوين[٩] ، أدعجهما[١٠] ،

---

(١) **البائن** : المفرط في الطول .
(٢) **رجل مربوع** : طوله بين الطويل والقصير .
(٣) **الوفرة** : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذنين .
(٤) **السبط** : المنبسط المسترسل .
(٥) **القطط** : شديد الجعودة .
(٦) **أزج الحاجبين** : صاحب حاجبين مقوسين مع وفرة الشعر وطوله في طرفهما .
(٧) **سوابغ** : كوامل .
(٨) **أبلج** : مشرق .
(٩) **نجلاوين** : واسعتين .
(١٠) **الدَّعَجُ** : شدة سواد حدقة العين مع سعتهما .

فيهما تموج من حمرة ، أهدب الأشفار ؛ أي : شعر العينين ؛ أي : كثيره ، مفلج الأسنان ؛ أي : مفرقها ، يضحك عن مثل سناء البرق ، من أحسن عباد الله شفتين ، وألطفهم ختم فم ، ليس بالطويل الوجه ، ولا بالمكلثم[1] .

وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية ، وكان يأخذ من شاربه ، ويترك لحيته ، من أحسن الناس عنقاً .

وكان صلى الله عليه وسلم عريض الصدر ، عريض المنكبين ، أشعرهما ، ضخم رؤوس العظام من المرفقين والوركين ، واسع الظهر ، ما بين كتفيه خاتَم النبوة ، وهو مما يلي منكبه الأيمن ، فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة ، حولها شعرات متواليات .

وكان عليه الصلاة والسلام طويل الزندين ، واسع الراحتين ، وكأن أصابعه قضبان فضة ، كفه ألين من الخز ، كأن كفه كف عطار ، مَن مَسَّها . . يظل يومه يجد ريحها طيباً ، وكان مشيه كأنما ينحدر من صبب ، وكان يقارب بين الخطا .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن لي عند ربي عشرة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي ، وأنا رسول الرحمة ، وأنا رسول التوبة ، وأنا رسول الملاحم ، والمقفي قفيت الناس جميعاً ، وأنا قثم » ؛ أي : الكامل الجامع .

**وأما معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وحججه وبراهينه** : فكثيرة قوية ، عزيزة منيعة ، لا تعد ولا تحصىٰ .

وأعظمها القرآن ، وقد قيل : إن فيه ستين ألف معجزة تقريباً ؛ فهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق أبداً .

---

(١) **المكلثم** : مدور الوجه .

وقد تقدم شيء من الكلام عليه عند قول سيدنا الناظم : ( واتل القران بقلب حاضر وجل . . . ) .

وقد قال بعض العلماء : ( إن الذي حُفِظ من معجزاته عليه الصلاة والسلام يبلغ ألفاً ) .

وقال غيره : ثلاثة آلاف سوى القرآن .

وقد خرق الله تعالى العادة علىٰ يده مراراً كثيرة .

**فمنها** : أنه انشق له القمر بمكة لما سألته قريش آيةً ، قال بعضهم : وذلك قبل الهجرة بنحو خمس سنين ، ولم ينشق لأحد غيره ، وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم .

وقد أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه لأجله عليه الصلاة والسلام .

وأما ما قيل أنه دخل في جيبه وخرج من كمه فلا أصل له ، بل انشق شقتين متباعدتين بحيث كان الجبل بينهما .

وقال ابن السبكي : وعندي أن انشقاقه متواتر منصوص عليه في القرآن .

وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام رد الشمس بعد ما غربت .

وأطعم مرة ثمانين من أربعة أمداد شعير وعناق ـ وفي رواية : وهم ألف ـ وهو من أولاد المعز .

ومرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص حملها أنس في يده ، رواه البخاري ومسلم .

ونبع الماء من بين أصابعه ، فشرب أهل العسكر كلهم وكانوا عطاشاً .

ورمىٰ صلى الله عليه وسلم الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

وحن إليه الجذع الذي كان يخطب عليه لما عمل له المنبر ، فضمه إليه

فسكن ، وحديثه متواتر ، وأخرجه أهل الصحيح ، ورواه بضعة عشر صحابياً .

وأخبر عليه الصلاة والسلام بموت النجاشي وهو بأرض الحبشة ، وصلى عليه بالمدينة .

وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه ، وتذلل له .

ودعا بشجرتين فأتتاه ، فاجتمعتا في قضاء حاجته ، ثم أمرهما فافترقتا .

وتسليم الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم .

وزويت له الأرض فرأىٰ مشارقها ومغاربها .

وأخبر بأن مُلْك أمته سيبلغ ما زوي له منها ، فكان كما أخبر .

ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها . . فدرت ، فكان سبب إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وكذا شاة أم معبد الخزاعية .

وسقطت عين بعض أصحابه فردها عليه الصلاة والسلام بيده ، فكانت أصح عينيه وأحسنهما .

وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه .

وحكى الحكم ابن أبي العاصي مشيته مستهزئاً ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كذلك فكن » فلم يزل يرتعش حتىٰ مات .

وقل زاد الجيش معه ، فجمع بقيته شيئاً يسيراً ، فدعا فيه بالبركة ، ثم أمرهم فأخذوه . . فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملىء من ذلك . صلى الله عليه وسلم .

**ومن معجزاته أيضاً** : تسليم الحجر عليه . رواه مسلم .

**ومنها** : كلام الذئب له . رواه جماعة من الأئمة ، منهم أحمد .

ومنها : كلام الحمار يعفور ، وكلام الضب ، وهٰذان الحديثان ضعيفان ، وكذا كلام الغزالة .

ومنها : إحياء الموتىٰ ، وتكلم المولود . أخرجهما البيهقي .

**وأما فضائل عترته وآله المطهرين** : فكثيرة جداً ، متعذرة الحصر .

ولننقل ذلك من كتاب السيد المحقق علي السمهودي المسمىٰ بـ« جواهر العقدين في فضل الشرفين » .

قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

قال جماعة من أهل التفسير ـ منهم أبو بكر النقاش ـ : المرادون من الآية هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، والرجال الذين هم آله ؛ يعني : أهل بيت نسبه ، وهم مَن حَرُم عليه الصدقة .

وذهب الثعلبي إلى أن المراد من أهل البيت في الآية بنو هاشم .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحىٰ : ٥] نقل القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ( رضي محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار ) . وقاله السدي[1] .

وعن علي رضي الله عنه : ( إن مِن رضا النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل أهل بيته الجنة ) اهـ

وسيأتي التصريح بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] .

أخرج الطبراني في « تفسيره » من طريق أبي إسحاق السبيعي قال :

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » ( ٢٠/ ٩٥ ) .

سألت عمر بن سعيد رحمه الله تعالىٰ عن هٰذه؟ فقال : قربىٰ محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذا قاله سعيد بن جبير .

وقال الله تعالىٰ : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٠] .

نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن المراد آل محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقله النقاش عن الكلبي ؛ لأن الله تعالىٰ سماه يس ، والقراءة : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴾ .

والأكثر على أن المراد منها إلياس .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر : ١-٣] .

وفي « صحيح مسلم » [٣٦/٢٤٠٨] وغيره عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً . . . وساق الحديث ، إلى أن قال : « وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » . . . الحديث .

وأخرج الترمذي في « جامعه » [٣٧٨٨] وقال : حسن غريب ، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله تعالىٰ ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض . . فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

وفي رواية الإمام أحمد [١٤/٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « وإني تارك فيكم الثقلين » . . . وذكر مثله ، ورواه الطبراني في « الأوسط » [٣٧٤/٣] ، وأبو يعلىٰ [٣٠٣/٢] ، وغيرهما .

وروى الترمذي [٣٧٨٦] وقال حسن غريب : « أيها الناس ؛ إني تركت

فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله تعالىٰ ، وعترتي أهل بيتي » .

وأخرج مسدد وابن أبي شيبة وأبو يعلى : « النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض » .

ولما أخبرت صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم النبي [صلى الله عليه وسلم] أن رجلاً قال لها : لن تغني عنك قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قام عليه الصلاة والسلام في المسجد ، فحمد الله تعالىٰ ، وأثنىٰ عليه ، وقال : « ما بال قوم يزعمون أن قرابتي لا تنفع ، إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة.. إلا نسبي وسببي ، وإن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة »(١) .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فتزوجت أم كلثوم لأجل قرابته ؛ يعني بها : ابنة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضي الله عنها .

وفي حديث آخر : « وكل ولد أم فإن عصبتهم لأبيهم.. ما خلا ولد فاطمة ؛ فإني أنا أبوهم وعصبتهم » أخرجه أبو نعيم ، وابن السمان ، وأبو صالح المؤذن ، وابن الأخضر ، والدارقطني ، والطبراني [ك ٣/ ٤٤] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وعدني ربي في أهل بيتي ، من أقر منهم بالتوحيد ، ولي بالبلاغ : أن لا يعذبهم » رواه الحاكم [٣/١٦٣] ، وقال : صحيح الإسناد .

وروى الطبراني : « أول من يرد علي الحوض : أهل بيتي ومن أحبني من أمتي » .

وورد : « إن فاطمة أحصنت فرجها ، فحرمها الله وذريتها على النار » . أخرجه الطبراني [ك ٢٢/٤٠٦] ، والبزار ، وأبو نعيم ، وتمام ، وابن شاهين ،

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد ( ٣/ ٣٩ ) .

والحافظ الدمشقي ، والمحب الطبري ، والغساني .

وورد : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني بحب الله عز وجل ، وأحبوا أهل بيتي بحبي » ، أخرجه الترمذي وقال : حسن غريب ، والبيهقي ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وفي رواية : « والذي نفسي بيده . . لا يدخل قلبَ رجل الإيمانُ حتىٰ يحبكم لله ورسوله » ، أخرجه أحمد [١/٢٠٧] ، والحاكم في « صحيحه » [٣/٣٧٦] .

وورد : « من آذىٰ نسبي وذوي رحمي . . فقد آذاني ، ومن آذاني . . فقد آذى الله » ، أخرجه البيهقي ، ومحمد بن إسحاق .

وورد : « من مات على بغض آل محمد . . جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله » ، أخرجه الثعلبي .

وورد : « والذي نفسي بيده . . لا يُبغِضنا أحدٌ أهلَ البيت إلا أدخله الله النار » . أخرجه الحاكم [٣/ ١٦٢] وقال : صحيح على شرط مسلم .

فهٰذا نزر مما ذكر السيد المحقق علي السمهودي نفع الله به في كتابه « جواهر العقدين » .

وقد بسط الكلام فيه على فضائل أهل البيت النبوي .

وفي ذلك تصانيف لغيره من العلماء ، يعرفها من له إلمام بالعلم ، فمن أراد الزيادة في العلم بذلك . . فليطلبها منها .

**وأما فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم** : فقد قال الله جل ذكره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

أخرج الطبراني [ك ٣/ ٨٩] وابن مردويه والثعلبي : قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ أرأيت قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ

﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « إن هٰذا من العلم المكنون ، ولولا أنكم سألتموني عنه . . ما أخبرتكم به ، إن الله عز وجل وكل بي ملكين ، فلا أُذكَر عند عبد مسلم فيصلي علي . . إلا قال ذلك الملكان : غفر الله لك ، وقال الله عز وجل جواباً لذينك الملكين : ﴿آمين﴾ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي واحدة . . صلى الله عليه عشراً »[1] .

وفي رواية : « كتب الله له عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات »[2] .

وفي رواية : « ورفعت له عشر درجات »[3] .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من صلى علي عشراً . . صلى الله عليه مئة ، ومن صلى علي مئة . . صلى الله عليه ألفاً ، ومن زاد صبابة وشوقاً . . كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة » .

وورد : « من صلى علي مئة . . كتب بين عينيه براءة من النفاق ، وبراءة من النار ، وأسكنه الله تعالىٰ يوم القيامة مع الشهداء »[4] .

وورد : « من صلى علي ألفاً . . زاحمت كتفه كتفي على باب الجنة » .

وورد : « من صلى علي في يوم ألف مرة . . لم يمت حتىٰ يرىٰ مقعده في الجنة » .

وفي رواية : « حتىٰ يبشر بالجنة » .

---

(١) أخرجه مسلم ( ٤٠٨/ ٧٠ ) .
(٢) أخرجه أبو يعلىٰ ( ٢/ ١٦٤ ) .
(٣) أخرجه النسائي في « الكبرىٰ » ( ١/ ٣٨٥ ) .
(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٧/ ١٨٨ ) .

وورد : « البخيل من ذكرت عنده . . فلم يصل علي »[1] .

وورد : « من صلى علي . . لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام يصلي علي . . فليقلل عبدٌ ذلك أو ليكثر »[2] .

وورد : « إن الله تعالىٰ وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماع الخلائق . . فلا يصلي علي أحد إلى يوم القيامة إلا بَلَّغني باسمه واسم أبيه ، فلان بن فلان ، قد صلى عليك »[3] .

وورد : « من صلى علي صلاة واحدة . . قضيت له مئة حاجة »[4] .

وورد : « الصلاة علي تنفي الفقر » .

وورد : « أولى الناس بي يوم القيامة . . أكثرهم علي صلاة »[5] .

وورد : لكل شيء طهارة وغسل ، وطهارة قلوب المؤمنين من الصدأ : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال عبد الله بن عمرو : ( من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم واحدة . . صلى الله تعالىٰ عليه وملائكتُه سبعين صلاة ) .

ويروىٰ : أن رجلاً من بني إسرائيل فتح التوراة يوماً ، فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، فصلى عليه ، فغفر له بذلك ، وأمر الله تعالىٰ موسىٰ عليه السلام بغسله والصلاة عليه .

وورد : « من ذكرت عنده فلم يصل علي . . فقد شقي »[6] .

---

(١) أخرجه الحاكم في « المستدرك » ( ١/ ٧٣٤ ) .
(٢) أخرجه أحمد ( ٣/ ٤٤٥ ) ، وابن ماجه ( ٩٠٧ ) .
(٣) أخرجه البزار ( ٤/ ٢٥٥ ) .
(٤) أخرجه بنحوه البيهقي في « الشعب » ( ٣/ ١١١ ) .
(٥) أخرجه الترمذي ( ٤٨٤ ) .
(٦) أخرجه الطبراني في « الأوسط » ( ٤/ ١٦٢ ) .

وفي رواية : « دخل النار » .

وورد : « من لم يصل علي . . فلا دين له » .

وجاء في بعض الآثار : أن الصلاة التي لا يصلَّىٰ فيها على الآل . . تسمىٰ : البتراء .

وورد : « إن جبريل عليه السلام أتاني فبشرني ، فقال : إن الله عز وجل يقول : من صلى عليك . . صليت عليه ، ومن سلم عليك . . سلمت عليه »[1] .

فينبغي أن يجمع بين الصلاة والسلام عليه وعلى آله .

ومما كتب به إلي شيخنا الناظم من الصلوات الجامعة الكاملة :

اللهم ؛ صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد . . عدد الشفع والوتر ، وعدد كلمات ربنا الطيبات المباركات .

اللهم ؛ صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد . . عدد ما علمتَ ، وزنة ما علمت ، وملء ما علمت .

اللهم ؛ صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد . . عدد كل ذرة ألف مرة .

اللهم ؛ يا رب محمد وآل محمد . . صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، واجز سيدنا محمداً عنا ما هو أهله .

تقولها كل يوم وكل ليلة ، أو كل يوم فقط ، أو كل ليلة فقط ، أو ليلة الجمعة ، إما إحدىٰ وأربعين مرة ، أو إحدىٰ وعشرين مرة ، أو إحدىٰ عشرة مرة ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، وأزواجه ، وذريته ، وأهل

---

(١) أخرجه أحمد ( ١/ ١٩١ ) .

بيته ، وعلينا معهم ، وعلى والدينا ، وعلى مشايخنا ، وقراباتنا ، وأحبائنا ، وجميع المسلمين .

والحمد لله الذي هدانا لهٰذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، لا علم لنا إلا ما علمتنا ؛ إنك أنت العليم الحكيم .

ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا . . لنكونن من الخاسرين .

فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت أرحم الراحمين .

والحمد لله رب العالمين .

قال المصنف نفع الله به : تم الكتاب ضحىٰ يوم الخميس ، السابع والعشرين من جمادى الأولىٰ ، من سنة ثلاثة ومئة وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وأزكى التحية والإكرام . آمين[١] .

---

(١) جاء في آخر النسخة ( أ ) :

وكان الفراغ من كتابة هٰذا الكتاب . . فاتحة عاشوراء ، بقلم محصله لنفسه ، ومدخره لرمسه ، الفقير الحقير ، المعترف بالذنب والتقصير : أحمد بن عوض بن محمد بن أحمد بن . . . . . . عفا الله عنه ، ورزقه العمل بما فيه . آمين .

وجاء في آخر النسخة ( ب ) :

تم الكتاب بحمد الله وعونه وذلك ضحوة الثلاثاء ، لعله ( ٢٣ ) ذي القعدة ، سنة ( ١٣٠٨هـ ) ، على يد كاتبه لنفسه ، الفقير إلى الله : عبد الرحٰمن بن حسن بن شيخ بن عبد الله بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ، سامحه الله آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين :

تـــم الكتـــاب تكـــاملـــت ... أيـــدي الســـرور لصـــاحِبـــة
وعفـــا الإلٰـــه بفضلـــه ... وبجـــوده عـــن كـــاتِبـــة =

= وجاء في آخر النسخة ( ج ) :

| | |
|---|---|
| تـــم الكتـــاب الفـــاخِـــرْ | ذي هُـــو كبحـــرٍ زاخِـــرْ |
| لكـــل عـــالـــم مـــاهِـــرْ | ممـــن يـــرد وجـــه اللهْ |
| تـــم الكتـــاب الهـــادي | إلـــى طـــريـــق الهـــادي |
| [بعـــد] القـــرن الحـــادي | مثـــل العَلـــم إي والله |
| يـــا ربنـــا أنفعنـــا بِـــهْ | والطـــف وعلِّمنـــا بِـــهْ |
| واجعـــل قلبيـــي نـــابِـــهْ | يقظـــان يَعـــرِف بـــالله |

آمين يا الله

تم الرقم من نسخة هـٰذا الكتاب المبارك الميمون بكرة يوم الإثنين المبارك ، لعله تاسع وعشرون شهر رجب الأصب ، سنة ( ١٢٠٢هـ ) ، وبالله التوفيق ، على يد أفقر العباد ، وأحوجهم إلى مولاه الجواد : محمد بن عبد الله بن عمر باقرين ، لطف الله بهما . آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وجاء في آخر النسخة ( هـ ) :

وذلك بأنامل الفقير الحقير ، المعترف بالتقصير ، راجي عفو مولاه القدير : محمد بن علي بن عمر بن محمد بن عمر بن عبد الرحيم بن قاضي محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن سلمة باكثير سامحه الله . آمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

وكان الفراغ من نساخته يوم الأحد ، ثاني عشر صفر الخير ، سنة ( ١٢٢٢هـ ) ، اثنتين وعشرين ومئتين وألف ، والحمد لله رب العالمين . آمين .

| | |
|---|---|
| أقســم بــالله علــى كــل مَــن | أبصــر خطــي حيثمــا أبصــرَهْ |
| أن يـدعـوَ الـرحمٰـنَ لـي مخلصـاً | بــالعفــو والتــوفيـق والمغفـرَهْ |



# فهرس الكتاب



## الموارد الروية الهنية

* * *

## سلسلة كتب العلامة الزاهد أحمد بن زين الحبشي

١ـ سفينة العلوم.

٢ـ شرح العينية.

٣ـ النفائس العلوية.

٤ـ الموارد الروية الهنية في شرح الأبيات المنظومة في الوصية.

٥ـ سبيل الرشد والهداية في وصية أهل البداية.

٦ـ الجذبات الشوقية إلى المقاعد الصدقية.

٧ـ الروض الناضر شرح قصيدة (الحمد لله الشهيد الحاضر).

٨ـ المقاصد الصالحة في شرح شيء من علوم الفاتحة.

٩ـ ترياق القلوب والأبصار في شرح شيء من علوم سيد الاستغفار.

١٠ـ القول الرائق في شرح حكمة الإمام جعفر الصادق.

١١ـ المسلك السوي مختصر المشرع الروي.

١٢ـ فتح الحي القيوم في الإشارة في شرح شيء من شراب القوم.

١٣ـ الإشارة الصوفية في الأطوار السبعة الإنسانية.

١٤ـ تبصرة الولي بطريق السادة آل أبي علوي.

١٥ـ الرسالة الجامعة (في الفقه).

١٦ـ حزب الأسبوع من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

١٧ـ أدعية وخطب رمضانية.

١٨ـ الجنىٰ الطيب الكثير من ثمار الجامع الصغير من كلام البشير النذير.

